

مواد لتاريخ الوهابيين

للدخالة

جوهان لودفيج بوركهارت

ترجمة

الدكتور محمد صالح العثيمين

بجامعة الملك سعود

هذا مكتبي ... <http://huna-makbtty.blogspot.com>

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

بدأت الرحلات الاستطلاعية الأوربية إلى البلاد العربية في القرون الأخيرة منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي . وكان في طليعتها رحلة لودفيكو دي فاريزما التي بدأها سنة ١٥٠٢ م . وكانت دوافع من قام بتلك الرحلات مختلفة . فمن الرحالة من قام برحلته بترتيب من جهة أوربية مسؤولة ؛ سواء كانت أهدافها علمية أم استعمارية أم مزيجاً من هذه وتلك . ومن الرحالة من قام برحلته بدافع ذاتي أملته عليه الرغبة الملحة لديه في الاكتشاف والطموح إلى الشهرة .

ولقد جاءت كتابات أولئك الرحالة مختلفة من حيث الجودة والضعف ، ومن حيث الدقة وعدمها ، ومن حيث الحياد والتحيز ، وذلك وفقاً لمؤهلات الكاتب الذاتية ودوافع كتابته . على أنه مهما وجد في تلك الكتابات من نقاط ضعف واضحة فإن فيها الكثير من المعلومات المفيدة للباحثين في أمور البلاد التي كتبوا عنها وأحوال سكانها .

وكان جوهان لودفيج بوركهارت من أبرز الرحالة الأوربيين إلى البلاد العربية وأكثرهم دقة وإنصافاً . وقد ولد في بلدة لوزان السويسرية سنة ١٧٨٤ م . وكان أبوه عقيداً في الجيش ، فاضطر إلى مغادرة بلاده حينما احتلتها القوات الفرنسية ، واستقر في ألمانيا . وقد درس جوهان في لايبزك

ثم في جامعة جوتنجن . وتكونت لديه رغبة عظيمة في أن يصبح رائداً من الرواد المشهورين . فانتقل إلى بريطانيا ، واتصل بالسير جوزيف بانكر ، عضو الجمعية الأفريقية التي كانت قد أرسلت عدة بعثات إلى منطقة النيجر انتهت كلها بهلاك أفرادها . وعرض بوركهارت على الجمعية المذكورة خدماته للقيام برحلة إلى تمبكتو مع قافلة الحج العائدة إلى هذه البلدة من مكة . فرحبت الجمعية بطلبه . وكان مما قام به في بريطانيا أن عكف على دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي والطب والكيمياء ، كما درّب نفسه على الحياة الناقية التي يمكن أن يتعرض لها كل رائد .

وفي شهر مارس من عام ١٨٠٩ م غادر بوركهارت بريطانيا متوجهاً إلى جزيرة سقطا حيث ادّعى أنه طبيب هندي وتسمى بإبراهيم . ومن هناك اتجه إلى سوريا ، واستقر في حلب عامين واصل خلالها دراسته للغة العربية حتى أتقنها ، كما واصل دراسته للدين الإسلامي حتى أصبح ذا معرفة جيدة به . على أنه لم يقتصر خلال هذين العامين على دراسة اللغة والدين ، بل تجوّل بين قبائل المنطقة الرحّل ، خاصة قبيلة عنزة المشهورة . وكتب عن تلك القبائل ، فيما بعد ، كل ما لاحظته في تجواله . وكان مما حققه من نجاح في بلاد الشام أن وصل إلى البتراء التي كان الأوربيون تواقين إلى معرفتها والوصول إليها .

وفي شهر فبراير من عام ١٨١٢ م شعر بوركهارت أنه قد أصبح مهياً ليقوم برحلته إلى جهات النيجر . فسافر من سوريا على مهل حتى وصل إلى القاهرة في شهر سبتمبر من ذلك العام . لكنه وجد أنه من غير المتوقع أن تنطلق قافلة من هناك إلى غرب أفريقيا إلا في شهر يونيو من

العام الذي يليه . فقرر أن يسافر بمحاذاة نهر النيل لعله يجد طريقا من بلاد النوبة إلى هدفه . فإن لم يجد عاد إلى القاهرة في الوقت المناسب لمرافقة القافلة .

وتوغل بوركهارت في جنوبي مصر حتى وجد تمثال أبي سنبل . وحين أدرك في أسبوط أنه غير قادر على الذهاب من هناك إلى غربي أفريقيا رأى أن مما قد يسهل مهمته في تحقيق هدفه الحصول على لقب « الحاج » . ولذلك رافق قافلة الحجاج النوبيين والسودانيين إلى مكة . واحتياطاً لأية صواريء أو مفاجآت حمل معه رسائل من محمد علي . حاكم مصر ، تظهره على أنه الشيخ إبراهيم بن عبد الله الشامي .

وفي أوائل شهر يوليو من عام ١٨١٤ . أبحر بوركهارت مع مملوكه من ميناء سواكن في السودان ، فوصل إلى جدة في منتصف ذلك الشهر . وما أن وصل إلى هذه البلدة حتى حل به المرض . ثم اضطر إلى بيع مملوكه لتفاد ما كان معه من مال . على أنه اتصل بمحمد علي ، الذي كان حينذاك قد وصل إلى الحجاز لمواصلة الحرب ضد الدولة السعودية الأولى ، فأمدّه ببعض المال ، وطلب منه أن يأتي لمقابلته في الطائف . ويبدو أن ذلك الحاكم كان يخافه بعض الشك في أن بوركهارت كان جاسوسا لبريطانيا مما جعله يراقبه بعذر . لكن وساطة طبيبه الأرمني ، بوساري ، أدت إلى سماحه له بمغادرة تلك البلدة .

وفي الثامن من سبتمبر عام ١٨١٤ م دخل بوركهارت مكة . ثم غادرها أياماً قليلة إلى جدة حيث اشترى مملوكا وأدوات كان في حاجة إليها . وعاد إلى مكة ، فأدى الحج واستقر فيها حتى مطلع السنة

الميلادية التالية . وسافر من هذه البلدة المقدسة إلى المدينة المنورة حيث بقي ثلاثة شهور عانى في كثير من أيامها مرضاً شديداً . ثم سافر منها إلى ينبع التي كان قد حلّ بها وباء مات بسببه كثير من سكانها . وبعد ثلاثة أسابيع من وصوله إليها استقل سفينة متجهة إلى مصر . فوصل إلى القاهرة في الرابع والعشرين من شهر يونيو عام ١٨١٥ م .

ومع أن الأمراض التي تعرّض لها بوركهارت خلال رحلته إلى الحجاز قد أضرت بصحته كثيراً إلا أنه كان تواقاً إلى الحصول على قافلة يسافر معها إلى تمبكتو . لكنه لم يدرك ما كان تواقاً إليه . ولأن وباء الطاعون قد انتشر في القاهرة غادرها إلى صحراء سيناء حيث بقي شهرين بين قبائلها الرحل . ثم عاد إلى العاصمة المصرية ليكمل تدوين ملاحظاته في رحلاته . وفي الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ١٨١٧ م وافق الأجل في العاصمة المذكورة ، ودفن في مقبرة المسلمين^(١) .

وكانت جزيرة العرب قبل وصول بوركهارت إليها بحوالي سبعين عاماً قد شهدت مولد الدولة السعودية الأولى ، التي قامت على أسس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية . ومع أن بوادر نجاح تلك الدولة التوحيدية قد بدت في الأفق منذ البداية إلا أن الظروف المحيطة بها لم تسكنها من توحيد كل أقاليم نجد إلا بعد أربعين سنة من قيامها . على أنها ما أن وحدت تلك الأقاليم النجدية حتى أصبح يسيراً عليها توحيد

(١) لعلّ أوفر ترجمة لبوركهارت تلك التي أوردها Robia Bidwell في كتابه *Travelers in Arabia* ، الذي طبع في لندن سنة ١٩٧٦ م . ولذلك كان الاعتماد عليه أكثر من أي مصدر آخر في الحديث عنه هنا .

مناطق أخرى من جزيرة العرب . ولذلك فإنه لم يمض ربع قرن على توحيدها لتجد حتى أصبحت حدودها تمتد من الخليج العربي شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً ، ومن أعماق اليمن جنوباً حتى تخوم العراق والشام شمالاً . وكان استيلائها على الحجاز أعنف ضربة موجة منها إلى الحكومة العثمانية . ولهذا ضاعفت تلك الحكومة جهودها ضدها . وكان حاكم مصر ، محمد علي ، الأداة العثمانية للقضاء على الدولة السعودية . وحين وصل بوركهارت إلى الحجاز كان محمد علي قد استولى على مدنه الكبيرة . بل كان يوشك أن يحقق نجاحاً كبيراً في جهات عسير التي تصدى سكانها لقواته بشجاعة فائقة .

ولقد جاء ما دونه بوركهارت بالانجليزية عن الجزيرة العربية والبلاد المتاخمة لها شمالاً في كتابين . أولهما رحلات في جزيرة العرب ⁽¹⁾ . وثانيهما ملاحظات على البدو والوهابيين ⁽²⁾ . وقد وصف في الكتاب الأول جدة ومكة والمدينة ونبع من الناحية العمرانية وصفاً مفصلاً . وتحدث عن الأوضاع السائدة فيها والظروف المحيطة بها من جميع النواحي . أما كتابه الثاني - الذي ترجم هنا قسم منه - فيتألف من جزأين : تحدث في الأول منهما عن القبائل التي تقطن الصحراء السورية وتقسيماتها مركزاً حديثه ، بصفة خاصة ، على قبيلة عنزة المشهورة . وتحدث في هذا الجزء ، أيضاً ، عن حياة البدو من حيث أسلوب المعيشة والعادات والتقاليد التي جعلت كاتب هذه السطور يكتفي - مؤقتاً على الأقل -

1 — *Travels in Arabia* , London , 1829

2 — *Notes on the Bedouins and Wahabys* , London , 1831

بترجمته إلى اللغة العربية . وذلك لأنه أكثر التصاقاً بتاريخ الدولة
السعودية .

ولقد اعتمد بوركهارت فيما كتبه عن الدولة السعودية على قليل من
المصادر المكتوبة وكثير من الروايات الشفهية . ومن المعروف أن خصوم
أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هم أول من أطلق عليهم اسم
« الوهابيين » تشويهاً لسمعتهم وتنفيراً عنهم . لكن هذا الاسم أصبح
شائعاً لدى كثير من الكتاب ؛ خاصة الأوربيين . أما أتباع تلك الدعوة
فيستقون أنفسهم المسلمين أو الموحدين . وفي الفترة الأخيرة بدأ بعض
الكتاب يستقونهم السلفيين .

وكان بوركهارت ممن استعمل اسم « الوهابيين » في كتابته عن
أنصار دعوة الشيخ محمد لأن ذلك الاسم هو الشائع في محيطه . وقد
أبقى هذا الاسم في الترجمة العربية تشيهاً مع النص الأصلي لا
استحساناً له أو موافقة على صحة إطلاقه . على أن بوركهارت كان
محايداً بدرجة كبيرة في حديثه عن أنصار الدعوة . وفيما أورده عنهم
الكثير من المعلومات المفيدة للمهتمين بتاريخهم . ولعل في ترجمة ذلك
إلى العربية والتعليق على ما هو في حاجة إلى التعليق منه إسهاماً متواضعاً
في خدمة تاريخ هذه البلاد .

والله وليّ التوفيق .

عبد الله الصالح العثيمين .

مقدمة

وردت في التقارير القليلة التي سبق أن نشرت عن الوهابيين أقوال متناقضة وغير صحيحة . والمعلومات التي جمعتها من أوثق ما توصلت إليه من مصادر في الشرق عن هذه الفرقة الرائعة ستكون ممتعة لكثير من القراء . على أنه من المؤسف أن أبواب الحجار ، بحلال إقامتي فيها ، كانت موصدة أمام النجديين بسبب حربهم مع محمد علي . وهؤلاء أقدر من غيرهم على إعطاء تفاصيل دقيقة وصادقة عن الوهابيين . ذلك أن البدو من الطبقة العامة الذين اتبعوا العقيدة الجديدة كانوا ، في الغالب ، جاهلين جهلاً تاماً بمبادئها ومضمونها الحقيقي .

ويمكن أن يقال باختصار شديد : إن ديانة الوهابيين ديانة محمدية متزمتة^(١) ، وإن حكومتهم حكومة بدوية رئيسها الأكبر هو قائد الأمة السياسي والديني الذي يمارس سلطته بنفس الأسلوب الذي مارسها به خلفاء محمد (صلى الله عليه وسلم) تجاه أتباعهم المسلمين . وكان مؤسس تلك الفرقة من المعروفين ؛ إذ هو عالم عربي اسمه عبد الوهاب^(٢) . زار عدة مدارس في مدن الشرق الرئيسية ، كما هي عادة أهل

(١) كثيراً ما عثر الغربيون عن الدين الإسلامي بالمحمدية . ومعروف أن هذا التعبير غير صحيح .

(٢) الصحيح أن اسمه محمد بن عبد الوهاب . وكان نيور أول أوربي تكلم عن الشيخ وسمّاه خطأ عبد الوهاب . انظر كتابه

Travels through Arabia and other countries in the East , translated into English by R. Heron , Edinburgh, 1792, vol. II , p . 131 .

ولعل بوركهارت نقل اسم الشيخ عن نيور - ربما أن اسم الشيخ محمد فقد أورد صحيحاً في الترجمة أينما ذكر .

بلده حتى الآن^(١) . وقد قام بدعوته لاقتناعه بما لاحظته خلال أسفاره من أن عقيدة الإسلام^(٢) الأصيلة قد فسدت وغمرتها المساويء ، وأن معظم الناس في الشرق ؛ خاصة الأتراك ، قد أصبحوا ضالين .

على أن الآراء والمبادئ الجديدة أقل قبولا في الشرق منها في الغرب . ولم يلتفت أحد إلى ابن عبد الوهاب حتى استقر - بعد كثير من التجوال في جزيرة العرب^(٣) - مع أسرته في الدرعية التي كان الرجل الأول فيها محمد بن سعود . وأصبح هذا الأخير أول من آمن به^(٤) . ثم تزوج ابنه بعد ذلك بقليل^(٥) . ويجب ألا يخلط بين هاتين الأسرتين . فمحمد ابن عبد الوهاب ، مؤسس الفرقة الوهابية ، من آل وُهَيْبَة من قبيلة تميم ،

(١) أول من أشار إلى سفر الشيخ إلى علف بلدان مهمة في الشرق ؛ خاصة إلى بلاد فارس ، هو بيور : انظر كتابه المذكور سابقا ، ج ٢ ، ص ١٣٢ . والمراجع أن الشيخ لم يسافر إلا إلى الجهات التي ذكرها تقيده وتلاميذه وهي المعجاز والأحساء والبصرة.

(٢) الأفضل أن يقال : « عقيدة المسلمين » بدلا من « عقيدة الإسلام ».

(٣) لم يتجول الشيخ محمد في جزيرة العرب بين انتقال من العينة وبين استقراره في الدرعية ؛ بل اتجه مباشرة من الأولى إلى الثانية .

(٤) من المعلوم أن دعوة الشيخ محمد لقيت قبولا لدى بعض السعديين وهو من بلدة حريملاء . وكان أول من آمنه من أمراء نجد عثمان بن معمر ، أمير العينة . لكن زعيم بني خالد ، حاكم الأحساء الذي كان له نفوذ على عثمان ضحط عليه ، فاضطر الشيخ إلى الانتقال من العينة إلى الدرعية حيث قام معه الأمير محمد بن سعود وأبنه . انظر تفاصيل ذلك في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حياته وفكره ، لعبد الله العثيمين ، دار العلوم بالرياض ، ١٣٩٩ هـ ، ص ص ٤١ - ٥٠ .

(٥) لم تذكر المصادر المقررة من الشيخ تزوج محمد بن سعود بآية الشيخ محمد . ومن المعروف أن الشيخ قد تزوج عمة الأمير عثمان بن معمر ، وأن عبد العزيز بن محمد بن سعود قد تزوج ابنة الأمير عثمان .

ومعظم بني تميم مزارعون في نجد . ومسكنهم الأساسي الحوطة^(١) . وهي قرية تبعد عن الدرعية خمسة أيام جنوباً باتجاه وادي الدواسر . وهي مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب^(٢) . وقسم من بني تميم يسكنون بلدة قفار في منطقة جبلي شمر . وهم من نسل أسر هربت من الحوطة خوفاً من الثار . وهناك قسم ثالث من بني تميم يعملون بالزراعة تحت حكم باشا بغداد في القرى الواقعة بين الحلة ومشهد علي . وينو تميم معروفون بقاماتهم الشامخة وهاماتهم العريضة ولحاهم الكثة ؛ وهي صفات تميزهم عن غيرهم من البدو .

لكن أسرة سعود ، المؤسس السياسي للحكومة الوهابية ، من المصاليخ ، أحد قروح ولد علي . ولذلك فهي من قبيلة عنزة . وعشيرة المصاليخ المسماة بمقرن - أو مجرن كما ينطقها البدو - والتي تنسب

(١) الحوطة ، أو حوطة بني تميم . ليست المسكن الأساسي للقبيلة ، ولكنها أصبحت موطناً من مواطنيها الهامة . ولد لعب أهلها دوراً كبيراً في مقاومة جيش محمد علي الذي كانت لياقته الاسية لخالد بن سعود ، وذلك ما ١٢٥٣ هـ .

(٢) لم يولد الشيخ محمد في الحوطة ، وإنما ولد في العينة . انظر كتاب روضة الأفكار والأفهام لموتاد خال الإمام ونهاد غزوات ذوى الإسلام ، لحسين بن عظام ، طبعة أبي مطي ، انقاهرة ، ١٣٩٨ هـ ، ج ١ ص ٢١ .

إليها سعود قد استقرت في الدرعية ، وسقطت بمودها هناك^١ . وقد عرض محمد بن عبد الوهاب نفسه عليها . وكان محمد بن سعود أول من تلقى بـ "الأمير" يكنى حيشه كان قبلاً حيداك الدرجه أنه هي أول اشتباك له مع أعدائه . كما يقال - ثم يكنى معه إلا سبعة رجال على ظهور^(٢) إبل

وَنَسَجَ قَارِيجَ لِهَوَايِهِ مَا هُوَ إِلَّا تَجْعَلُ بَوَاقِعَ مُشَاهِدَةِ انْطِلَاقِ لَتِي
نَحْدَبُ بِوَمَا فِي الصَّحَرَاءِ ؛ قِيلَةُ دَاتِ حَظِّ تَصِلُ إِلَى النُّسْطَةِ ، فَتَحْصِلُ

١) المتصالح لحد من عدم كنههم لا يستوجب عقوب . فمن سجد فعلى المؤلف .
سقوط ليس بغيرهم . نعم لا يجب كذا وسقوط . من سجد . به . أى حد سقوط . عقوب . من سجد .
واجب الأمر على هذا المؤلف . معترى العقاب . الذى يسبب إتيانهم . سقوط . عقوب . من سجد .

وكان حدثان معروفان ، فقد نقلني السيد محمد هادي عن السيد محمد باقر
 شيخ جريده العرب الى النعمان حيث سمعته يقول : ان النعمان الذي سمعني ، يسمي بعد النعمانية
 حبيبا - على الأرجح - من غير مدح وحمده من باب : لفظ النعمان في كتاب الشيخ محمد
 ابن عابد الوهاب : النعمان ، النعمان ، النعمان

٢- بك محمد بن سعيد ابن من نقب الأمير من اسيرة قندهار بن محمد بن علي أحمد بن علي
لاير سنة ١٢٤٥ هـ أي علي بن محمد الإمامة حاشا عليه ، انظر عنوان المجلد في تاريخ
بجند ، طبعه ورجع المخطوط المصحح بنده ، ١٢٤٥ هـ - ٦ - ٥٦ هـ طبعه بنده في
المصحح ، لاير سنة ١٢٤٥ هـ بن محمد بن علي

عبد الله بن محمد أمير السعيدية الحقيقي بن عبد الله بن محمد الأمير محمد بن سعود آل سعود

مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
(٣) يشهد هذا الكتاب من ابن بشر المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠ ٢٧ بمؤلف محسوب
في كتاب كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، بحقيق عبد الله العيسى ،
دار الحديث عبد العزيز ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٤٧ - ٤٨ . ذلك بحمد الدقة لا يوجد ذلك
انظر مناقبه هذا الموضوع في كتاب بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية
عبد الله العثيمين ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٨٦ - ٨٨ .

عني عائش ، ونسبها لموردها علي حيراني . ويجتهد لا تكسر ولا نهي
 صحيح عند تحرير واسه سعد ، بن وحيد القائد لأول محمد في حمل
 سلاحهما إلى أقصى ركن جزيرة العرب . ويصمهما هم يدسوان إلى
 مدينتهما أنه سيرة مسما سيده حكم مسجده مع تلك المدينتي في عنت
 العرب . بعد غير ثمان رويحي وسياسي واحد كم مير ل فعل سلاحهم
 عند دعوة الإسلام الأولى . واستمر ترويجهم مع أي غير قادر على إعطاء
 قليل من الترويج بدقه قبل حصة محمد علي . لكن يبدو من الضروري أن
 بدأ شرح مبادئ حي قامت عليها ديانتهم وحكومتهم

١٠ لكن مبادئ محمد بن عبد الوهاب مبادئ دينه جديدة ، با
 كانت جهده موجه فقط لإصلاح مفسد شي يقتبس من المسميين
 يشم عقيدة اضافته بين اليهود الذين كانوا مسلمين سمياً ، ككلمه
 جهلاء يدين وغير مدين لكن فروضه التي روجها . وكما هي الحال
 بنسبه لكل المصالحين . بل يفهم محمد بن عبد الوهاب من كل صداقه
 ولا من قبل أعدائه . أعداؤه حينما سمعوا بفرقة انجديدة اشي نهاجه
 بحرف الأثر وتضمن إلى سيئهم محمد (صلى الله عليه وسلم) بعير

١ مع " الأسود " التي اقره داده البرعه في ذلهم لأعدائهم مشابه لأعداب الله في القتل . وفيه
 كان هناك قوت كبير في التفرقة من حيث الهدم . إذ ان العاص بين جدار مني من جداره من
 فاده الدرعه قائم على ماس مني

(٢) ورد في بعض رسائل الشيخ محمد ما يوجد ما كره المؤلف . بل إنه كان ير الجا من ١ يوم
 بالبحث بعد الموت . انظر روضة الأفكار ، ج ١ ، ص ٨ ، ١٤٤

(٣) أكثر أصدقاء الشيخ محمد قد همزه جهل . لكن من عامة أباظه . جهل عادله بوجه
 أن أعداؤه منهم من فهمه . لكنه خاربه ضار . ومعه من جهل مدرسه باء على ما أصبح على
 خطه

نظرتهم التقديسية افتنعوا بسهولة أن عقيدة جديدة قد اعتنقت ، وأن الوهابيين بذلك ليسوا مجرد ضالين بل كافرين^(١) وقد أكد لديهم هذا الاعتقاد أولاً بحذاع شريف مكة غالب ، وثانياً بدير الحضر الذي حلّ بكل الشاوش المحوريين^(٢) فقد كان شريف مكة ، العدو المدود لحكومة الوهابيين ، حريصاً على توسيع شقة الخلاف بين هؤلاء وبين الامبراطورية التركية وبذلك نشر بمهارة متواصلة تقارير عن الوهابيين بأنهم كهر يحبط كل محاولة لتفاوض معهم^(٣) ولم يكن دشوات بغداد ودمشق والقاهرة القريبون من البلد المزعوس أقل حرصاً منه على إصهار محططات أعداء الممسة التركية ، وبالتالي العقيدة لتركه ، فأحدث الألون^(٤) وكان على الباشوات أن بقودوا قواهل الحجاج إلى البلاد المقدسة أو يرسلو معها جيشاً حمايتها وقد أصبح من مصدحتهم أن يظلموا الأحظار المحيطة بطريق الحج لمرؤوا سحتهم من أية كرتة قد

(١) يصر الوهابيون إلى نسيء على الله عليه صلواته ، يظنوا مدعيه حادثة يقصدونه ، ملكهم لا يصبرون إليه أي نوع من أنواع العبادة

(٢) كانت مبادئ دعوة الشيخ محمد قد وصلت إلى الحجاز قبل أكثر من أربعين سنة من بني الشريف غالب الحكيم وكانت قد وصلت إلى هناك مشيخة عن طريق معارضيتها في نجد وولف أنصار الحجاز منها مؤلفاً عدائياً ضد البغدية ، في سجنو بابعها ومنعولهم من الحج سبيل صوبية ثم بدأوا يخارونوها عسكرياً منذ سنة ١٢٥ هـ انظر تفاصيل ذلك في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٦٦ - ٦٩

(٣) في عهد الشريف مسعود بن سعيد أي قبل بونى الشريف غالب الحكيم بأكثر من أربعين سنة أصدر فاصي الشرع بمكة حكمت كفر عنه الشيخ محسناً وأتباعه فمعو من أداء الحج سبيل طوية

(٤) من الواضح كره الموالف للأتراك على أن عقيدة الأتراك لا تختلف عن عقيدة غيرهم من المسلمين فقد كانت الجندع والمحرقات مشرة لديهم وبدي غيرهم على حد سواء

تحدث لقواهل أو يبرروا إيقاعهم لها وهذا ما كانوا يتمنونه سرّاً ، إذ أن معاداة تلك القواهل تكّد كل البشوات نفقات صحيحة وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك تقاير كثير من الحجاج الذي ذهب عن طريق البحر إلى جدة ومكة ، وعانوا من عطسة الجرد الوهابي ولم يسمح لهم بأداء الحج أحياناً وبعد عودتهم إلى بلادهم بالعوا في تصوير ما عاناه من المؤكد أن وصفهم الوهابي لا يمكن أن يكون محايداً ولذلك لم يكن عريباً أن أصبح من المعتقد في الشرق عامة أن الوهابيين كانوا يحاولون أن يبرجلوا ديانة جديدة تماماً ، وأنهم يعملون الأتراك بقسوة متناهية لأنهم مسلمون ، وهو اعتقاد لا يصح تصريف كثير من الوهابي " عني أن أصحاب هذا التصرف من البدو الذين كانوا جهلاء تماماً بالإسلام قبل أن يعرفوا الوهابية ، والذين لا تزال معرفتهم به غير صحيحة ، ولذلك فإن المبادئ الجديدة بدت بهم ديانة جديدة ، خاصة بعد أن عرفوا عادات الحجاج الأتراك وسكان المدن العرب ومبادئهم المختلفة ، وقد عرفوا بمبادئهم الخاصة ولم تسمح لهم روح التعصب ، التي عداها رئيسهم بكل ما وسعته ، أن يفرقوا بين أمور لا يعرفون عنها إلا معرفة غير صحيحة وهذا يفسر بوضوح كيف حدث أنهم كانوا يتهمون الأتراك بالكفر ، وأن الأتراك يذورهم كانوا يتهمونهم بذلك عني أن نبلاً من سورين الأدكياء الذين قاموا بأداء

(١) الدعايات المخرصة ضد هؤلاء وكثيرهم من يتلى الأشراف وميرهم من الأمور التي حدثت قبل استقلالهم عني الحجارة بأكثر من نصف قرن لكن هذا لاستيلاء وإثبات عليه من أحداث واقعا من مصمم لدولة العثمانية على القصد عليهم

الجمع وحدوا فرصاً ستحدث مع المطمئنين من الوهابيين ، واقتنعوا - على الأرجح - أن عقيدة البدو كانت هي عقيدة الإسلام^(١) . ومع أن آراءهم قد لا تتفق مع آراء الوهابيين في كل النقاط فقد شعروا أنه من غير لإصناف تسميتهم كفاراً لكن شهادة مثل هؤلاء ، إن حسروا على دلائلهم دون تعريض أنفسهم لتهمة سوء إسلامهم ، كانت غير محدية أمام النصيحة العامة ، خاصة بعد سنة ١٨٠٣ م حين ردت قوافل الجمع ، وتكون رأي عام بأن الوهابيين كانوا أعداء للدودين لديانة إسلامية^(٢)

بقدر كتب روسو عن الوهابيين رسالتين قصيرتين هي بعد د وحلب حوالي سنة ١٨٠٨ م^(٣) ، وأكد أنهم أتوا بديانة جديدة، وأنهم مع عتراءهم بالقرآن قد أبطلوا الجمع إلى مكة كلية ومن المؤكد أن ذلك كان هو الرأي سائد حينذاك في حلب لكن ربما كان من لبعض

(١) يصور المؤلف ، "حول الوهابيين" كتابه عن عقد "الوهاب" عماد محو الشبه معبد الذي - رحمه الله - خاصة في المراحل الأولى من حياة دينه في طاب على أساس

(٢) كان مع صعود من عبد العزيز قوافل جمع من الوهابيين إلى مكة فوجدوا هناك عدد من الناس ينتمون إلى طائفة من تسمى "الوهاب" وقد أصبحوا بعد

(٣) ذكر المؤلف في بعض رسائله عن

A — The Description of the Pashalik of Bagbdad

B — A memoire in the «Mines de l Orient»

ولد شر الذي ، وهو وصف باشرية بغداد في تاريخ سنة ١٨٠٩ م
ما الذي علمه

Membre sur les trois plus famense sects du Musulmanisme - Les Wahabls, les Nosairis et les Ismaelits.

أي ، رحمه مذكرات عن أشهر الفرق الإسلامية الثلاث ، الوهابيين والتصيريين والإسماعيليين بعد
صبح في باريس سنة ١٨٠٨ م

لحصول على معلومات أكثر صحة من الحجاج الأذكاء ومن اليد في
تلك المدينة داتها ومن المدهش حقاً أن ذلك لم يحدث وقد اعترف
رئيسه أنه بعصي وصف نوهائيس سقى جزءاً من مادته من إمام مسجد
فصر سعود ممحاً إلى وجود رجل كهذا الرجل في بلاد الدرعية : وهو
أمر ليس في مقدوري تكوين فكرة دقيقة عنه .

ومما أن وجدته حيث محمداً علي مكث في الحجاز ، ولم تعد
مكائده شريف غالب ذات جدوى وبدأت الاتصالات المباشرة مع
رعاة الوهابيين مؤديهم الصغار ، وعادت قوافل الحج تسير في طرقها
المدينة ، عرفت حقيقة الوهابيين حسن من ذي قبل حتى في الأجزاء
بعيدة من الحجاز تركية ومن المرجح أن الاحترام الذي عثر عنه أهل
مكة تحده حكمهم القاصر قد أثر بعضه على كل حاج استفسر عن
تلك عرقه لتحديدده .

وإذا نصب الأمر دليلاً آخر على أن نوهائيس مستمرون بمحافظتهم
في كتبهم توضح ذلك فحيثما استوى سعود على مكة ورأى ممحاً من
تلك الكتب على السكان " وأمر أن يحفظوا التلاميذ في بلادهم
لعمامة وليس فيما احتوته إلا ما لابد لكل تركي من أن يعترف بأنه الحق
وكأن لدى سعود فكرة سيئة مؤداها أن مكان تلك المدينة شأواً على
جهل تام بديهم . ولذلك رغب في أن يعلمهم أصوله الأولى وعلى أية

١ الكتاب الذي ورثه سعود علي قبل مكة بعد دخوله إليها هو رسالة الأعمام الثلاثة وهي رسالة
المعلم بابا ودييه وبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم وهذه الرسالة من تأليف الشيخ محمد
المطويحي مرات عديدة وقد أورد بيركهارت ترجمتها كلها من بين ملاحق كتابه هذا

حال فإنه لم يكن في تلك الكتب ما سم يعرفه المكبوت من قبل . وحس
وجد سعود أنهم أعظم بدلت من أتبعه توقفت عن توزيعها عليهم

ومبادئ الوهابيس الأساسية ، كما سيتضح فيما بعد ، تتفق مع
سك التي تدرس في لمناطى الأخرى من الامبراطورية الإسلامية ولقرن
والسنة لديهم مصدرون أساسيان مشتملان على كل الأحكام وآراء
المفسرين الأجلاء لقرآن محترمة بالرغم من أنها ليست متبعة على
إطلاقها وهي محاولة لإصلاح الأعمال الأصبغة والمعتقدات الصافية
لمؤسس الأول للإسلام وأتبعه الأوائل ، كما هو ثابت في تلك الأحكام ،
كان لابد لهم من مهاجمة عدد من الآراء الخاطئة والمقاسد التي طرأت
على الإسلام كما يدرس الآن ، ولابد لهم ، أيضاً ، من الإشارة إلى
الحالات الكثيرة التي يتصرف بها الأتراك على نقيض مباشر مع المبادئ
التي يعترف هؤلاء أنفسهم بأنها أساسية . وليست لدي معرفة كافية بأوجه
الخلافا لأعطي المبادئ تفصيلات وافية في هذا المجال ولذلك فهي
سأقتصر على ذكر قليل من الأمثلة التي بعد نقاشها رئيسية لاختلاف بين
المريقين .

يوم الوهابيون الأتراك بأهم بطرون السي (صلى الله عليه وسلم)
بطريقه تقرب من التقديس وكذلك يفعلون بالنسبة لكثير من الأنبياء
وهي هذا لا يبدو أن الوهابيس محطوب كثيرا والأتراك ، الذين يعترفون
بأن القرآن كتابهم المنزل ، يجب أن يعتقدوا اعتقاداً كاملاً بالآيات
الكثيرة التي أوضحت بخلاف أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) بشر
مثلهم . لكن حتمهم الشديد لبيتهم لم يكن ليحد بددت التوضيح

السبط . فقد برهن علماءهم بمهارة متكئة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مع أنه ميت ومدفون لم يكن مثل بقية الشهداء ؛ بل لأبرال حي ، وأن اتصاله بالله وحب الله الحريز به ، قد جعلنا من السهل عليه أن يحيي أي مؤمن من أتباعه أو بتوسطه . ومع أن الأتراك لا يدعون أبداً سيّهم دعاء خاصا إلا أنهم يذكرون اسمه كما لو كانوا يدعونه بعض الصريقة النبي بقولها « يا رب » . وهذا كاف لسمي بهم يوم الوجوديين شديد وبالإضافة إلى ذلك فإن الأتراك يوررون قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض القديس الذي يطهرونه للكعبة وحسبما يقوم أمامه يرفعون دعواتهم الصكرة ، كما يسميها الوهابيون ، لدرجة أنهم يستحقون التسمية مشبهه لكفر الذين يشركون مع الله إله آخر

وكثير من المشايخ أو الأولياء يحطون بتوقير مشايخهم بذكر وإن كان بدرجة أقل فهي كل مدينة تركية يوجد كثير من الأضرحة وهي كل قرية تقريبا هناك صريح ، على الأقل ، لولي مشهور كسب حياته اسمودحية القائمة على الدهاء العظيم ، أو الصافي ، أو العزم بعري ، وقد حقت له شهرة القداسة وقد طس مواطنوهم أن من الوجب عليهم أن يقتسوا ذكرهم بإقامة بآيات صعبة على شكل قباب أو مقوف ذات أقواس فوق قبورهم وفي هذه الأمكنة يصلون الله معتقدين أن لولي سيكوب أكثر استجابة لشفاعة لهم عند الله . والواقع أن الأولياء المسمين يعامنون كما يعامل القديسون في الكنيسة الكاثوليكية ، ويقال إن بهم معجزة كما للهؤلاء والباس في الشرق يعتقدون كثيراً بمشائخهم . وفي كل مدينة وقرية يقام احتفال سنوي في يوم معين لتكريم سيدهم الخاص

أما الوهابيون فيقولون إن كل الناس سواء عند الله بل إن أعظم الأتقياء لا يشفع لأحد عنده ، وبالتالي فإن من المعصية دعاء الأولياء الأموات أو تكريم رفاتهم أكثر من أساس الآخرين^(١) . وأيضاً حمل الوهابيون سلاحهم هدموا كل النقبات والأضرحة المخرقة ؛ مما منحهم زعاجل حماس مريديهم وتكوين علامة فارقة بينهم وبين خصومهم . وهذا ما كان دائماً سياسة كل مؤسس فرقة ، وما كان ضرورياً بالنسبة لخدمة الناس من الوهابيين الذين لم يكن في استطاعتهم الحكم بدقة على مسائل الخلاف الأخرى

وأصبح تهديم قبب الأولياء وأضرحتهم العمل المفصل لدى الوهابيين فكان ذلك دائماً من نتيجة لانتصاراتهم في الحجاز وأيضاً سوريا وبلاد الرافدين . وبما أن الكثير من النقبات تشكل سفوف المساجد فقد اتهموا بتهديم تلك المساجد أيضاً^(٢) . ولم يبق في مكة قبة واحدة غير مهتمة على قبر أي عربي مشهور من قبل هدمت تلك التي كانت فوق مكان مولد محمد (صلى الله عليه وسلم) وحمديته محمد بن النخسين

(١) لا يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيانه غير كانت معابده بما ورد في الكتاب بالسنة وكتب أن تطيب أسماً من الله ، أن يقول بها أرباب الله يشفع بالشفاعة ، ورساء من المسجون له وهم ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، غير أن مريسته على مراتب المحبوبين ، وأنه حتى في قبره جاء برحمة بلغ من حياة الشهداء المصوب عليها في القبر الكريمة . المزيد من التفاصيل عن عديد الموضوعات انظر كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١١٢ - ١١٤

(٢) الواقع أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يهدم المساجد المعانة أصلاً حتى القبر من ذلك عدم الشيخ بمسجد المهام على قبر يسمونه كثير من الناس أنها قبر شهيد من الصحابة فتد في حروب الردة . انظر روضة الأفكار ، ج ١ ، ص ٢٠

وعنه أبي طالب وروحه حديجة^(١) وكان الوهابون يقولون وهم
بهدمونها «رحم الله من هدمها لا من يها» وكان صيحا أن يعتقد
الأثران الذين سمعوا ذلك أنهم قاموا بما قاموا به لاحتقارهم لأوثان الذين
يسبب لكريمهم ونكاحهم أولادهم . بل إن القبة الكبرى التي على قبر
محمد (صلى الله عليه وسلم) في المدينة كان محصيا أن تنفي مصير
من مصير تلك الحباب فقد أمر سعود بهدمها . كان بناءها لقوي
حتى جهود جيوده عبيده . وبعد أن مات عدد منهم بسقوطهم من
جانب محاولته وقد فاس سكر المدينة . إن هذا كان تدخلا من
سوء أو معجزة من الله

وكان أهل مكة من الأثر لأحكام دين مني ما يتعلق بالصلاة
والمسجد وأصحاب ميصوري آخر يندد به مؤسس بهائيه وكان يندد بركه
بشقرة . كما وضع في الدين - واتبع أحكام الصدقة التي سنّها
محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعدالة القضاء التي امتار بها المحققاء
لأوائل ، وإدراج الضارمة التي أوجبت اشتريعه أن يكون موجهة دائما ضد
أعداء العقيدة من كافرين ، وإلزامها عن كل ما يسكر ، وعن الأضداد
الحسني غير الشرعي بالنساء ، وعن الأعمال المصادمة بقضيه ، وغير ذلك
من الأخلاق الفاضلة من الأمور التي لم يكتف الأشراف المحدثون

(١) من يعرف أن الحبيب حسين رضي الله عنه - يولد في مكة ، بل ولد في مدينة ومن
يعرف ، يجب أن أن طالب عبد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ويسمى ابن أبي طالب ، بني
عن فيه فقه فهو أحد أسباب مكة ولد توفي سنة ٢ هـ .

(٢) يذكر المصادر لغيره من سعود أنه حاول حدم المبة خاصة على القبر النبوي الذي به

بإهانتها ؛ بل عارضوها صراحة دون رادع . وكاتب التصريحات المحررة
للكثير من الحجاج الذين يحملون المديسين المقدمتين بشهواتهم
المشبية ، والرحص الممتوحة التي يمسحها رؤساء القواصل للفسق ، وكل
الردائل التي تسير في ركب انحرور والأمانية ، وأعمال العدر والفساد الكثيره
التي يرتكبها الأتراك . من الأمور التي يعتدها الوهابيون مباحة تُشخصية
انعامة للمسلمين الذين لم يتبعوا دعوة الإصلاح^(١) وبالإضافة إلى ذلك
فإنها تمثل معارضة محرقة لصهارة الأخلاق والعادات التي يطمعون إليها ،
ويتواضع الذي يجب على النحاح أن يفترش به من الكعبة المشرفة
وشدة حمس محمد بن عبد الوهاب لبادئ الدين لأصيبة ، وبقائه
المصائبه على ما رآه من إفساد المسلمين لمعاصرين ذلك المأزق ،
وربما لشعوره بأنه يعامل ببردراء واحتقار في البلد التركية عند مهاجمته
المساد ، مدى برعته في د بعيد أتباعه إلى توضيح مذهبي أخلاقاً
وعادات كف فهمه من أفضل كتب عقائد أمته وتاريخها . وكف ساد حين
ظهر الإسلام في جزيرة العرب . وبه أن أحكام هذا الدين كانت قد
وصفت بوضوح يبدو في مصلح واحد من أسهل تبنيها مثل هؤلاء
الناس^(٢) . وبعدك أظهر كيف تم تصحح الجانب أو لأتراك إلا بقميل من

(١) إن كان ما قاله المؤلف عن الأتراك صحيح فقد ورد أيضاً ، في إحدى رسائل الشيخ محمد بن
أشرف مكة في ذلك الوقت كانوا يرتكبون أعمال الفسوق في أثناء موسم الحج . انظر مؤلفات
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، جامع الإمام محمد بن سعيد للإسلامية ١٣٩٨ هـ
ج ٥ ، ص ٩٧

(٢) من المعروف أن أحكام الدين الإسلامي يسبب مفسورة على البدو أو على العرب كف يدعي بعض
المفسرين المعرضين . بل هي لجميع البشر من كل جنس ولون

عدائهم الشمانية الحاصصة من أجل روح لإسلام الحقيقية . ولا يوجد في
 المصنف يوهدي أي مبدأ أخلاقي حديد . فقد اتحد محمد بن عبد الوهاب
 مقرباً وسنة دينه بوحيد . وإخلاص من وفاته وس الأثر في السنة . مهما
 فين عنه . هو أن الوهابيين يتبعون مدقة نفس الأحكام التي أهميتها الأحرار
 لا يوقعون على مرادها كمية . وهذا من وصف البداية الوهابية ما هو لا
 نحيط به الحقيقة الإسلامية . ولإصلاح نقاد التي تحتلف فيها هذه
 لفظة عن الأثر لا لابد من عصاة قائمة بكل المقاصد التي يدن بها هؤلاء
 لأحرار ويؤيد هذا لقول قوله رأيي علماء أخلاء من القاهرة وفي
 حبيب محمد ١٨١٣ هـ . رسل الشريف الوهابي مدريس أبي هذه المدينة
 أحدهم عنه ووهابي حبيب . وقد صلب محمد علي دشا منها أن
 يشرح عقيدتهم علماء القاهرة الكبار . مقابل مع الوهابي معهم عنه
 مراد ، وأحرار قصص استق عليهم لأنه كان يبرهن على كل مسألة عن
 صهر فلب بآيه من القرآن في حديث من السنة ؛ وهما مما لا يمكن رده
 بصحة نحل . فاعلم أن هؤلاء العلماء أنهم لم يحدوا أية بدع لدى
 الوهابيين . وهذا لا يقرر قد صدر من العلماء المذكورين فيه لا
 يرقى إليه أدنى شب . وقد وصل إلى القاهرة ، أبص ، كتاب يتناول على
 رسائل صحيفة عن مرصوعات دينية كتبها محمد بن عبد الوهاب

(١) العالم الكبير المشار إليه هو عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم من ن مشرف وهو من السبع
 محمد بن عبد الوهاب ولد حوالي سنة ١١٩ هـ وكان قاصداً في الميراثية . وآخر عمل به توفي
 العلماء في بلدة سوي الشيوخ العراقية حيث توفي بعد سنة ١٢٤ هـ انظر ترجمته في كتاب
 علماء نجد خلال سنة قرون ، بعد الله انعام . مكتبة النهضة الحديثة بمكة ، ١٣٩٨ هـ

نفسه وقراً كثير من العلماء ذلك الكتاب ، فأقرروا بالإجماع أنه إذا كانت هذه هي عقيدة الوهابيين فإنهم أنفسهم يؤمنون بتلك العقيدة

والآن العامة من المسلمين في أية فرقة جديدة ينادي أن يتشبهوا بروح مؤسس الحقيقة فقد حدث أن كثير من أتباع ابن عبد الوهاب عندنا أموراً ثانوية من الأمور الأساسية في العقيدة وهذا ما جعل أعداءهم يكتوبون فكرة خاطئة عما يعترضون أنه ديانا جديدة وقد انصبت حروب الوهابيين الشديدة - بعد حروبهم بالأولياء - بصفة رئيسه على الملايين وتحريم لبس الملابس الأثراك الأعيان لا تنحى إلا قليلاً مع عائيه السنة التي تحرم من الحرير والذهب ، كما تحرم من انصافه لا يكفيه الله ، وقد نصر الوهابيون إلى أثواب الأثراك لمزركشته ، ردء ، ولأنهم علموا أن نبي (صلى الله عليه وسلم) قد سبى عدداً منهم ، وجاء الملايين انصافه عندنا من انصافه في أن يتشبهوا طريقته في اللباس كان عليهم جادته الأخلاقية وكان يحكم معرفه الوهابيين في جزيرة العرب فور بملابسهم فاعربى نبي ، وهو دعوتهم من أن يكون حر ، من ملابس من الحرير ، ثم أن يحتج به انصافه الذي يلقه على رأسه ، أنه يحظر به بروتته

١ - مع بحارب الوهابيون لأولياء ، وهم يكرهون كواحد ، ويكفونهم جاريوا ، والآخره صوف أي روح من روح العبدية لهم ، نصر بمصير ، في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥

٢ (الحرير والذهب محرم بسبب علي الرجال ، أما انصافه فالأصل في معانيها نحي

أما تدخين التبغ فمن المعروف أن كثيراً من العلماء الأتراك قد
ذكروا مراراً في كتاباتهم أنه عمل محرّم وهو مكروه في المذهب
الشافعي أحد المذاهب السنية الأربعة وكثير من العلماء في كل جزء
من تركيا يمتنعون عن تدخينه على سبيل ديني وقد رعب أربعين
نوهدي ، أيضاً ، في - يصعب تدخين الباتات السكرية المسعّدة كثيراً
في أشرف معاينة ذلك ستران لكنه لم يستطع أن يجمع في هذا الأمر
تماماً ولاه أن من عبد لوهاب كان يعلم ، في الوقت نفسه ، أن أتباعه
في مصحاتهم الكبيرة - مناعهم عن التدخين سيصبحون ، نصيحة
نحو ، لت الأعداء نكل وقت الدين لأزالو معسب في ذلك لرف ،
وب يعتقدوا دعوى بعد وكان تحريم التدخين - حدى الوسائل برئيسه
إتارة ادهد نوهابيين ضد الأتراك فقد أصبح كلمة لامة شمس
المعقّس نحدد اندعوة بكنه ظل أصعب شيء على نفوس العرب من
بين كل تصادى السي - دى بها المصالح وقد حرّم نوهديون اندعاء
بالمسحة ، وهو أمر شائع لدى المسلمين مع أن اشرع لم ينص عليه .
ومعوا اسمعانه ويقال ، أيضا ، إنهم حرّموا شرب القهوة ، ولكن ذلك
غير صحيح ؛ إذ أنهم دائماً يشربونها بقدر كبير

() حرم أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب تدخين التبغ على أساس أن أدهد أنه يسكر ؛ خاصة
إذ دعى بعد فترة طويلة من الامتناع عن مدخينه ، وثانيهما أنه يسبب رائحة سيئة والحوائث
مستورته نص القرآن الكريم انظر مجموعته الوسائل والمسائل الجديدة ، القاهرة ، ١٣٤٠ هـ
ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢) يرى أتباع الشيخ محمد أن المسيح باليد أفضل لانه انوار عن النبي ، صلى الله عليه وسلم . ولأنه
أكثر حضوراً للناس

ومن المشكوك فيه ما إذا كانت لدى ابن عبد الوهاب حين دعا إلى الإصلاح في الدرعية أية فكرة في إنشاء حكم جديد يستغل ظنه أتباعه من جزيرة العرب^(١) . ففكرة أسرته وأسر أقرابه لم تكن تمكنه من اتحاد تبت الحصوة التي يبدو أنها لم تنجح إلا في عهد عبد العزيز ابن محمد بن سعود ولا يكر أنه كان لابن عبد الوهاب فصل كبير على العرب بدعوتهم إلى مبادئه الجديدة ، كما لا يمكن أن يقل إن شكل الحكومة التي قامت على أساس دعوته غير بعيد لمصالح الأمة العربية جميعها وروايتها . أما أن العقيدة السائدة والتي يقل أنها محافظة هي لديانة لمحمدية الصحيحة أم الوهابية فامر غير مهم . نكه أصبح مهماً أن يقصى على الشرك الذي انتشر في كل جزيرة العرب وفي جزء كبير من تركيا ، والذي ترك أثراً أكثر صبراً على أخلاق الأمة من الاعتراف . محدود بديانة حاشية^(٢) . وهذا فإن نصيحة الوهابيين ليست أنهم صهروا الديانة سموحدة ، لكن لأنهم جعلوا لعرب يراولون بدقة الأخلاق الإلهية بدين واحد . ذلك أنه بالرغم من أن يبدو في كل زمان عبدوا لله بإخلاص فإن المبادئ الإلهية وحدها لم يكن من المعتقد أن تكفي لتعديم أية حافة صعبه الحراس مروية الفصيه والعد

(١) يبدو أن الشيخ محمد كان يرى في ذلك الأمر أن معناه بعد هي عدم الديانة التي ستعود على أساس دعونه . ذلك أنه حين تأسس الأمر عثمان بن معمر ، أمير المدينة ، قال له : « إني أريد أن أبقيت مصر لا إله إلا الله أن يظهر لك الله ويحدث بحد وأمر بها » . وحين فعل الأمير محمد بن سعود بعد انتقاله إلى الدرعية قال له أولاً مثلاً حديث : « نظر عثمان أن السجدة مع ١ ، ص ٢٢ » ٢٤ و ٢٥

(٢) هكذا وردت العبارة . ولكن بوركهارب قصد أن يقول : إن الأمر الذي تركه انتشار الشرك أكثر صبراً من محافظة ما جاء به الشيخ محمد من أمور خاطئة في نظر خصومه

ولقد دعت رغبة ابن عبد الوهاب وحلمته في إعداد العرب إلى
 لحالة التي كانوا عليها عند ظهور مؤسس ديارهم إلى تغيير وضعهم
 السياسي بمحرد أن رأوا أتباعهم في ازدياد وكان محمد (صلى الله عليه
 وسلم) حفيظه الفداه السياسيس والدينيين لأمتهم ووضح كتب لفنه
 لإسلامي في كل صفحة من صفحاتها كيف أنه من الضروري وجود
 رعيم أعلى في الشؤون اديبيه والديويه وكانت نجد ، التي أصبحت
 مركزاً رئيسي لدعوة الوهابية ، مضممة إلى عدد من المناطق والبلدان
 وأخرى الصغيرة المستقل بعضها عن البعض الآخر ، كان في حالة حرب
 مستمرة وبه يكن معروف فيها إلا بقاوت أنقوي سوء في الادية أو داخل
 سور ابلدان وكان الأمان الشخصي دائماً لا يتحقق إلا على حساب
 امناكيه الفردية وبالإضافة إلى ذلك كانت الحرية عبر المحدودة للقبائل
 البدوية ، وحروبها التي لا تنهي ، وعرواتها ذات السلب واسهب ، قد
 جعلت نجداً ومن حولها مسرحاً لفرصى الدائمة وسفك الدماء ولم
 يمسك عبد العزيز بن محمد دياره على كل نجد إلا بعد كثير من الصراع
 شديد ولأنه لم يعد رعيم قبيلة ، بل رئيس منطقة ، تولي السلطة
 العيب ، وجعل حكمه مشابهاً لذلك الذي راوله الأوائل من أتباع محمد
 (صلى الله عليه وسلم)

وقد رأى عبد العزيز من العيث أن يحاول استرفاق بني حنبله .

(١) لم يكن الأمر ، من أمرة عبد العزيز بن محمد ، الذي حكموا فيه ، رعماء قبيلة ، بل كانوا أمراء
 بدلة ، الذين توسع حكمهم بعد اتفاقهم مع الشيع محمد بن عبد الوهاب أصبحوا أمراء منطقة
 ثم مناطق متعددة ، تاب سعود بن عبد العزيز بعده كانوا أمراء حاضرة

ولذلك تركهم يعمدون بحريتهم ، نكه أجبرهم على أن يعيشوا بسلام ،
وأن يحترموا الممتلكات الخاصة ، ويضعوا قرارات النظام

وهكذا أصبح الرعيم الوهابي بمرور الوقت حاكماً لجزء الأكبر من
جزيرة العرب وكسب حكومته حرة لأنها قائمة على نظام بدوي
دمقراطي فكان رئيس كل مسائح القبائل التي يدير سياستها الخاصة
يسمى بمهي كل العرب مستقيين أحراراً دخل فائدهم باستثناء أنهم الآن
أحراراً على مراعاة نظام بدقة كامله ، وأصبحوا عرصة لمعقوبة إذا حرقوه
وبه يكن لعربي في الماضي يعترف بأي حكم غير بركته الخاصة نكه
الرعي الوهابي أجبره على أن يطيع الأحكام الإسلامية القديمة وقد رمت
هذه الأحكام أن تدفع العنصر أو النصرانية إلى التحاكم ، ويستحق عقوبته
هي كل عروقة ضد المستدعة أو الكافرين وبه بعد مسموحاً به أن يتحاكم
إلى السلاح في خلافه وبه وبين جزيره ، بل حددت له محكمة بظر في
جميع القضايا وهكذا كانت الأهداف الرئيسية للرعماء الوهابيين هي
النصرانية (البكة) ، وتجسد والسلام الدخني ، وودة العنصر الصارمة .

وقد نجحوا تماماً في تنفيذ تلك الأمور ، وبد أنها كانت قد نشب
عن أن تصعب موتهم جهود محمد عني وأمواله أكثر من حياته جيشه .
وبعدهم إلى التحال التي كانوا عليها قبل سنوات مضت وموتوا دخل
آن في مريد من التخصيلات الخاصة بهذه الحكومة المعجبه ، وهي

(١) يقصد ببيت الزكاة ومعنوم الزكاة البو ، عاده هي الباشية وأن حساب الزكاة فيها يختلف
بالتفاوت أنواعه

تفصلات سيد علي أصبح أبواب التي استطعت الحصول عليها من
كثير من شعاة هي محجور



هنا مكتبي .. مكتبة لجمع

شخصية سعود وأسيرة

كان سعود ، لداعية الأكر للتعاليم الحديدية ، أكبر أبناء عبد العزيز الذي اعتلى سنة ١٨٠٣ هـ وأمه بنت محمد بن عبد الوهاب التي أنجبت بالإضافة إليه اثنين هما عبد الرحمن وعبد الله وقد توفي سعود في الدرعية بالحمى عام ١٨١٤ م عن عمر يتراوح بين خمس وأربعين وخمسين سنة^(١) . وربما عزي إلى سوء الحظ الذي حلّ بقومه بعد ذلك فليس يقال إنه كان وسيماً حد يتصف بدمٍ صحيحاً . حميل الذي يشار به أسره وكانت نحبته أصول مما يشاهد بين أسره بصفة عامة ، كما كان اشعر الذي حوّل معه كثيرٌ بدرجة أب اسمه بدر أهل الدرعية « أبو شوارب »

(١) أم سعود بنت أبيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد ورد في صيغة وزارة المعارف الأولى عنوان المجدد (ج ١ ص ٣٠) أن أم سعود هي بنت الأمير عبدال بن معمر . وابن بشر أكثر معرفة عن المؤلف بالشيخ محمد ول سعود . وبعض كلامه هو الصحيح وكان لسعود أخوان : أحدهما عبد الله وقد توفي قبل سقوط الدرعية بأربعين سنة . وذلك أنه ١٢٣٢ هـ ١٨٨٠ م . أم الثاني عمر قد حصل له أولاده إلى سنة ١٢٣٦ هـ ، وتوفي هناك . انظر كتاب ابن سعود . عبد الرحمن . الشيخ ، ص ١٣ - ٤ .
وسم يكن لسعود أخ اسمه عبد الرحمن

(٢) ولد سعود سنة ١١٦١ هـ ، وتوفي سنة ١٢٢٩ هـ . ويذكر كتاب عمره ثمانية وسبعين عاماً حسب

التاريخ الهجري . انظر عنوان المجدد ، طبعة وزارة المعارف الأولى ، ١٣٨٧ هـ ، ج ١ .

ص ٢ و ١٧٤

ويمدح كل العرب ، بمن فيهم الأعداء ، سعوداً بحكمته في التخطيط ، ومهارته في حل المشكلات وكان عالماً بالشرع الإسلامي ، صراماً في العدل ، ومع أن كثيراً من الرعماء قد شمار من ذلك إلا أنه جعله محبوباً لدى غالبية العامة من عربيه وسيد بدييه عهده لم يحارب شخصياً في معركة ، لكنه كان دائماً يوجه جيشه من منطقة بعيدة نوعاً ما هي المشوخرة ويقود العرب به حارب مرة في معركة إلى جانب أبيه عبد العزيز وعمره اثنا عشرة سنة^(١) .

وسعود من روحته الأولى المتوفاة ثمانية أبناء أكبرهم عبد الله الذي احتل المرتبة الثانية في السطة خلال حياة والده ، والذي خلفه في تولي السطة العرب بعد وفاته . ويقال : إن عبد الله قد استطاع أن يعدو بمهرته وعمره خمس سنوات ، وأنه أمر في الشجاعة من أنه إذا كان من عادية دائماً أن يقابل شخصياً في كل مكان وكان مسهوراً في عهد أبيه أن صفاته العسكرية من الدرجة الأولى ، كما كان يعد أعجابه في لحكمة العقل لكن لإجرائه التي اتحدتها في مقادير محمد علي برهس - فيما يبدو - على أنه يكس له من لقدرات مثل تلك التي كسب لأبيه وهو مقتدر في صحراء علي أساس كرمه وأخلاقه الاجتماعية وقد روج امرأة من عرب رغب في منطقة الأحساء .

(١) تظهر على عبد سعود وسيرة في ذلك عنوان المجد ، ج ١ ص ٢٨ - ٢٢٢

(٢) كتاب أول عهود لزامها سعود مع جدوون بن ميسر عام ٨١ هـ - نظر المصدر نفسه ، ج ١ ص ٦٥

وإذا كان هذا هو الصحيح فإن عمره عندما عز إلى مرة كان عشرين سنة يعني عام ٨٢ هـ - غير بلده الزبلي وهذه أول مرة يعود فيها الحيوس - نظر المصدر نفسه ج ١ ص ٦

أما إحوة عبد الله بن سعود فأشهرهم بين العرب فيحصل الذي عرف
بأنه أومم وألطف رجل في الدرعية ويحبّه العرب جداً وقد حاص كثير
من أنصاره في الحجارة ضد الحشود الأتراك^(١)

وكان أخوه ناصر الابن المنفصل لدى أبيه سعود وقد قتل في عزوة
ضد مسقط^(٢) وعالياً ما قاد تركي بن سعود هبات حاطمة من الوهابيين
داخل العراق وضرب سوريا^(٣) . وللسعود من زوجته ثلاثة ثلاثة أبناء هم
عمر وإبراهيم وعهد^(٤) .

وتم يسمح سعود أبداً لأبنائه أن يمارسوا أي نفوذ في الشؤون العامة
بإستثناء عبد الله الذي كان يشترك في كل خطته ، لكنه كان يحبهم
حد ولا زال سكان مكة يرددون سرور كيف كان سعود ذات مرة
حائساً وقت أصبح تحب باب الكعبة في حين كان أباه يكسوها

(١) قتل فيصل بن سعود في أثناء حصار الدرعية سنة ١٢٢٣ هـ نصر عنوان المجد ،
ج ١ ، ص ٢٧٢

(٢) ذهب ناصر بن سعود مع أخويه تركي وسعد إلى جهات عمان سنة ١٢٢٥ هـ دون إذن أبيهم الذي
كان يؤدي الحج حينذاك فغضب عليهم ، وأعادهم من هناك وبعد قدومهم إلى الدرعية مرض
ناصر ، واستمر به المرض شهرين ، ثم مات دون أن يعود أبوه ؛ وذلك بحالته لأوامره انظر
عنوان المجد ج ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥

(٣) كان تركي بن سعود ممن دامح دفاعاً شجاعاً عن الدرعية وقد توفي مريضاً مرض بهاء حصار مكة
المدينة انظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٦

(٤) أن إبراهيم عثقل في أثناء حصار الدرعية انظر المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها وأما عهد فاسم
الصحيح عهد لكن الجديس ، بهمه عاصمة ، كثيراً ما سُمِّوا النساء ومن يوركنه سمح
الاسم مصغر فأورده كما سمعه وكان عهد وعمر ممن بعدهم إبراهيم باشا إلى مصر سنة
١٢٣٤ هـ والذي لم يذكر يوركنهبت أسمائهم ، هـ ، من أبناء سعود هم مشاري وسعد
وعبد الرحمن وحسن وعبد انظر آل سعود ، ص ١٦ - ١٧

بكساء جديد وجموع الحجاج العميرة يتصوفون حولها وهي تحت اللحظة
انقربت روجة به فهدى تحمل أحد أطفاله الصغار وكانت قد وصلت
لنوها إلى مكة لأداء الحج ، فاتجهت إلى سعود مسرعة كي تراه الشخص
الذي سمى يسرى أن راء وأخذه معها ، فقبله بودّ وحنان وبحضرة كل
لحجاج المحيطين به صنفه إلى صدره برهة عبر قصيرة

وكان لدى سعود بالإضافة إلى روحاته عدد من الخواري الحشيات
كأنه هي عادة كبار الجديس وهو يسكن مع أسرته كلها في قصر كبير
بأه أبه على منحدر الحب فوق مدينة لسرعة بديب وبكل واحد من
أسرته وأسرهم وروحه سلسلة من المسالك المنفصلة في ذلك القصر
ويقال إنه كانت لديه غيره من إخوته ؛ إذ لم يمتهم أبداً بأنه بطيء
مهمة ، كما سمى بأذن منهم بمعدرة الدرعة وهو يحفظ ثرواته في قصره .
ويستقل فيه كل الذين يأتون إلى الدرعة لقضاء بعض الأعمال وهناك
يسكن الأمراء الكبار ورؤساء القبائل المهمة ، ويستضيفهم عند وصولهم
في حين يسكن من هم دونهم مرة مع معارفهم في المدينة لكن إذا
كان هؤلاء قد أتوا إلى الدرعية لمرور ما فإنهم قد يأتون النساء أو مهجرة
في قصر لرعيهم ، ويأخذون منه يوماً طعاماً خبزهم وخبزهم محان . ومن
السهل الاعتقاد بأن لقصر كان دائماً ملتأ بالصيوف .

وكان من اليسير دخول أي إنسان إلى سعود . لكن كان من
الصعب الحصول على مقابلة شخصية معه دون رعيته خاصة وكان

(١) المعروف أنه كان بكل من أخوي سعود قصره الخاص

لديه عدد من البوابين المصريين الذين يدخلون الناس برشوة إلى المسكر الداحية خلال ساعات غير عادية . وكانت أصغر طريقة للدخول عليه أن تنظر أمام المسكر الداخلي حتى يمر أحد الرؤساء فتدخل مع مرافقه وكانت محادثة العامة في الصباح الباكر ، وبين الساعة الثالثة والسادسة عصر ، وفي مساء ومن عاده أن يجمع بعد انشاء في العرة الكبيرة من عصر كل أساتذة الدين في الدرعية . ومن رغب في معابته انضم إلى عدد يدائرة لأسره . وحيث يقرأ أحد العلماء صفحات من القرآن أو الحديث ، ويشرح النص ضيقاً لتفسيرات أحسن المفسرين وبعد ذلك ينفي علماء آخرون محاضرات بالطريقة نفسها ثم ينهي سعيد اللقاء ، عادة . تشاور لكتاب وشرح كل فترة صعبة منه ويقارن به بصاهي - وربما يفوق - أي عالم في معرفته ويجادل أن يبي ويفقه بصفة عامة . وكان لإعجاب بصاحبه من الأمور يستحق عليها : فقد كان صوته جهوريً وحلو في الوقت نفسه مما جعل العرب يقولون « إن كلماته كلها تصل إلى القلب » . وفي تلك المناسبات كان سعود هو منكمه الوحيد . نكر يحدث عادة أن مسائل الفقه تحتاج إلى مناقشة وهذه تخرج صره أحد ، فتجعله يجادل بحدة عظيمة ساحر من حصمه وموتحاً له على جهله بالساصرة وبعد أن يستمر اللقاء حوالي ساعة ينهيه سعود بقوله « والله أعلم » . ويعلم الذين ليس لهم عرص معين أن ذلك التعبير إشارة لهم ليعادروا . أما الذين يريدون سعوداً فيقولون حتى الساعة الثانية بعد غروب الشمس . وهذا المجلس ، أو اللقاء ، يعقد يومياً وكان سعود يقيم جدلاً على أي عربي يحاول أن يحدده أو يكذب

عليه فإذا حدث شيء من ذلك أمسك عصا ، وضرب المجادع أو الكاذب بنفسه . لكنه سرعان ما يدم على تلك النوبات الالهائية ، ويرعب من المتفرجين دائماً أن يتدحجوا ويستعوه من ضرب أي إنسان متى رآوه عصا . وكان هذا يحدث كثيراً ، فيعبر عن شكره لذلك التدخل

وبادراً ما ترك سعود قصره خلال إقامته في الدرعية باستثناء ذهبه إلى المسجد المجاور به لأداء صلاة الجمعة . ويعبر العرب ذلك إلى حرفة من أن يبقى مصيراً مثل المصير الذي لقيه أبوه ؛ وهو الاغتيال . ومن المؤكد أنه كان له أعداء من العرب يتصدعون يثأروا بدماء أقاربهم التي سمكها . ووجدوا أية إمكانية لنجاح محاولاتهم لقتله . لكن أصدقاءه يقولون إنه كان مشغولاً في قصره صيلة اليوم بالدراسة . ومن المعروف أنه مضى عدة سنوات بعد موت أبيه وهو يلبس درعاً تحت ثوبه ويقول سكان مكة : إنه كان دائماً محاصراً بحرسه الخاص خلال إقامته في تلك المدينة ، وأنه لم يكن يجرؤ على الاقتراب منه أي عريب وحده . بل إنه لم يكن يذهب إلى الحرم أو يعترف بالكعبة بلون عدد كبير من أتباعه ، وأنه كان يختار مكانه خلال الصلوات في الحرم لا كتب يعمل المتميزون ، بصلة عامة ، في المقام الحسيني ؛ بل يرتقي فوق سطح غير رسم لأنه أكثر أماناً ، ويصني فوق ذلك السطح الذي يمثل المقام الشامي

وكان سعود يرعب من الناس أن يبقوا جالسين حين يظهر إليهم لا في قصره فقط ؛ بل في أي مكان تابع له . وفي مجلسه المسائي يجلس كل امرئ في أي مكان يجده مريحاً له . لكنه كان مهووماً ، على

العموم ، ان الأسراء الكبار يحب أن تكون أماكنهم قريبة منه ، أما أساؤه
 انصهار في حسون بين العامة مصعبين إلى كل ما يقال فكهم لا
 ينكسبون أبداً ، وإذا دخل العرب ، عادة ، عليه صافحوه بعد أن يسلموا ،
 فسأل بأدب عن صحة وأحوال كل من يعرفهم في المجلس وكان
 المشايخ الكبار يتنادون معه الفصل عند وصولهم إلى قصره حرباً على
 إعادته إلى دياره ، ولم يكن هناك لقب معين لمخاطبته ، بل يكتفي الناس
 بقبولهم ، ٥ ي سعود أو أبو عبد الله أو أبو شوارب ٥ وكان هو ،
 أياً ، يدعو كل إنسان باسمه دون أي من تلك العبارات الرسمية أو
 الشخصية المستعملة كثيراً بين الأمم شرقية بصفة عامة

ولم يكن سعود يحتلف في اسمه عن غيره أنفسهم ، إنه لا يكن
 يلبس إلا عتاءة وثوباً وعمامة ٥ ومع ذلك يفرق به كان يحار تلك
 الملابس من ثوب ما هو موحود في الدرعية ، وإنه كان يضيف إلى سرجة
 بوسوس ، وإنه كان دائماً يصطحب عمامته بالرماد

وكان إتيان سعود الرئيسي هو ما يهتمه على صوره وحيد ، ويقال
 به كان يحمل ما لا يقل عن ألقي حصان وخرس ، منها ثلاثمائة أو
 أربعمائة في الدرعية دائماً ، وبقيةها في منطقة الأحساء حيث يوجد

(١) مجلس العامة في نجد صبحه الرفع عند النداء في كل الحالات ، ولست أبيت للمعبره على ما هي
 عليه لدى المؤلف ، من المرجح أن الأمر لا يخطبون معروفاً ، أي شوارب ، وإن قالوا عنه ذلك
 في عيابه

(٢) يسمى أهل نجد ما يسمى فوق الرأس عترة أو شعاعاً ،

لأغلاف المتارة^{١١} . وكان لديه أحسن المهار العربية وقد أخذ بعض هذه نحبون من أصحابها الأصليين عقاباً على سوء تصرفهم أو صربيته لكنه اشترى أكثرها بأثمان باهضة جداً فمن المعروف أنه دبع مسعاً يساوي خمسمائة وخمسين أو مئتمائة حبة استرليني ثماً نفراً واحدة وقد سمح سعود لكل واحد من أبنائه بالتحاذ حاشية مكونة من مائة أو مائة وخمسين حبة لا . غير أنه كان لدى عبد الله في حبة أكر من ثلاثمائة حبة . وبالإضافة إلى تلك النحل كان لدى سعود كثير من إبل الحبيبة التي توجد في جزيرة العرب .

وكان عدد أفراد بيت سعود الخاص بالمرءاء الذين يقيهم يومياً سراح ما بين أربعمائة وخمسمائة نفر وكان الأمر يفتح بمسوق (الجرش) ويسمر ويحمه لصار هي الأصباق الرئيسية لديه وقد سمح لأبنائه النعمان والمشايخ الكبار أن يأكلوا معه وكان طعام هؤلاء المعتاد للأمر ويحمه لصار . أما العامة من المرءاء فكان يقدم لهم الجرش والسمر^{١٢} ويبدو مما استطعت أن أعرفه عن طريقة معيشته وأسعار البئر

١١ ذكر في بشير آل سعود « سند من الحبل العناني ألف بدرعنه فر » . طر عنوان المجلد ج ١ ص ٢٢

١٢ ذكر في سر عاده سعود في الصياح هذا

بأن سمره نصيبه ذكر لي أن حاربه يخرج صيف كل يوم خمسمائة صاع من سمر والأمر . وكان للمصابني ثمونكل بالصيف يدعو أضيافه بعدد من بعد الظهر إلى بعد العشاء الآخر . وكان من خل من نصيب طعامهم اللحم والأمر والحبر . ولدى بعدهم قريب من طعامهم والبقلي حقه خالصة على حسب مراتبهم في الإكرام . وأما بعدد من طسوع الشمس إلى اشتداد النهار على مراتبهم في العشاء . انظر عنوان المجلد ج ١ ص ٢٣٠

في حشد أن مصروفاته العامة كانت تتراوح بين عشرة آلاف رائي عشر ألف جنيه استرليني ، وذلك عدا ما يعمه على الحرس الخاص الذي كان يدفع من انحرابه العامة . وحلأفاً استفايد التركيـ والبدويه ثم يعم سعود بدأً عيد سحتان في قصره لأنه بقول : إن ذلك - يكن يعمل في صدر الإسلام - كحه أدب لقومه أن يستو أنفسهم في ذلك المصائب وكان ، أيقب ، يحتفل بزواج أبنائه بأبهة عظيمة فحيما روح ابنه فهيب ابنه عمه اسم احتفل الزواج في اندرعه ثلاثة أيام دبح في أسود الأول ثوب ست - أخو سعود - لصبوف مكوكيس من جميع رجال أهل اسدد وعدد من العرب . ربع باقة وخمسائة من أنصاب ودبح سعود نفسه في اليوم الثاني صبوفه مائة باقة وثلاثمائة من الضال . ما في اليوم الثالث فقد صيـف أخوه الآخر كل أولئك الرززين

وكان لدى سعود في قصره عدد من المعائيل اسود وجر يسمح أدأ لأية واحدة من روحانه أو حواريه أن ترصع أصفاها المذكور . من كان يقوم بذلك مرصعات مختارات ، بصفة عامة ، من بين مملوكاته الحشيات وكان مثل هذا التقيد موحوداً بين أسراف مكة الذين يرتوب أظفاهم بصغار بين القبائل البدوية المجاورة ، ولا يقوهم في بيوت

(١) ذكر المؤلف أن الذي استضاف الزائرين في اليوم الثالث واحد من إخوة سعود الآخر . لكن من المعروف أنه كان لسعود أخوان فقط فإذا كان أحداهم أباً الب فبده من الأسح واحد

(٢) ذكر ابن بشر أن معائيلك سعود ألف زماخان من الذكور والإناث انظر عنوان المعجم . ج ١ ، ص ٢٢١ . وربما كان في ذلك مبالغة نوعاً ما .

آياتهم الخاصة أكثر من ثمانية أيام وبهذا الأسلوب تربى محمد (صلى
الله عليه وسلم) بين قبيلة عدوان^(١) .



ها مكتبي .. مكتبة للجميع

(١) المعروف بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، تربى عند بني سعد . انظر الروض الأنف في شرح
السيرة النبوية ، عبد الرحمن السهي ، تحف بنو الرحمن اليكس ، القاهرة : دار الكتب الحديثه
١٣٨٢ هـ : ج ٢ ص ٤١ . على أن كلاً من بني سعد وعدوان سبوا إلى قيس عيلان

الحكومة الوهابية

الحكومة الوهابية حكومة استقرائية على رأسها أسرة سعود وقد قسم مناطق بيوده إلى إمارات تضم القبائل العربية التي أصبحت مستقرة ولكن قبيلة بدوية كبيرة أمير أو شيخ وبني هؤلاء مرتبة عدد من الرعماء اصعد . وكان الرعية الوهابي يصح مشايخ الدر الكبار الذين تشعب قبائل صغيرة لقب أمير الأمراء وكانت إمارات الرئيسية هي الأحساء والعارض . التي يديرها سعود نفسه ، والفصيم وحل شمر والبحرين (مكة والمدينة) وانحجار (ويقصد به لدى ابدو الحال الواقعة جنوب الطائف) والممر . وأمراء تلك المناطق يقدرون العدى ، لكنهم يسوق قضاة لأن سعود يصع قضائه الحاصين في كل مكان . وكانت سلطة الأمير على العرب محدودة جداً ؛ إذ لا تزيد كثيراً على ما كان لمشايخ البدو المستقلين سوى أنه يستطيع أن يحصع لنشرع المحفظين بسجهم وتعريضهم على عدم طاعتهم وإذا ارتكب هو ظمناً رفع المظنوم التماساً إلى الرعية الأكبر ولذلك فإن لدرعية دائماً مملوءة بالعرب القادمين من أقصى البقاع لشكوا رؤساءهم وأهم واجبات لأمرء - إلى جانب تصيد العدل - تحييد الحدود لنحيش الوهابي ، ومساعدة حياة لركاة

(١) من الإشارات المهمة لتأدية سعود والتي لم يفكرها الثرث الثرم وسدير روادى النؤسر والخرج بالقضيف وجهاب عمان والمراد باليمن، هذا، المخلاف السيماني أو ما يسمى منطقته حازال

وهي رمز الحرب يكون سعود من أمراء المصطفى ورؤساء البدو
 الكدر محبباً بشوارر أن في وقت السلم فإنه لا يستشير إلا أعماء
 الدرعية وهؤلاء يتشاورون بصفة عامة إلى أسرة بن عبد الوهاب ،
 مؤسس المرقعة الوهابية . وهم كثيرون في الدرعية ، ولهم نفوذ كبير
 وتحتل هذه لأسرة أولاد الشبح ولا أعلم بالصلب من هي الحقوق الباقية
 في الامتيازات التي يملكونها ، لكنه من المؤكد أن سعوداً يستشيرهم في
 كل أمر مهم قل أن يتحد مرره لنهائي حياله وقد يبدو الوهابي
 حاكماً مطلقاً ، لكنه يعم جيداً روح عربية بحيث لم يحاول أن يحكمهم
 بطريقة سبعية ، فأبقى الحريات الفردية كما كانت في الماضي ، وسأ
 أنه يدير عدد بصفته زعيماً قادراً أكثر من كونه سيداً مستحريه العربي
 وكان في لوقع تحت مراقبة أمراءه الذين منهم نفوذ كبير في مناطقهم
 والذين سيحاولون استغلالهم قوياً لو غلبتهم بصله وقد أثبت شواهد من
 هذا النوع روح مقاومة ضد السلطة الاستبدادية التي لم يحصل عليها
 لبدو أبد وكان أمراء المصطفى مراقبين في تصرفاتهم من قبل الأعماء
 الصغار ولذلك يوجد دائماً عشر صغرة مستعدة للدخال على حثها ضد
 تسلط الزعيم الأكبر ، ندي كان يوحده لهم جميعاً تحت ظل حكومة
 واحدة قد نجح في توطيد النظام في حريته العرب مما كان مفيداً للأمن
 العام والمصالح الخاصة^(١)

(١) كان سعود من القوم بحيث يعزل من أراد من أعماء القبائل وأمرء المنطقة وكان الجميع يحضرون
 بأسماء فلا يعصون أوامر . على أنه كان يخاصة بالأحكام الشرع وعادك

والحكومة الوهابية لأن (١٨١٦ م) وراثية هي الأسرة السعودية
 وكان عبد العزيز قد طلب من المشايخ الكبار أن يبيعوا به سعوداً
 بالحكم بعده^(١) وبعد وفاته تولى سعود الحكم دون معارضة . وبالمطابقة
 نصها ببيع أولئك المشايخ عند الله وأبوه سعيد لأبنا حيا ، وعلى أية حال
 فإن العرب لا يرون من الضروري أن تكون الإمارة من الأب لابن فقد
 كان بالإمكان أن يعيّن سعود أحد أعمامه بحلفته وحتى الآن يمكن أن
 يصرح بأن الطدم القائم في الدرعية مثل دست النصر لقائم في الصغرة
 العربية كلها ، وهو انتخاب الشيخ من القبيلة

والزعيم الوهابي يعيّن زعماء المدن والمناطق وقبائل ويعرضهم كما
 يريد . لكنه ، بصحة عامة ، يثبت من اختيار العرب أنفسهم . وقد يرضى
 زعيم علي أنه محض تقصينه سمع لآله أو أحييه أن يخدم

(كانت البيعة قد أخذت بسعود ليصبح حاكماً بعد أبيه سنة ٢٢ هـ (١٧٨٦ م) انظر روضة
 الأفكار ج ٢ ص ١٣٧ .

كانت كل الصحراء واحداً ابداعية هي جريده العرب سابقاً
خاضعة لحاجة الموصى التي لا تزال قائمة بين تلك القبائل التي لم تنس
ابو هيبس ، والتي وصفت في حديثي عن البدو وقد عثم عبد العزيز واسه
سعود قومهما على إطاعة المصام ، واستحاطة على الأمن العام ، واحضوح
في خلافاتهم لقرار انصاء دون أي لجوء إلى السلاح وكان عبد العزيز
أو من أرسل قصاة إلى كل المناطق الخاضعة له وقد احتارهم من بين
أكثر علمائه ممدرة واستقامة ، وقرر لهم مكافآت مسوية من لحزبة
العامه ، أو بيت المال ، محرماً عليهم أن يقبلوا أجرة أو رشوة من
المستحاضمين^(١) . وكان أولئك القصاة يحكمون بين الناس صفاً لأحكام
القرآن والسنة وكان على العرب جميعاً أن يدوا بمراعات قصديهم
أمامهم لكنهم قد يصبون استشفاف الحكم بعد ذلك من الرعيم الأكبر .

وكانت الخطوة التالية حماية البلاد من اللصوص . وقبل أن يحصل
عبد العزيز على قوة كافية كان يسيطر على كل جزء من نجد ؛ بل من
جريدة العرب ، فكانت متعددة وكانت الأعداد الكبيرة للولايات المستقلة

(١) كان بين قصاة نجد : مشهم مثل غرهم من القصاة في كل مكان ، قبل دعوة الشيخ محمد بن
عبد الوهاب من يأخذ أجرة على المستحاضمين من أهل العصب بينهم وقد عد الشيخ ذلك رشوة ،
وحرّمه . نظر عن هذا الموضع كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤١

قد جعلت من المستحيل تحقيق أس د حي قري لكن عبد العزيز
 — ويقدر أكبر ابنه سعود — جعل العرب مسؤولين عن كل سب يرتكب
 داخل أراضيهم إذا لم يكن اللص معروفاً ومن كان قادراً على إثارة أو
 مقاومة عرو معادٍ للحييم أو بددة، وأخوره أسيل أو الشجاعة لبقيد بدست،
 عوقب بعرامة مادية مساوية لعدد الديار أو الممتلكات لأخرى التي هي
 لنصوص وهكذا جعلت كل قبيلة ساهرة على حماية حيرونها والعرباء الذين
 يمترون عبر أراضيها . وندمت توقف تقريب كل لهاب لفردي واحمدي بين
 كل من حاصرة الحرية العربية وبديها ، التي م تكن في الماضي تسبح بطنيء
 أكثر من انتهاجها بالسب والهب . ولعمرة لأول مرة مد عهد محمد (صلى
 الله عليه وسلم) أصبح الناحر يستطيع أن يخرق وحده صحراء الحرية
 عربية بأمان تام ، وأصبح السور ينامون دون خوف من أن تؤخذ رؤوسهم من
 قتل اللصوص البليين^(١)

ويبدو أن الرعيمين الوهابيين كانا حريصين ، بصفة خاصة ، على
 أن يتأكد عربهم العادة التي نهها من عقابهم الأعداء بأنفسهم ، و
 عدوانهم بأيديهم . ولذلك حاور سعود ، بالذات ، إلقاء نظام الأحـ
 بانشار ، وجعل العرب يرصدون بدية تدفع إلى أقرباء المقتول . نكه ه
 بسجح في ذلك المعيار نجاحاً كاملاً . فكثيراً ما أجزر أسرة المقتول على
 أحد لدية رد عرصها من قدم بالقتل لكن إذا أجد بالثأ قبل أن يأمر
 بأحد الدية فإنه لا يجانب من ستمثل تلك الحقوق العربية القديمة

(١) أورد بن بشر ملاحظات عن الأمن العظيم الذي حدث زمن الإمام عبد العزيز بن محمد وأنه سعود

انظر عنوان المجلد ، ج ١ ، ص ١٦٨ - ١٧١ و ٢٢٢

وإذا حدث برع بين أنصاع سعود وتوثر ، وناصر أقارب كل من
انصرف قصبة قريبهم - كما هي عادة العرب - وسعكت الدماء في الصراع
أذن بلا رحمة كل أولئك الذين تدخلوا في الموضوع ، وعاقبهم بما تأخذ
حيلهم وإبلهم وأسديحهم و بمصادرة أموالهم وإدخالها في بحرية العدة
نُدوية

وإذا حدث شجر بين الناس ، واستل أحد المتنازعين حجاره على
الآخر فحرقه وضع سعود على المتنازحين عرامة ثقيلة سماحهم أن يصل
الأمر إلى ذلك الحد وإذا بدأت قتلان شجرات رغم انهواين الماعة
لشجرب أرسل سعود فوراً رسلاً إلى مشانحهم ، وحثهم على انصاح ،
وأصعب على كل قبيلة عرمة ، ومحضر كلاً منهما أن يدفع إلى الأخرى
ثبات الفتي الذين سقطوا في بدايه الموشات وقد أمر الصائل أن يرفع
دائماً خلافاتها لعدم إني محكمته التي كان قراره محيلاً حدا بحسب
أصبح معروفاً أن مملوكاً ربحاً واحداً من رجاله قبض بأمره على شيخ كبير
وسط عشيرته الحاصة ، وأحضره أسيراً إلى الدرعية

وقد اشتهر سعود بأنه رجل عادل حد ، لكنه كان قاسياً إلى حد
ما في أحكامه على المعتدين وقد ساعده بماذا بصيرته على اكتشاف
زور الشاهد فوراً ، فكان يحاقبه دائماً بطريقة فريدة وعلى أنه حال فإن
معافته لم تكن قسوة جداً وقد أكد لي أنه مدودة أبيه ثم يقتل في
الدرعية إلا أربعة أو خمسة رجال وبما أن الدوا نادراً ما كانت لديهم
مفود فإن سعوداً كان يعزهم حياً وإبلاً وعسماً ، وكانت تلك الصرامة هي
التي أثارت عنده كثيراً من الأعداء من عرمة أنفسهم فلم يكن يحترم أبداً

الحماية التي يمنحها العرب الآخرين لسبب وقد أُلقي بظلم الدهل في كل مواطن حكمه ما دامت قد تستعمل في هذلات شخص من يد العدالة وهذا قتل عربي رجلاً آخر فله أن يبحث عن حماية صديق ينفذ بصفه من ثأر فوري على أيدي أقارب المقتول ، لكنه كان يستطيع أن يبقى تحت نكث الحماية فقط حتى يطلبه الشرع ، ويجب عليه حينئذ أن يستجيب

وكان المشايخ الكبار يعصون نوعاً من الحماية للمدنيين المتهمين بجرائم صغيرة وفي مثل هذه الحان يصع العربي الخائف من المثل أمام سعود نفسه تحت حمايه شيخ به يهود عند ذلك الرعم ، فستفهم التبيح به عنده ، ويصبح في الغالب في المحصور على صفحه عن عقابه أو يحجب العمد إلى عرامة مالية صغيرة

وكانت الحرمة التي كثيراً ما عذب عليها سعود ثنائه اخلاصهم بالمستعسب وهي بداية نشر العقيدة الوهابية كانت أكثر الأوامر صرامة من تقطع كل الاتصالات بين الوهابيين وبين الأقوام الأخرى التي لم نفس بعد العقيدة الجديدة . فقد كان يقال إن السيف وحده هو الذي يجب أن يستعمل في محادثة تلك الأقوام . وبما أن أهل نجد ، على أية حال ، كانوا قد اعتادوا كثيراً على الذهاب إلى المدينه ودمشق وبيضا والأقطار المحاوره الأخرى فإنهم حافظوا تلك الأوامر باستمرار . وبذلك وجد سعود أنه من الضروري أن يحجب صرمة هذه الموصوع بل إنه في آخر فترة المحج السري تعاضى صمياً عن قومه بقل المؤب للقوافل ، وأحد هو دولار على كل بعير أجره قومه . لكن باستثناء ذلك العمل لم يسمح أبداً

لأبي واحد من قومه بالاتجار مع سوري أو بغداد إلا بعد سنة ١٨١٠ م
حين بدأ العزو المصري . ومع ذلك فإن لقانون طن ياقب ، وهو أنه متى
وجد وهدبي سوء كان بدوياً أم تاجر في طريقه إلى أي قطر يدعى - مهما
كان اتجاه ذلك لطريق وطبيعة احتمولة - فإن ثروته ودونه يجب أن
تصادر وتدخل إلى بيت المال لكن لو كان عائداً من قصر يدعى فإن
ثروته لا تصدر .

وهم نكس الضرائب التعسفية ، وهي تسمى عونة Avarias في
الشرق ، معروفة على الإطلاق في اساطير بوهابة إذ لم يطلب من أحد
أن يدفع أكثر مما كان عليه أن يدفعه إلى حبة أركه أو صرية جزء عن
جود ريكه . وكان الأعياء محميين تماماً من حشع الحكومة وربما
كانت تلك البلاد هي الوحيدة في الشرق التي يحدث فيها ذلك الأمر
فشار مكة لأعبي الدين تحوي مسودعاتهم أحسن ملابس لبدوية لم
يجبروا أبداً على دفع أي مبلغ من المال ؛ بل لم يجبروا على إهداء أية
هدايا ثمينة إلى سعود

وعنى أية حال فإن العرب يصحبون من نوع المطالب المبررة
عندهم بأوامر رعيهم المتكررة ليتحققوا به في عرواته ضد المبدعة . وفي
مثل تلك الظروف كان عليهم أن يؤمروا بأنفسهم طعامهم ولباسهم أو
حبلهم ، ولم يكونوا يحصلون على شيء مقابل ذلك إلا ما قد يأخذه من
اعنائهم . ولهذا فإن تلك العروات كانت باهظة الثمن بالنسبة لهم ومن
باحية أخرى فإن أي إنسان أثار سخط سعود بحط صغير من المؤكد أن
يغال رضاه بالتعاقبه بعرواته

ولقد سَرَّ الأمر الذي نتج عن الإدارة الصارمة للعدل كل أولئك الذين كانوا معرَّضين لسهب والعرضي من أي نوع . ولهذا فإن حاضرة نجد وإنحجار واليمن أصبحوا محبوسين حياءً للطعام الحديد لأبهم عاشوا كثيراً من مساوئ الماضي . وأصبحت القوافل المحمَّلة بمنتجات البلاد تمر عبر تلك المناطق دون التعرُّض لأذى . ولم يعد الناس أبداً خائفين من تقطيع محصولاتهم أو تحريضها بأيدي القبائل الرحل . ولكن البدو الذين عاشوا دائماً على هيب لأحرار ومهاجرتهم كانوا على عكس الحاضرة . وقد وجدوا من الصعب أن يطيعوا حكومة ماديها الأساسية بوجهة صد سبب حياتهم . ولذلك لم يكن عرباً أن قامت بعض القبائل البدوية الكبيرة تبني العصدة الوهدة حتى أخرجتها على ذلك قوة كبرى . وقد برهنت بثوراتها لمكررة كيف كنت مصايقة من لاصباط الذي أدخل على أسلوب حبيب . إضافة إلى كرهها لدفع الزكاة

كل هذا كان من المعروف أن سعود حاكم صاري حياءً في حالات لأعداء ، وعيد تحده أعدائه ، فإنه كان مشهوراً ، أيضاً ، بحرارة صداقته واحترامه لمحبيس القدمى من أتباعه . وكان أي شيخ أثبت وده لسعود قادراً على أن يعتمد على حمايته الدائمة ومساعدته في الشدائد إلى حد يعوضه عن كل ما فقد في سبيل خدمته مهما كان كبيراً

وكان أعظم عذاب للمجرم أمر الرعيم الوهابي بحق لحينه وهذا ما كان يفعل فقط بالمشهورين أو المشايخ الثائرين ؛ وهو بالنسبة لبعضهم إهانة أشد وطأ عليهم من الموت . وكان من خلقت لحينه منهم يحاول أن يحتفي عن لأتدر حتى يست شعرها مرة أخرى . وهناك قصة مادية حول

هذا الموضوع تنسب إليه الحقيقة العربية . فقد رغب سعود مدة طويلة في أن يشتري فرساً لشح من قبله شمر . لكن صاحبها رفض أن يبيعها إليه بأي ثمن . وحدث أن شيخاً من عرب حضار حكم عليه بحجز حبه حرة . ولكنه وحسب أخرج الخلاق الموسي في حضرة سعود صرح نسيح قائلاً : يا سعود نأخذ فرساً الشمر عوصاً عن لحنى ؟ * وأخذت العقوبة . وسمح لشح أن يذهب يشتري فرساً التي كلفته ثمنين وخمسمائة دولار ، وثمن أقسم صاحبها أن يبيع من المال به . لكن بيحه يترط به ، ولكنه فعل ذلك لبعد حبه من حضار عسى أن ذلك كان مالأ بادر أن سعداً ، فصر مرراً عوصاً ماله كبيره لإداء عقوبة حو لحنى

وسوف أذكر ، هنا ، بعض القوانين الوهابية المعتمدة على القرآن وأقوال محمد (صلى الله عليه وسلم) .

يجب على المجرم ، أو السارق ، أن يعده ما سرقه من بضائع أو يدفع ثمنها . وإذا كانت السرقة غير مصحوبة بحالة عنف فإن السارق يسجن من عقاب غير ذلك سوى عرامة تدفع إلى بيت المال . أما إذا كسر اسارق باباً حين قيامه بالسرقة فإن يده تقطع . وإذا قتل إنسان حصمه في راء بحجر أو مسدس حكم بقتله . لكن إذا قتله بضربة عصا أو حجج عدّ قتل غير عمد ، ودفع الدية فقط لأنه لم يكن مسلحاً بسلاح مميت .

والدية لدى الوهابيين محددة بمائة ناقة طبقاً لما وضعه أبو بكر^(١) . وقد قدر سعود ثمن كل ناقة ثمانمائة دولاراً أسبانية . وبذلك

(١) الذي حدد ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم

فإن الدية ثمانمائة دولار .

ومن شتم وهابياً أو كتمه تعرّض لدفع عرامة مالية كبيرة وتعريف الشتم محدد تحديداً دقيقاً لدى الرهابيين . وأساءه وليس خاصصاً بلقبون - تسمية الإنسان كلفاً . والشتم السائر أن تقول : « يا الفاعل التارك » أي يا فاعل الشر أو لمسكر وبارك المحير أو المعروف

والأحشاش التي تربط بها أقدام السجناء؛ وتسمى الدباب^(٢) ، خاصه بالطبيعة الدنيا من الناس أما الشخصيات المتميزة فيسحبهم سعود في قصره الخاص وهؤلاء هم الذين يحكم عليهم بدفع مبيع من المال ، فيدعون الفقر ، ويرقصون أن يدفعوه وفي بعض الحالات يقربون في السحر حتى يدفعوا ما عرض عليهم

وعقوبة إهمال لواحيات الدية صارمة جداً وقد سب أن ذكرت عقوبة تارك الصلاة . وحين يتولى سعود على المدينة أمر بعض أساعه أن ينادوا بعد لصبرات في المسجد كل رجل بالغ من السكار باسمه وكب على كل واحد أن يجيب على أفراد وحينئذ أمرهم أن يحضروا لصوت بانظام . وإذا تعي أي واحد منهم مرتين أو ثلاث مرات رسل إليه واحداً من رجاله ليصره في بيته . وكب إذ حان وقت الصلاة في مكة أمر أتباعه أن يصوفوا بالأسواق ، ومعهم عصي عيطة ، ويسوقو كل السكار بالقوة إلى المسجد وهذا عمل قاس ، لكن يتره ما اشتهر به العكيون من عدم

(٢) المعروف أن الدباب ليس الأحشاش ، وإنما هو المحل الذي يسكن فيه ويكون فيه ، غاب ، أحشاش تربط بها أقدام السجناء الذي جرمه كذب

التدليس وكان سعود دائماً حريصاً جداً على أداء الحج فكما كان في
وسعه أن يقوم به انطلق إلى ذلك البلد المقدس مصحوباً بألاف من قومه
رجالاً ونساءً وكان آخر حج أداء سنة ١٨٢٧ م (١٢٢٧ هـ)

وقد حرص سعود على أن يحدث من ممارسة الطلاق المنشتر بين
قومه ، والمصير كثير دليبه الأخلاقية والاجتماعية وكما سمع عرب
يفون « علي الطلاق » أمر بصره وإذا أفضر إسمان في رمضان دون
عذر شرعي حكم عليه بالقتل وقد قتل عبد العزيز — وهو عتيبة حار
أكثر حرمة من ابنه — عرب بسبب ذلك وقد خين الشيخ عتيبة رؤوس
لأشهاد محرم لكن من المشهور أن كل أهل نجد ستمروا في ممارسة
ذلك بعدد في بيوتهم ؛ بل إن يهوديين كانوا يدخلون في محبتاتهم
بلا وعد سيلاء سعود على مكة أمر كل السكان أن يأخذوا علاليهم
الفارسة ، التي يستقيم عرب الشيعة ، إلى قطعة أرض حمره أمام
البيت الذي كان يسكن فيه وحيداً كوتت تلك العالين كومة كبيرة
أشعل بها النار مع كل ما وجدته في السكاكين من بيع وبعد ذلك أخبره
أحد رجائه علانية أن المكين لم يلتمزوا بأومره ؛ بل ظلوا يدخلون فسأله
سعود أين رآهم يدخلون ؟ فأجبه قائلاً هي بيوتهم فقار له سعود : ألا
تعلم أنه قد ورد : « ولا تجسسو » ؟ وبعد اقتباسه ذلك من القرآن أمر
بمحو المنحير ولم يؤخذ بعد ذلك أي اعتبار لتدخين سر

ولا يزال المكين يذكرون بإجلال الانصباء المنشتر لسعود
خلال زياراته المتعددة لمكة ؛ خاصة عند استيلائه عليها لأول مرة
وبالانصباط نفسه كان يراقب جموده في الممارك فمن تلقى منه كلمة

الأمان فهو محميّ تماماً من أي سوء تصرف يقوم به العدو وذكر
علامة على حسن عقيدة المؤمنين أن بعضاً منهم كانوا ، أحياناً ، يروون
في الحرم يبحثون عن أصحاب أشياء مفقودة وجدوها ، ويرعون في
إيصالها إليهم .

وقد حمى سعود ذاته حاجة في مناطق حكمه بشرط ألا يكون
قد نجح مع أولئك الذين يستغيثونهم مسلمين مسددة وكانت حجارة حديد
الرئيسية ، أبواب العدائين وهناك بشري العائل من دحل بصحراء ما
تحتاج إليه . وبعد أن سموت المجاعة كثيراً ما يحدث فإن لأغلب يحررون
كميات كبيرة من السمح . ولم يتدخل سعود بذلك أبداً . وقد سمح لهم
في وقت الحاجة أن يسعوا بالأسعار التي يريدون مهما تمت اعتقراء لأنه
يقول إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يحرم أبداً على التجار أن
يكسبوا من تجارتهم ما استطاعوا أن يكسبوه من أرباح

وقد حرم سعود الرب ، بل حرم أمراض النقود العادية ، وهو أمر لم
يكن عراً عام بين البدو . وغالب عليه بضمه محالفاً لأحكام الشرح
لواحدة وإذا أعطي النقود بصاعه فإن لأحكام كتاب ، على العدم ،
أن يتمسه الطرفان لحماية أو الربح

ويسموها بين نفود خاصة بهم فاعمله لديهم ، على العدم ،
هي الدولار . والأصناف ذات القيمة القليلة تعذر بمقاييس السمح أو
تشتري بنقود هماء اليمن اسحاسبه القديمة . وتقبل عندهم النقود البدقيه

لكن لا توجد لديهم بقود تركية مهما كانت^(١) وكانوا خلال الحرب
الأخيرة في الجحدر إذا قنعوا حشد تركيا ووجدوا في جيبه بيرت تركية رموها
على الأرض باحتقار



هنا مكتبي .. مكتبة لجميع

(١) كان أكثر معلميهم بالريان المصروب في التمسك وكانوا يتعلمون علوم متعددة من يدهم التركية
مثل المحمدية انظر عنوان الصفحة ، ج ١ ص ٦٦

مصادر الدخل

كانت مصادر دخل الوهابيين مبنية على حصة مشبهة لتلك التي كانت على عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) فهي تتكون من

١ - خمس العتائم المنأخوذة من المتدعين بهذا الحق يجب أن يعزل لبرعيم سواء كان هو أو أحد قادته مع الغزو وشيخ أكبر القائل المشتركة في ذلك الغزو مسؤول عن إيصاله إليه مهما كانت كميته صغيرة أو كبيرة ولم يحاول صعود أحد أو يمسك عن جوده الأربعة الأحماس الباقية وفي سائر تحروب مع العرب - إذا لم تنهب مدد - تتكون العتائم ، بصفة عامة ، من لحيل وإبل والعمم ونباع بعد المعركة مباشرة لمن يدفع ثمناً أكثر ثم يوزع ثمنها على الجود ؛ للعارس ثلاثة أسهم واحد له واثان - كما يقول العرب - لفرسه ، ولراكب البعير سهم واحد (وكان قبل عهد سعود بأحد سهمين) ، ولعير الراكب سهم واحد^(١) وإذا قتل وهابي في المعركة واحداً من الأعداء ، واستولى على فرسه فهو الحق أن يحتفظ بها ويدفع عوضاً عن قيمتها ولا داعي ، في ، لإعادة القول بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد أخذ خمس العتائم كلها^(٢)

(١) قد يبدو هذا القول عن تقسيم العتائم مضطرب لكن ابن سر المؤرخ البجدي ، يذكر دائماً ذلك التقسيم بقوله : «لتراجل سهم ولنصير سهمان ، انظر عنوان المجلد ج ١ ، ص ١١٠ ، ١١١ و ١٥٠»

(٢) من المعروف أن الشرع الإسلامي يقضي بأن يدخل خمس الغنائم إلى يده المال

٢ - الضريبة ، أو كما يسميها الوهابيون بركاة . ويرى الزكاة ركز
 أساسي من أركان الإسلام وقد نظم محمد (صلى الله عليه وسلم)
 مقاديرها ، وراعاه الوهابيون بدقة والزكاة معترف بها لدى الأتراك ،
 أيضا ، لكن توزيعها متروك لتصميم كل إمام في حين أن الوهابيين
 محضرون على أدائها إلى رعيهم لتوزيعها وقد حددت شرع الإسلام
 بدفعه أصبه زكاة لعمال ، ولم يحدث الوهابيون أي تعبير عنها ومقدار
 الزكاة في الحين ، لأن والدهم يدفع طبعا لتعاليم السنة . ويمكن أن ترى
 تفاصيل في كنية D'ohhson المصارة ، وقد قسم سعود بركاة التي
 يأخذها من أتباعه إلى قسمين . فركاة البادية مدخل كلها في حريته
 الخاصة . لكن زكاة سكان المدن ، أو حراطين ، تدخل في الحرية
 العامة

ويأخذ سعود من إباح المزارع التي يرويها لطر العشر فقط ، أو
 مزارع التي سقي من العيون أو الآبار ، والتي تحتاج إلى جهد
 ومصاريف ، وبه يأخذ نصف عشر يحتاج

ويذهب لشجار مسويا ربع عشر رؤوس أموالهم إلى جاني الزكاة
 وتعينهم أن يوضحوا به مقدار بيت لأموال مضمين على صحة ما
 يعطون وعلى أنه حسن فإنه من المعروف أنهم في أخبار مدرة يحضرون
 معه رأ يريد على ربع ذوبهم فقد حدث أن تاجر من الخثراء في منطقة
 القصيم ذهب مع ثلاثة آلاف دولار نقدا فالبس المعيرة من سعود

(١) أشار المؤلف إلى كتابه هذا الأجنبي لأنه دون أساسا بلقوى الأوربي لكن من المعلوم أن
 كتب الفقه الإسلامي قد أصبحت هذا الموضوع بكل تفاصيله

وأمر هـ لرعيه صاحب بيت العار في الحجر أن يتأكد من مقدار المان
الذي ذكر لتحر أنه ثروته وأنصح أنه قد ذكر بأن رأس ماله ألف
دولار وهذا الكذب صادر من سعود فربه وإبله

ولقد أثر إيتاء الركة استياء العرب الذين حصصوا سعود ذلك
لهم به يكونوا سبب يدفعون أي نوع من الضرائب فكانت القبائل
البعيدة عن مركز الحكم تنور حيان سبب ذلك وتطرد عمال الزكاة ولم
يكن غير الإحباط ، أو مضروبه ، أو جعل ليدوي يصل الضرائب وكان
إعلاء محمد علي يات بدء الحجر من تحت ركة ، أيضا ، هو الذي
جعل قري عدا له من كان توقع بحدث ذلك أن أول حجره تحده
هو إعلانه بأن يديه حجره وحاصه في علي حد سواء سعود من كم
الضرائب

٣ - وك الحجر المجه من رجل الرعيه الوهدي يأتي من ماضق
حكمه ذنب وقد من قاعده بأنه إذا قامت به منطقة أو مدينة بتمرد
صده لأول مرة مهت فإذا عادت إلى التمرد صادر أموالها ومزارعها ،
وجعلها في بيت العار وحشد يصح أحده منها لأناس ليسوا من أهلها
لكه يترك أكثرها في أيدي مانكيها السابقين الذين يصبحون مجرد
مراعير ليه ، وعندهم أن يدفعوا به ثلث إيتاجها أو نصفه حسب
الظروف أما مراعير الذين كان لهم الدور الأكبر في التمرد فإنها تعصى
لمراعير آخرين وأما هم فيقتولون أو يهربون

(من التوضيح أن بوكهارب يعتمد بالعرب البدو لأن المحاصره كانوا يدفعون إلى أمرائهم ضرائب نفوق
الزكاة نصفه عادة

وبما أن العرب هم يتبعوا النظم الوهابي، لا بعد صراعات مكررة بين
 الرعيين صادر أمور ماطن كثيرة . وهو استعداد حكمه للحجار نقص ،
 بأسلوب مماثل ، على أموال كل من النحوي بمحمد عني ومعظم
 الممتلكات الزراعية هي تحت تابعة هي الوقت الحاضر ليت المال .
 والقسم ، التي كان سكنها دائماً هي تمرّد ، مزارعها كلها مصادرة ،
 الكثير من قرى الحجار والجبان باتجاه اليمن قد صمت . أيضاً ، إلى بيت
 النصارى

٤ — ابعثات الموصوعة على المستهلكين بقانون بحريمة
 العصيان يكثر عنها ، عموماً ، بعثات مالية وهناك قاعدة لدى
 لمحاكم الوهابية بأن من اتهم بسانا آخر رؤياً فعلية أن يدفع غرامة إلى
 بيت المال .

وكل مصدر الدخل السابقة ، باستثناء ركة النادية ، يدخل في
 بيت المال أو البحرية لعدم وكل مدينة أو قرية ذات شأن بيت مالها
 الخاص الذي يدفع إليه السكان ما عليهم من ركوت ولكل بيت مال
 كتاب يرسله الرعي الوهابي ومعه أوامر لجمع شبح المكان من أحد شيء
 من الدخل بطريقة غير مشروعة ولم يكن مسموحاً لشيئ أن يجمعوا
 التقدير المدفوعة أو يقصوا عنها . وتخصص تلك الموارد لخدمات
 عامة ولذلك تقسم إلى أربعة أقسام ربع يرسل إلى بيت المال في

(١) ما ذكره المؤلف من أن معظم الممتلكات الزراعية هي تحت كانت حينذاك تابعة لبيت المال . وأن
 كل مزارع القسم كان مصادرة غير صحيح . ذلك أن حكومة الدرعية هم مصادر إلا ممتلكات
 في بلدان بجانبه فنية جداً ، مثل حرمه

السرعية . ويرجع يرضد لإعانة فقراء المنطقة ، وإلحاق على اعباء الذين
يدرسون ، التلاميذ ويهيئون صلاب العلم لتولي القضاء ، وإصلاح
المساجد ، وحفر الآبار الخدمية ، ونحو ذلك . والنصف الثاني يصرف
بصرف جيد لفقراء الذين يمدون عدد دهانهم إلى العرب بالماء ، أو
إلا في حالة الضرورة ، والاستقبال الضيوف وهكذا فإن الأموال
مخصصة للصرف تدفع إلى المشايخ الذين لديهم سواب عامه يمكن أن
ينفق بها العرب ، ويضعمو محال . وما ذلك إلا لأنه من المعتقد أن الأمة
كأن لا بد من سعة في مصاريفهم ولهذا فإن من عبي ، شيخ شمر ،
في حائل يستلم كل سنة من بيت المال في مصفاته مائتي حمل نعيم من
القمح . ومائتي حمل من الشعير ، وألف دولار سنوي . ويشتري ثوب
النفود حمداً وسماً والنفوذ . وينفق كل ما يستعمله في استضافته من يتراوح
عددهم يومياً بين مائتي ثلاثمائة من العرب من كل وصف . وذلك في
مصائبه العامة

ويصرف من بيت مال لسرعية مبالغ لإعانة رعاة سعود المحاصيل
الذين أحد الأعداء أموالهم والدرعية مبيته دائماً بالعرب الذين يتمسبون
من سعود تعويضهم ، على الأقل ، عن جزء من ثروتهم المفقودة . وإذا
علم سعود أن الملتزم وهدني محطس فعلاً ما يعطيه ثوب ما فقد
وتعطى مبالغ أخرى من بيت المال لمدى فقدوا حيواناتهم بوباء أو
حوادث وإذا قتلت أو ماتت فرس جدي أو دبله في عروة ما ، وكسبت

(١) سبق أن ذكر بوركهارب (ص. ٥٧) أن سعود كان حينئذ يمتدح من أصحابه عن كل .

عنائم هي العروة ، أعطاه سعود ، هي أعذب الأحيد ، هرساً أو ديولاً وإذا
لم تؤولد هي العروة عنائم تحبل العبدى حمارته

وللى حاسب ما يعطى لأمرأ الساطى والمدد أو انقضى لاستفاد
الصيود يتسلم مشايخ البدو هبات مسوية من بيت المال في الدرعية رمز
لوصة سعود عنهم وتزويج هذه الهبات بين حمير وبناتناة دولار،
ونصح القداء بما كان يفعله محمد (صلى الله عليه وسلم)

وحدة تركاة — ويسمى الواحد منهم نائب أو مركباً أو عملاً —
يعتبر كل سنة من الدرعية إلى المناطق والغدائ المختلفة ، يستلمون
مبالغ معينة مقدس خدماتهم ومصاريفهم السعوية عملاً يستلم كل عام
يرسل من الدرعية إلى بادية الصحراء السورية خمسة ومبشرين دولار وكما
ذكرت سابقاً لا يسمح للمشيخ المدخل في تركاة وإذا ذهب لعم
جبايتها من عرب ما عطف أحدهم بكتب المصاع التي يجب دفعها ،
ويؤلف حـ أجمع تلك المبالغ ويسمونها إليه ويستلم بحاوي الموصفات
أن يصعد في ختلاص وحشد يعطى العامل سنة لمصلحة أو لقبية
قبض الملع الذي أخذ منها

ويجب على سيدو دفع تركاة بعد شهر ربيع لأثر مباشرة حين تم
إيل وانعقد صغارها ويتفق العامل مع شيخ لقبية على تحديد مورد ماء

(ذكر من نشر أن جد عشق الزيد في عهد إمامه سعود أخبره أن ذلك الإمام كان يعيد ما يريد
على مبشرين عوامه حجوبة الركاة من الدية وكما عادله مكانه من مائة رجال هم أمير وكند
وحافظ دهر ومبشرين لندولهم ، التي تبايع بها إيل بعينه الركاة وثلاثة رجال خدام هؤلاء أربعة
لأمرهم وجميع الإبل والأغنام المملوكة في تركاة وغير ذلك انظر عتوان بمجد ، ج ١ ، ص
٢٣٢ ومن هذا هو التصحيح

معيّن يؤمر كل عربها بالنوحه إليه وفي سنة ١٨١٢ م جمع سعود الزكاه
من أبندو الفريسي من بعدد في مورد يسمى لهندية بيعدا عن تلك المدينة
مسافة يومين أو ثلاثة أيام وفي تلك السنة نفسها دفع عرب الحلاس
(من سرقة) ركائبه على مورد بيعدا عن حسب اثني عشرة ساعة

ويُدفع سعود من ماسته بحاصنة مضارب حكومته وحرسه
خاص الا يكر أن ارعيه اوهائي يدي طمعا كبيرا في تعديده مع
وعباد سدحه أعني كثير معا هو كافي عديده السكايف العامة ، اثني سم
لكم كسره ؛ إذ لم يكن حيصه يكتمه شيئا يذكر ويشكو العرب من أنه
يد كاست يدي خذله من جميعه فير سعود سجد به تهمة سوء
التصرف يزر أحد الفرس عزيمة ، وقد زاد عماد بعظمه بسبب بعته في
الحصون على ما هو أكثر ويصون لعرب به مد أحد الإمام الحسين
(كرهلاء) ؛ حيث حصل على عائم كثيرة، ونهب المدن اليمية ، عذاب
سحبيته بدهور كسر ، وبه أصبح يرداد صمعا كل يوم مكني سم
أسمع ، على أنه حال ، مثلاً واحداً بحرمانه أي عربي من ثروته دون سبب
قوتني وقد صرد صعد المشدح عن قصيته قبل أن يهاجم محمد علي
البحر بفترة طويلة ولو تصرف في ذلك الطرف بحصافة ، كما فعل
ابن ساء ، وذلك بتوزيع أموال على المشدح لكان مستحيلاً أن يحد رده
أبائنا موضع قدم له في تلك البلاد

ولم يكر سعود أنه كان غير محق في معاقبته المخرمين بقسوه

(١) هذا الكلام ينافي مع ما سبق أن ذكره عن عدد سعود ولو كان صحيحاً لوجد سعود بهمة
بالأكثر الذي حاول أن يشرى به عرب فرفض بيعها إليه

شديدة . وكثيراً ما سمع وهو يقول : لو لا أعمالي وأعمال أصدقائي
 السيئة لوحد ديب طريقته إلى القاهرة والقسطنطينية منذ زمن طويل .
 ولقد وردت كثير من الروايات المبالغ فيها عن الدخل الوهابي
 وأخبرني بعض المكبرين بثقات ، الذين أتيتهم هم اتصالات عديدة بسعود
 نفسه وبأسرته والذين نهيت لهم فصل العرص معرفة الحقيقة وهم يكن
 لديهم سب ليحتموها ، أن أكبر مبلغ دخل على بيت مال الدرعية في سنة
 واحدة كان مليوني دولار . ولكن متوسط الدخل كان ، على العموم ،
 لا يزيد على مليون دولار سنوياً . وهذا لا يشمل المبالغ التي تدخل بيوت
 مال المناطق والمدن ، والتي كانت ، عادة ، تصرف كلها بحيث لا يبقى
 منها شيء عند آخر السنة .

وبعد أن عرفت سعود الخاصة كانت معتد به جداً من مروج
 أنه كانت لديه مبالغ نقدية كبيرة يحفظها داخل قصره في الدرعية . لكن
 رغم عظمته على القوة لم يكن سعود ولا أبوه قادرين على استبعاد العرب
 الذين ولدوا أحرار . فقد اضطروا إلى تركهم يملكون حريتهم الفردية . ومن
 غير المعتقد أن العرب سيحصلون أبداً لأنني سيّد مطلق ، ناهيك عن عار
 حتى قد يمرّ سريعاً غير أراضيهم . لكنه لم يقدّر على إيطهم عبود
 دائمة^(١) وطاعتهم في الوقت الحاضر هي لمقاييس أكثر منها لسعود الذي
 هو شيخ الأكبر لا سيّد الحرية العربية . مهم كان كرههم له فيه
 بمحددة (ركة) فإنهم يعلمون أن أكثرهم يصرف في أمور تتعلق
 بمصالحهم الخاصة وفي ذلك مواساة هم يتنعم بها الملاحون في ركنا
 أبداً

(١) يشير بالعاري الأحيى إلى محمد علي

الشؤون العسكرية للوهابيين

بين بين الوهابيين وبين العرب في الأمور العسكرية إلا اختلافات
مسطحة جد فشيخ القبيلة ، لدى بين لديه جيش ثابت ، يجمع
مجندين من عريقه يعمرو العدو وبعد العودة من ذلك لغزو مباشرة
بتهريب مرة أخرى وهذا ما يحدث لدى الوهابيين فاستثناء مثاب قبيلة
من الرحل مجندين الموضبعين في الدرعية لا يكن سعود ولا لأبيه نداء
جيش محامي أو جماعة من الحيد وإذا نوى التوجه نحوياً من أمر
مشتائج الصائل وأمره حصص أن يكونوا في يوم محدد في موضع معين ،
إعداد ما كان مورد ماء في الصحراء وأحياناً يطلب من شيخ أو أمير
معدداً معيناً من محاربين ، فيقوم شيخ أو الأمير بإعدادهم سورج من
توحيد إلزامي من كل فريق أو قرية تحت نفوذه وهكذا يطلب من
أمير لقصيم — مثلاً — ألف رجل فإن على كل بدنة في تلك لصفقه
أن يسهم بإعداد هؤلاء حسب نسبة سكانها وحيثما يحل سكان
تعداد ، أو رجال القرية ، الأمر ودياً يسهم بنفسهم كل من لديهم
ركائب بني قسمين قسم يذهب للحرب المرادة ، والقسم الآخر يذهب
لحرب القادمة ويجب أن يحارب كل من عمره بين الثامنة عشرة وبين
الستين سواء كان متزوجاً أم غير متزوج أم كان ثباً لأسرة ويجب أن
يتحقق بهؤلاء كل من لديه فرس ما لم يذكر بأن العرو لا يحاح إلى
حيانة وإذا احتفى إنسان ما أحد سعود فرسه أو دوله أو بعض عمنه

عرامة . وكان ذلك الرعيم صارماً جداً في فرض العرامات وقد كانت
 الواحبات العسكرية الثقيمة التي فرضها على من لديهم حيل سباً لبعهم
 تلك المحبوبات الثقيمة ؛ مما أدّى إلى نقص أعدادها بدرجة كبيرة في
 الأراضي الواقعة تحت حكمه (١)

وكانت الدعوة بعدمه للحياد تتم ، أحياناً ، دون ذكر للعدد
 المطلوب وفي هذه الحالة يجب على كل من لديه دبول أن يحضر
 وفي بعض الأحيان لا يقول الرعيم ، لا « لي بعد من التحق بالجيش » بل
 من تحبف « . وعندئذ يشعر كل رجل قادر على حمل السلاح بأن عليه
 أن يذهب لعرو ومن كان فقيراً أمده العبي براححة وسلاح ، أو جُهر من
 بيت أمه . وحين تكون العروة إلى جهة بعده ؛ مثل تلك في رحب
 إلى دمشق سنة ١٨١٠ م و صد خمس ، يأمر سعود بقدة أن يوفيه
 سنة وحده ؛ وهم الخبة المصارفة من الحبال وراكبي الإبل . وفي هذه
 الحانة لا يلتحق بالحس أكثر من نصف عشره . لكن بعض العرب
 بحرعون في كل المصائب أسبياً سحيف عن لعرو أو تفدي الاشتراك

(١) قال من سر في حديثه عن عبد العزيز بن محمد : به كان : ياخذ التكال الكثير من أموال البدو
 على من تحدد منهم عن المعرى مع السلسر من فرس أو دبور معروفاً أو من معروف حتى
 ذكر بي أنه لم يوجد عبد مطير إلا فرس و فرسان و حسب أن يواقي هذه الجيرة لم يحتاجها بها
 لأنه لم يحتاج من أحد ولا يحتاج منهم أحد ولا يهتمون في أحد ، نظر عنوان المجلد ،
 ج ١ ، ص ١٧١

ومن الواضح أن ما ذكره بن بشر في بداية حديثه عن عبد الحكيم السعدي الحيل يكالاً منابه
 ما ذكره بوركهارت . لكن هذه بابه لم يوجد عند مطير إلا فرس أو فرسان مصحح فيه المبالغة ،
 كما أن تعدي ذلك بهذه الحادثة إلى الحيل ضعيف جداً

(٢) م المعروف . وكما ذكر المؤلف نفسه في مواضع أخرى — أن بعض أفراد الجيش كانوا مشاة
 أي لم يكن معهم حيل ولا إبل

فيه مع أنهم علمون دائماً أن هذا سبب عزيمة ثقيلة دبت أنهم
بعضهم دفع العزيمة على المصير العزيمة لتسبح أنفسهم للعرو ،
ويحسبون كمية من الطعام لأربعين أو خمسين يوماً من حيوتهم الخاصة

هذه الحدي الوحدى مائة رطل من الدقيق ، وحمض أو سون
صلاً من شمر ، وحمض رطل من السمن ، وكيس من الشمر أو الفصح
رحمة ، وقوة من ، ويحسب شمر بالدقيق ويحسب ويحسب على الحمر
سكون وحسب حساب وحمض رطل من السمن ، وأوقات الذي يستغرقه
عرو ، الذي يمكن أن يستعد منه بطريقة الفصل ، ويحسب الذي يحسب
مرحبة سب لإيجاد الذي نفس كثير من الإنا هي طريق ، كل ذلك
لأمر حسب الاشتراك هي الحروب مديناً بحري الشمر ، معنى أية حال
في بمرء بإمكانه رد به تلك الدعوة بمرء عنه ، ب يستحضر من
يشتري فيه بدلاً عنه ويعطى المستأجر ، عادة ، ثمانية أو عشرة دولار
أسبوعية معروفة أعديه أي يستعير بعض يوم تقريباً ، إضافة إلى مؤونه
يؤد كات إلى عليه يدفع كل كات بعمر رطل آخر حقه

والحد كتحسب أن م سبق أن ذكرته عن بعض مستحكات
سبحورة كمنه ربح واجب استعيد العسكري كان حصاً لكل
رحمن الإهاليين حتى الآن حدود بحيث يمكن أن يدعوهم سمود سخدمة
هي أية لحظة وهكذا بعد هؤلاء حشاً من الحدود الممنارين حلال

١ م المعلوم ب مؤونه عود بحسب اختلاف المدة التي يستعيرها العير ومن غير المرجح أن يكون
مع كل ما يجب راحه كيس من الشمر أو الفصح راحه

أسبوعين من إخطارهم بدلت لكن هذا النظم ، مع أنه مفضل للحركات
السريعة تجاه أرض العدو أو ردّ عرو ، لا يناسب مشروعاً يهدف إلى فتح
واسع مستمر .

وبمضي الديار اليهودية بالحرب المستمرة ضد كل من لم يعنى
العقيدة لإصلاحية وبما أن النهابيين قد أحصوا كل الجزيرة العربية
تقريباً فإن غزواتهم أصبحت موجهة بضعة رئيسية إلى جيرانهم الشماليين
على طول لواء من البصرة إلى سوريا . ولا يبدو أنهم قد رغبوا بدءاً في
متابعة مدعهم إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية . لذلك فإنهم يهاجمون
العراق وما بين النهرين وسوريا من أجل المهز فقط (١) وكانت لغزوات
لمعاجته أفضل شيء لذلك الغرض وبم يقم اليهوديون بوضع آخر من
الحروب وقد رغب رعيهم دون شك في أن يحمل معه السيد الوحيد
لكل الجزيرة العربية وفبائهم ومن عارضوا دعوتهم أصبحوا مسلمين
حقيقيين عرّضوا أنفسهم لهجمات تباعه الدين كانوا يحاربون العراق
والبحرين وبأحدون الموالي في حين أن جيرانهم الذين اعتنقوا العقيدة
الجديدة صارا مسلمين من تلك الهجمات وألست بضاع الكشرون
للدعوة لكي يمدوا أنفسهم وثرواتهم من لمصايف المستمرة . إنه لم
يشعر بمين حقيقي في أي القصص اليهودية ممن أعادوا شاعها إلا
عدد قليل من المناطق والقبائل وقد قامت كثير من التحاللات مع
شريف مكة لمقاومة أسرة سعود وعند البدء حصونهم أو لأمر للرجع

(١) الرسائل التي وجهها سعود إلى والي دمشق تبين أنه كان يربح في استيلاء على المياه . مطر
تاريخ البلاد العربية السعودية عهد سعود الكبير ، نصر العجلاني ، دبر . مكان الطبعة
وناريخها : ص ٦٦ — ٦٨ .

أنوهاني حيناً مع ليته محاوره عريته عنهم يستطعون أن يحلوه هي أية
 لحظة ، ويحربوها وسرعان ما أصبحت الماضي القوية بموقعها
 وسكانها ، مثل حبي شمر ولحجار وأيمن وغيره من اساطير عبده
 في وقته ذلك ، عريته في نجد ، متساهلة في طاعن الأمر سعود وغير
 منتظمه في دفع الزكاة إليه^(٢) وكان ذلك الرعيه يكرهه في بدنه الأمر
 بالحسينه صبح أبوي كسهم كيو يعنون ذلك صعباً منه ، وتصور
 موقفه في ثورة عبده وفي مثل هذه الظروف كره الرعيه يحتر كل
 مشائحه أن العرب أنفلاس قد أصبحوا أعداء ، وأن كل مريء حر في
 مي حشيه ذاب أمره ثم يرسل ثلاث أو أربع عرورات حاضيه صيدهم ،
 فيحصبون بسرعة حدود من فهد محصولاتهم وموشيه كثير من
 سعود في بصره في عرب وهابيين محصبين إلا بعد أن عادوا مرتين أو
 ثلاث مرات من تلك حدود .

على أنه حال من بعض مسائل القوية والسعيدة حيناً عن بدرية
 في وقت سحر دفع الزكاة مع إعلانها بأنها وهابية في الأمور الأخرى ،
 وهكذا حينما كانت ثورة سعود راسخة في الحرة العربية سنة ١٨١٠ هـ
 قضت قسمة غرة شمسية دفع الزكاة إليه وهو عكر سعود أن من
 التحكمه محبوه إحصاءه بالقوة ، بل ظل يكاتب رؤساءها الذين أحصوه

(٢) طلب مصفا حبي شمر محصب عاده ثم يبيده من بعضهم التي دولتهم حتى يبار ذلك الدولة
 وكان أميرها محمد بن عبد الحميد بن علي من أكثر أمراء المذاهب الاخلاص ووضحيه ومدا
 أدى إلى قتله أيدي رجال يوهيم في سنة ١٢٣١ هـ نظر عن ذلك مشاة إمامه آل رشيد ،
 عبد الله العيصي ، عمارة مؤيد المكيات بجمعه الرياضى (المجلد سعود) ١٠ ٤ هـ

اسمياً ، ولكنهم كانوا يصرفون وفقاً لمصالح قسنتهم الخاصة كما
احتكروا بأنصار الوهابيين^(١)

ومن لملاحظ بسهولة أن الوهابيين كانوا ، على العموم ، هي حدة
حرب مستمرة فقد اعتاد سعود أن يقوم مسواً بعزوتين أو ثلاث عزوات
كبيرة وكسب سحقات المجاورة لنصرة ، العبة بالمشي والتمسك ،
اصفت شط العرب ، ونهر الفرات حتى عانه ، مسرحاً لهجماتة لسرية
من إلى جنوده عبروا الفرات ، ونسروا الرعب فيما بين السهريين . وفي الجهة
الجنوبية من أراضيهم قنت منطقة البص ، التي لم تحصص له بعد ،
محصنهم وثمان حقولاً حصنة للعائم . ولم يكن سعود دائماً يصحب
نفسه لعزوات بنفسه ، لكنه يرسل أحد أساقه أو رئيس مشهور قائداً في
في كان مملوكه الأسود ، بحرق ، على رأس عدة جموش وهابية^٢

وحيث يحفظ سعود عزوه ما لا يطمع على هدمه أحد . ويورد
مرة عند مورد ماء معين يبحثه دائماً بصره لتحديد اعدة الذي يرد
من حمته . إذا رأى ب يكون لعزوات بالحد من اذرعته جمع جيشه
عند مورد يبعد مسافة عدة أيام جنوبها . وحيث يظن فعلاً في الحاجة

١ - في ذلك الوقت ، لم غير مسيو بصفحة ٤٥٥ من كتابه "سعود كثر"
بكتاب "العلاء" في هذه من عزوه في مكان ما بعد على حسب الأسس العامة . وفي
من ١٦٦٢ - ١٦٦٣ في ذكره . في هذه من ١٦٦٣ - ١٦٦٤ في عهد عبد الله
سعود . في عنوان المجلد ج ، من ص ٧٣ ، ٢٢٢

(٢) - من الحرف نور كبير في الشاهد السعودي العسكري خاصة في جهات عمار ، ذلك في
تدوين السعودية الأولى . ولأنه بلال دور مساهم في تلك الجهات من تدوين السعودية . في
كتاب كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، ص ١١ . في عنوان المجلد
ج ، ٢ ، من ص ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦

حربي ، بكنه يعود مسرعاً ويقتصر على العدو ابي باحاً ، عادة ،
 بالبحوم وهذه الحسة ضرورية جداً لأن الأحرار تنسر كالبرق في حرية
 العرب وهو بدت من مكاب الضلاله بهجوم أية إشارة إلى هدف هجومه
 كان في إمكان بعده أن يمسك وقت يعا خلاله نفسه لمقاومة أو
 الهروب

وكان حروب سعود تخطط بكبير من حبيصة وبعد النظر ، وتمتد
 مساهمي السرعة مدحه أنها درر ما فشتت وبذلك فيه حسب عر شهر
 حروب سنة ١٨٠٠ م تصل أحرار قومه منها إلا قبل وصوله إليه
 يومين عم أنه ستعرف حسمه بثلاثين يوماً حتى وصل ذلك السكك وس
 يُعبر أي جزء من سرب كان هدف هجومه وبذلك في حسمه بهب
 حسب وثلاثين قرية من حوران ليل أن يهدي نك دمشق أية ذه مدوح
 وقد كوى سعد من أعقد شجعار قومه وأشهر معايرهم حرة
 حردا بمعنى سنة ويبقى في الدرعية باستمرار وهو وحده لحد
 اذات من جينه وكلما سمع بدرس مشهور دعاه إلى الدرعية وحسمه
 إلى خدمه على أن يمدّه هو وأسرته بمؤونة سرية من القمح والتمر
 والسمن ، كما يمدّه بدرس أو ذلول طيبة ويصحب ذلك الحرر سعوداً
 دائماً في غزواته وكان ذكر أفرادهم مرعياً لكل أعداء الوهابيين لأنهم لم
 يحسروا أبداً سمعتهم لعائلة في الشجاعة وكان سعود يحفظ بهم قوه
 احتياطية في المعركة ، ويعد أعداداً صغيره مهم بمساعدة حورده
 الأحرار ويصل عددهم إلى ثلاثمائة رجل مجهزين مدعة الحرب بكل

١٦ كسيفه هي المدقة السنداء أي التي اختير أفرادها من بين كثيرين غيرهم

الأسلحة تقريباً وحبوبهم مكسوة بلس ؛ أي مادة صلبة محشوة لا
تحترفها السيوف والرماح وإنما أن خدمتهم بطوعية فإن سعود يشق بهم
ثقة كبيرة .

وبإضافة إلى المصيف ، أو المحرس الخاص ، كان سعود يأخذ معه
إلى القرعة كثير من عقدهاء ، أو قادة حروب ، القبائل البدوية وبأحدهم
بهؤلاء العقدهاء أضعف قوة تبت القبائل ، وقوى نفسه بإضافة أربعت
أسمشاهير إليه وكثيراً ما تسد إليهم قيادة العروات إذا رأى تحمسهم
الصادق لقضيته (١)

ويوم يهاشون بهجعتهم في كل شهر من شهور السنة حتى في
شهر رمضان لمدرث بعد أظهر سعود وإله كثير شهر ذي الحجة
ويدعي أتاعه أنه لم يهرم أبداً في أي عزو قام به خلال ذلك الشهر
وبما أنه كب ، من رحائه ، يحج سواً من أعداءه ؛ خاصة النساء
العرسة النوبة من سورين ، كانوا يسهرون فرصة عيانه في مكة ليقوموا
بعازات على أراضيه

وكان سعود يد حنار في حبيب أمر من أمرين يبدو كل منهما
مهيداً يرجع إلى ما أمر به محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وهو أن يصلي
ركعتين لله قبل النوم وفي الصباح يصلي ركعتين لله سواء كب مع هد
لأمر أو ساء (٢) وبأدراً ما أضحى الرؤساء على أي شيء من حفظه

(١) على أن المشيع تساريف المعية يلاحظ أن قادة الغزوات من غير الأسرى السعوديه كانوا في
العالم ، من الخصاص لا من البدوية ، وإن العارء إذا كانوا من البدوية هم رؤساء القبائل الرسميين

(٢) قال ابن بشر عن سعود : ولا أعلم أنه غزم له أبية ، انظر عتبان المعجم ، ج ١ ، ص ٢٢٦

(٣) صلاة الاستسحارة واردة ، ذكر لا علاقة بها بالنوم والأكل

وكان لكل أمير أو رئيس علمه الخاص في العرو والسعود عدة
أعلام ذات ألوان مختلفة وحياته جميلة جداً مصنوعة في دمشق أو
بغداد لكن حياهم قومه هي تلك السيوف السوداء السوداء بين العرب
وأعني بيت سيدهم حياهم على الإطلاق وتحمل مؤن سعود وأثاثه على
مائتي بعير وأحد معه كمية كبيرة من المؤن هي عرواته ذات المسافة
البعيدة لكي يتمكن من مساعدته الذين تنهي مؤنهم الخاصة من جوده ،
ولأنه كتب مر بصفحة سكرية حاضرة أو بادية عامل كل صيرفه نفس
النريقة التي يصممونها بها هي الدرعية وإذا سار الجيش ليلاً أوقف
المشاة وحملت أمام درعية وكبار الفادة ولا يسار ليلاً إلا إذا كانت
قطعة يحجم قد حددت . وعندئذ تقطع المسافة التي تستغرق عادة ،
بعدة و خمسة أيام في يومين فقط ويتقدم الجيش الوهابي دائماً طليعة
من ثلاثين أو أربعين فارساً يسبقون الشبور ويسيروا قبل مسير الجيش
يوم أو يومين ويسبق البدو تقيداً مثل ذلك ؛ إذ يرسلون طليعة تسير
أمامهم بعدة ساعات

وعند الاقتراب من العدو ينقسم الجيش إلى ثلاث أو أربع فرق ؛
كل واحدة حلف الأخرى والى تهاجم أولاً مكوّنة من الخيالة الذين هم
عماد قوة الجيش وتساعدهم الفرقة الثانية المكوّنة من راكبي الإبل
الذين يتقدمون إذا هزم الخيالة ؛ وقد توقف سعود منذ زمن طويل عن
مباشرة القتال بنفسه ، وفصل أن يضي في مؤخرة الجيش وقد مكّنه
تفوق حوده على خصومه ، بصفة عامة ، من إرسال تعريبات جديدة إلى

١٠ له يشر بوركهارب إلى الفرقة الثالثة من الجيش . ومن الواضح أنها المسافة

أُتبعه في أثناء المعركة مما جعل تحقيق النصر لا يأخذ وقتاً طويلاً إلا نادراً ، وكان من خدعه الحربية المصطنعة أن يقر أمام العدو ، ثم يكرّر فحاة ينمّص مع فرسانه المختارين على المصادريين لهم المجهديين .

ويؤكد سعود لجميع من ماسه مقتلاً من حدوده أن يسمع بالحنة صيفاً بما ورد في لقرآن وكما قتل رئيس في المعركة ، وعدت فرسه ، كما يحدث عادة ؛ راجعة إلى صفوف الجيش التي هي تعرف ، أحبر الرعيم الوهابي بموته على أنه من الأخبار ذات المعنى الصيب لأن ذلك لرئيس قد ذهب بالتأكيد إلى الحنة . ويقال ، عادة ، في هذه المناسبة ، « أبشر يا سعود ، فرس فلان عادت »^(١) .

وكلمة نهيت هانيق الوهابيين الحاضمة محتم عرب ما اضطرت النساء إلى تعريه أنفسهن ، وصعد الوهابيون عهن ، ورموا عهن بعض انحرف من أحل الحشمة ولم تتعرض أية امرأة لإهانة غير ذلك أنه وحسن يتوقف اسهل يوزح أمير العرو بعض الأقمشة عهن ، ويعطى لكل سره بعيراً ومؤونه كافيه رحلتها إلى محتم بعض أقاربها أو أصدقائها . وبأنه من محتم أن أرواح النساء قد قتل أو هربو من ذلك لساء عهن ، حياناً ، عدة أيام مع المستصرين ، ويسرن برفقتهم لحصين بحدائهم في الطريق

ونقد اتحد الوهابيون قاعدة تهمة في سبيل بشر دعوتهم ، وهي أن يقتلوا كل عدائهم المسلحين سواء كانوا مبتدعة أجاب ، كاسوريين

(١) ومن المحتمل أن يشير القوم بسعود بعوده الفرس ميحه بشيرة بعدهم فعداها

وسكان ما بين النهرين والحدود المصرية ، أم من احاصره أو من العرب أنفسهم الذين يهاصرون الرعيم لأكثر أو يسمدون عليه . وكان ذلك بعد ، المقلد لما شري الإسلام الأوائل ، هو الذي جعل اسمه اليهوديين محبباً . وخلال سنوات الأربع من حربه مع جنود محمد علي باشا لم يذكر أنهم قاموا مرة واحدة بالإبقاء على حياة تركي^(١) . وحيثما أخذوا كربلاء والطائف قلوب كل يدكو من سكانهما^(٢) . ولم يقد حربه العباسية هي المدينة الأولى ، لا أن سعوداً كان يكرّ حراماً حصناً بحلفاء العباسيين . وحيثما يهاجمون عريف بدوياً يحدث شيء نفسه . قد يشعرون بلا رحمة كل من نص عليه مسلحاً . وقد أنهت تلك أعداءه انقضه فيهم روح التعصب الشديد الذي جعلهم مرعبين لحضومتهم . وأسهمت بذلك في سهول بشرهم لعصبيتهم .

على أن الرعيم الهادي كان يعصي لأمر سهوله لأعدائه . استسلموا طواعية . وكثيراً ما وعدوا ذلك لأنه لم يعهد أن سعوداً يحسن عهده في أية مناسبة . وهم تبرر ثقة البدو انطيمه تجاه العدو . وتلك سمة بييلة في شخصيتهم . وشهره سعود في محافظته الدقيقة على العهد من الأمور التي أقر بها أعدائه . ومجدها أصدقوه منذ بدايه الحرب مع محمد علي باشا باعتذارها منافسه تماماً بعدد الأتراك

(١) على أنهم إذ أعطوا أمناً لأحد منهما كان لإلهم يقو على حياته من رندا . سعود حاصر عسكر من العرب في الحماكية سنة ١٢١٩ هـ . فطلب لئلا يدم انعموا منه . فسمح لنباعه عنهم وبرزوا بامان على دعاتهم واموالهم بسوط أن يسيروا إلى العراق . وسير معهم جيشاً حتى سمرقند منهم في العراق . انظر عنوان المجلد ج ١ ، ص ٢١٥

(٢) صحيح أن اليهوديين قتلوا كثيراً من سكان هالين الينديين . ولكنهم لم يقتلوا كل ذكر فيهما . ولعل الدعايب المصاهرة هم هي التي جعل المؤلف يكتب ما كتب

وإذا استسلم العرب المهتدون لسعود قبل أن ينتصم منهم فإنه ،
عادة ، يعطيهم أمان الله بشرط أن يسلموا له الحمة ، وهي الحيل والإبل
والدروع والبنادق والرماح والسيوف وكل الأواني المعدنية ، أما باقي
بروتهم فيحتفظون به . وفي بعض الأحيان يعطي أماناً غير مشروط ،
فيشمل الأنفس والثروات على حد سواء . وقد أصدر أوامر صارمة لكل
قاده الجيوش لوهديه أن يهتدوا كل طلب استسلام من الأعداء ، وأن
يحافظوا بدقة على الأمان الموعود .

وحينما يحمد سعود ثورة قبيله أو منطقة ما فإنه يرسل بعد
استسلامها مباشرة إلى رعماء التأثير ، ويسكنهم لديه في تسرعة أو في
منطقة محاذية لها ، ويصدق عليهم انموذج وهكذا يصعب هودهم بين
قومهم . ويحلّ محنتهم رعماء يثق بإخلاصهم له يحتارهم من تلك الأسر
نفوية التي كانت على خلاف في العاصي مع الرعماء الذين أحصوا
وبهذا فإن عدداً كبيراً من الرعماء من جميع أنحاء الجزيرة العربية قد
جمعوا في الدرعية أو ما جاورها ، ولم يكنوا ، ناية حان ، داخل
سجون ، لكنهم لا يستطيعون أن يخرجوا من المنطقة التي حددت لهم
وكان كل شيخ عربي مشهوراً لدى سكان الصحراء بدرجة أن أمه صعب
جداً هي أن يبقى محتباً مدة طويلة .

وقد وجد سعود بعد أخذه للمدينة أنه من الضروري أن يبقى هناك
حامية عسكرية دائمة من الوهابيين . ولم يتخذ أي إجراء مثل ذلك خلال

(١) المعروف أن الحفة هي السلاح فقط

عندهٗ . ذلك أنه لم يفكر أبداً أن من المسحوس حرسه أية منظمة
دانت به . بل كان يعتمد على احكامه الذي أقره عليها ، وعلى الحروب
من اسمه هو . لإبقاء المهرومين خاضعين له ومع ذلك فإنه ضرب من
أمرائه المحدد في بعض المناطق الواقعة جنوب مكة أن يسو قلاعاً أو
حصوناً صغيرة للدفاع عن أماكن إقامتهم . أما المدينة ، وهي معقل
مهم . فإنه كان يعلم أن فيها معادون بعقيدته وشخصيته ولذلك وضع
فيها حامية عسكرية من عرب نجد واليمن ، ومنحهم بساتين . كما
أعطى كل واحد منهم سبعة دولارات شهرياً بالإضافة إلى كمية من الدقيق
والسمن وكان المسلحون بالسادق من أولئك المحددين خاصة يشككون
حرة فيسو الجيش الوهابي ، انه ين نسد إيمانهم أسمع انهم فقد كانوا
هم الذين اجتاحتوا مدينة كربلاء .

ها مكتبي <http://huna-maktooty.blogspot.com>

(١) نواقح أن قادة الدرعية كانوا يسون ، أحياناً ، قصوراً في بعض الجهات التي لا يسون كثيراً
بسكانها ، ويضعون فيها حاميات . من ذلك ما حدث في منطقة الأحساء انظر عنوان المجلد ،
ج ١ ، ص ١٥٨

مرب شريف مكة وياشايفد

مع انوهابيلين

حالا إقامي في تحرير العربة بحث مرار عن تاريخ مكروب
للهديين ، صبا أن أحد علماء مكة أو المدينة قد قام بذلك العمل
مكر بحثي كان غير مشر فم يعرف أي إسم بالأشحيث الأحداث
اليوميه وسبعين م نسييت تاريخي ، الذين يعرفون معرفه حيد ما حدث
في محصله ، وهم فئة ، لا يعرفون إلا قليلاً عن الأحداث العيدة عنهم
وقبل أن يؤف تقرير وإف مرص عن اشؤون انوهابية لابد من تقديم برجه
عبر كل جزء من أجزاء حريرة عرب ولعن بغداد ، بطروف الحاضرة ،
ولقربها من نجد مركز بحكم الوهابي هي المكان الذي يحصل أن
تجمع فيه أصح الروايات

وسوف أعطي ، ها ، قليلاً من التصيلات عن تاريخ ذلك
السبع الرائع قبل استعادة الأتراك للبحار ، وهي الحادثة التي أستطيع
وصفها بدقة لأي أقم في تلك البلاد والحرب بين الطرفين لا زالت
مستمرة

مد ثلاثين سنة تقريباً نشر انوهابيون عقيدتهم ، وكسروا أنصاراً
كثيرين ، وسولوا بالدريج على نجد ، وأحضروا معظم القبائل الكبيرة ،

حرب شريف مكة وبشايفداد مع الوهابيين

حلال إقامتي في الجزيرة العربية بحثت مراراً عن تاريخ مكروب
لوهائيين ، طرأ أن أخذ علماء مكة أو المدينة قد قدم بسبب لعمل
لكن بحثي كان غير مثمر فلم يعثر ي إسناد بالأحداث الأحداث
يومية وسرعة ما نسب لواجهتها ، ولنديين يعرفون معرفة جيدة ما حدث
في محبصهم ، وهم فئة ، لا يعرفون إلا قليلاً عن الأحداث الجديدة عنهم
وقبل أن يؤلف تقرير وفي مرضي عن الشؤون لوهائية لأجد من انقيام برحبه
عبر كل جزء من أجزاء جزيرة العرب ولعل بعدد ، سطور الحاصره ،
وعربي من بعد مركز الحكم الوهابي ، هي المكان الذي يحبس أن
تجمع فيه أصح الروايات

وسوف أعطي ، ها ، قليلاً من التفاصيل عن تاريخ ذلك
الشعب المرائع قبل استعادة الأتراك للبحجاز ، وهي الحادثة التي أستطيع
وصفه بدقة لأي أقمت في تلك البلاد والحرب بين الطرفين لا زالت
مستمرة

مد ثلاثين سنة تقريباً بشر الوهابيون عقيدتهم ، وكسبوا أنصاراً
كثيرين ، واستنابوا بالتدريج على نجد ، وأحصوا معظم القبائل الكبيرة ،

السنة التي تنتهي^(١) واستمر في محاربتهم حتى استسلمت لهم مكة

وكان مدعوماً حينئذ بأفغان الحويية المكونة من الفوم في
ثربة ، وسي سالم في بيشة^(٢) ، وعدم في زهران^(٣) ، والأعداد الكبيرة من
أسدو المجازين لنصائف وكانت هذه الحروب تعد بالطريقة البدوية ،
ويتحدث قبل من فترت اصلاح القصيرة وكان كل من الطرفين يشن
هجوماً مفاجئاً على رعي عدوه وكانت العائلم تؤحد سجالاً دون فرق
كسر من ربح أو الخسارة ومع يترك غالب ، اندي كان على صلة دائمة
بالاب العالي والذي كان يسقى هائلة الحجاج سوي ، أية نسبة
تحرير الحكومة التركية ضد أعدائه إلا اتحادها فقد أظهرهم كدراً
وهو يرب بصرف زهاديين بحاد الحجاج لأتراك ذلك انري المعادي
لهم ، وكان الباب العالي مستعداً لتقبّل راء انشريف غالب لأن باشا بغداد
سبق أ قدّم له آراء مشابهة به عيهم ذلك أن ابث كان مثل الشريف
يمارس نفوذاً على عدد كبير من القبائل البدوية فيم حاورة من مناطق .
وكان عدد منها في حرب مع الوهابيين الذين كانت عروايم محيية لكل
من هم على شاطئ الفرات . وكانت حشود منهم تهاجم ، كل سنة

(١) كان مجيء الشريف غالب إلى حكم مكة سنة ١٢٢٠ هـ (١٢٨٧ م) وكان أول عمل
عسكري اتخذه عبد الوهابي سنة ١٢٠٥ هـ يكن من المعروف أن اشراف مكة قد التحوا مره
عدائ من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنفسه قد ظهر لها . وكان من بر من قاموا به مع
أولئك الأنصار من الحج

(٢) المعروف بـ سي سالم في أعالي ثبة في السراء انظر حمد الجاسر معجم قبائل اليمنك العربية
السعودية ، دار الجامعة ، ١٤٠١ هـ ، ج ١ ، ص ٣٢٨

(٣) هكذا وردت العبارة والمعروف أن هناك عدداً من حامد اسمه الزهران يكن قبيلة غامد لا تسكن
في مناطق قبيلة زهران

١٠ نهرها ، المصطفة القريبة من البصرة ، وتقتل كثيراً من الحاضرة ، الذين هم من رعيا حكومة بغداد ، هي اشاطئ الحويي من النهر

وكان الحجاج الفرس الذين يذهبون إلى مكة عن طريق بغداد يساعة يشكون عند عودتهم من المصائبات العظيمة التي يلاقونها من بهائيس ، إذ كانوا محسرين على أن يدفعوا يدوة كبيرة لرعيهم مقابل مرورهم بأراضيهم^(١)

وبتلك تلك مدينته على حدود بلاد العرب تسب من بعد روحه حقوق صد الذريعة لكن المصادر المالية لدى تلك المدينته كانت غنية وكانت سياسته غير معروف بها تمام حتى دخل حدود منطقة باشويته الخاصة ولهذا فإنه لم يستطع أن يقوم بدار حقيقي بهائيس إلا سنة ١٧٩١ م . وكان سيدان باث ، حاكم بغداد في ذلك الوقت ، شخصيه مشهورة بالشجاعة ، شجاع والعدل وكل تصدد لصدية لسل تركي راعب في المحافظة على مركزه وقد عهد إلى مساعدته قيادة لخميه التي سارت من بغداد وكان الحبيث تتكبر من رعيه أو خمسة آلاف جندي تركي ، وضعف ذلك العدد من عرب محشائين معه من قبائل نظمير والمستنق وشمر وكان سيرهم محادياً

(١) في كلامه عن نوع من الفتن مع ما ذكر قبل ذلك بعض من عبور جوان الحبيد من بغداد عبر أراضي البهائيس دون أن يمسوها بسوء

(٢) كان باث بغداد قد أرسل حيله ضد قادة الذويجه فبيده عيون لبيبه المستنق سنة ١٧٩٦ م كما في الإثارة إلى ذلك

لجميع العربي غير صحراء توحيد آبار ماء في كل محطه منها^(٢) وكانت
تحملة موحية ، بادهى ، ري بلد ، إلى الأحساء أغنى ماضى تحكم
الوهابي وأكثرها إتاحتها

وبدأ من بعده رحا لحمة العراقية من مصقه الأحساء فقرر ، في
لدرعية . وهي لا تعد أكثر من خمسة أو ستة أيام عنها — حاصره
فدعها المحصنة التي توقعوا أن بأحدوه دون صعوبة لكن استؤمته بهم
السرور أكثر من شهر وأثار وصول قوه وهديه كبيرة بقيده سعود بن
سعد العربي شكوكاً فريد في السجاع فقرر الأتراك الانسحاب وكان
سعود قد توقع ذلك لإخراجه . فسقطهم وعسكر مع جنوده على إحدى آبار
شاح على بعد ثلاثة يام من الأحساء وأفسد ماء البئر الشبية ، شيء بعد
مدن عن الأوى ، رمي عدة ، كياس من المدح فيها ، فكان قد أحضر معه
صباح يهد لعرص وتوقف جنود بعدد عند تلك البئر ومن الممكن
تحرر من عتاده كل من الرجال ولدواب من نوعية ذلك العدو . ولم
يسمحس قادة الجيش الأتراك مواصلة السير لأن سعوداً قد يقصّ فجأة
عليهم . ومن ناحية أخرى فإن الرعيم الوهابي لم يجرؤ على مهاجمة
لأتراك الذين كانت مدفعاتهم قوية جداً بالنسبة له وقومه وهكدا طر
الحشاش ثلاثة أيام وكل منهما على مرأى من الآخر في صفوف متعادله
وفي بعض الأحيان كان يقوم فارس من أحد الجانبين بمناوشة فارس من
الجانب الآخر في أسهل المواصل بين المعسكرين ثم دارت معارشات

(٢) سنتر بوركهارب الجميع بالماسي بكر الشواهد تؤيد تسميته بالعربي وذلك ترجم ، في
العربي

بين قائدَي الحِيثيين ، وتوصلاً إلى صبح بين الرعيم الوهابي وبين بشد
بعداد مدته ست سوث وبعد ذلك عاد كل من الحِيثيين بهذوء إلى
بلده^(١)

وكان فشل حملة باشويه بعداد نسيب الأوب هي سوء الحظ الذي
حلَّ بعد ذلك مباشرة بالحارب المركبي من جميع الجهات ذلك أن
الوهابيين عرفوا حينذاك حصاره الحدود العثمانيين وهم يلت السلاط
لطرفين أن يحطّم فقد هاجم عرب نابعون لحكومة بعداد التركية قادة
حجاج فارسيين معي حرس وهايي بين الحنة ومشهد فقامت جماعات
من الوهابيين بالإغدره على ما يحاور البصرة مرة أخرى ، وقد نشر
أخبارهم كبرلاء سنة ١٨٠١ هـ (١٢١٠ هـ) العرب بين كل المسلمين
لحقيقين^(٢) ، كما نعت البهجة والباهي هي دعوى الوهابيين وكان
تقدس صريح حفيد محمد (صلى الله عليه وسلم) من كوف لجيب
لعضب الوهابي صده فقد قتل في تلك المدة حملة لأف إسماعيل
لكن الرجال المسنين والنساء والأطفال لم يعرض لهم ، كما أن حارة
العاسية احترمت بسبب الاحرم الوهابي لتأسيسها وقد حطمت قبة
صريح الاحسين ، لكن كور كل من ذلك مسحد ومشهد عني
(سحد) قد أحصيت ، وبقلت بعد ذلك إلى بعداد وقد أسس الوهابيون
جنداً محلي على سور مدينة كبرلاء ، واستبقوا بها سور إلى داخلها ،

(١) أصبح أو جيني بعد كاد هي يده جاد ، ذلك أنكر عودته من سيطرة التي . . .
السلاط والهاب في سرقية البلاد إلى السطحة التي يطلق بها وهي نجد

(٢) المراد بالمسنين الحقيقيين المسلمين من غير أنبا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ذلك أن
المؤلف منه أوضح رأيه في مبادئ دعوة الشيخ وقال : مع ثقته مع تعاليم الإسلام
الصحيحة

وأنصروا خمسة أو ستة أيام وهم يقتلون ويهبطون مكانها ثم انسحبوا منها^(١) ، وهاجموا العرب المقيمين على شط العرب لكن كلاً من عرب الزبير وسكان النخف صمدوهم ، على أنهم حملوا معهم ، على أيه حال ، كل العتائم التي أخذوها من قبل ، وعدوا إلى بلادهم

ويدور لوهائيين بعد نهب كربلاء قد أعادوا سطر في أرائهم ؛ حصة ر حصة ثنية على ما يحاور بغداد سبب بالفضل وكان ثوي ، شيخ قبيلة لصفوي . ومعهم قومه وفائل نصير رشم وسمو كعب ؛ إضافة إلى جيش من الجنود الأتراك ، قد قد حصد حصد بعد وهم يتوقف في الأحساء ، بل وأصل سيره باتجاه الدرعية حتى يصل إلى بئر النصيحة التي تبعد مسافة يوم عن مورد ماء أشهر بها يسمى الكويك على بعد خمسة أو ستة أيام من الدرعية^(٢) . وبما كان لجيش معسكراً هناك عقد وهابي محمدي مملوك بيبي خالد ألقاه ثوي^(٣) وقرب سعود فور من ذلك المكان ، وهرب جنود بغداد لكن لأنهم لم يكونوا يعرفون الطريق قبلوا ما أبدوا الذين معهم فقد استطاعوا الهرب وعدد كبير من أولئك الجنود في اليوم التالي إلى بئر النصيحة أميين أن يحصوا على

(١) ذكر في سر سعود بن عبد العزيز وهو معه في كربلاء الأصحاب وأهم قتلوا من الهدايا حويي الذي رجل انظر عنوان المجلد ج ١ من ١

(٢) من المعروف أن النصيحة تقع شمال منطقة الأحساء فهي بين هذه المنطقة وبين انعرج ومن المعروف ، بهذا ، أن الكويك ، كتاب بلدة مهمة لا مورد ماء

(٣) الرجل الذي اعتد بويي بر عبد الله اسمه طعيس وقد قتل فور اعتياله لويي وأصبح ما قام به من عمل جرى ، مضرب مثل لأي المجديس ، إذ يقال (باع بيعة طعيس) كناية عن الإنفاق العظيم نحو الهدف

لجاء ، وأن يعاملوا معاملة الأسرى أو لا ينشبه إنيهم لكن سعوداً لم ينحل
عن عذته المعروفة ، فأمر قومه بقتلهم جميعاً^(٣) .

عني أن عرب نجد والصحراء الشمالية ظهروا إنسانيه أكثر من
غيرهم . فأحقر في حياتهم كثيراً من أعدائهم العساء ، وأعضوهم ماء
مصريين ، وتركوهم يرحلون عنهم قبل طوع أو نحر وعلى عكس هؤلاء
قام أبداً الحوييون — وهم ، نصفه عامة ، من قحطان وعتيبة — بقتل
كثير من توفيق عبد حياتهم بدون رحمة ومع ذلك ، ومهما كان تعصب
واحد الآخر أو أوامر رعيتهم ، فإنهم لم يستطيعوا أن يكتسبوا مشاعرهم
سواء فقد كذب أي شاهد عيان أنه قد سمح لكل مشرد أن يروي طمأه
قل أن يتلقى كثرة الموت بعد سبق أن ذكرت بأن الرحمة الوهابي لا
يسمح بحسب ما حصل بالأسرة لأي إساءة بقصي لطام الوهابي نفسه ، مثل
لعدو الذي يوجد متسحراً

(٣) من غير مرجح أن هذا الخبر الشهير قد مر من مصادر عديدة ولكن لا يمكن أن يكون
عند هذه الأمم مستحيلاً خاصة أن المؤلف نفسه قد ذكر في أولئك الجيوب كثيراً ما يكون الألبسة
إليهم من غير الصريح بهذا ، أن مصدر من يفتيه جميعاً ، خاصة أنه من النجدة جد أن
هو ذو غير مستحي

كان يروي عن عبد الله له لأم بهجوع علي بريدة سنة ١٠١ هـ (١٢٨ م) لكنه المصحح
من عده إن وصور حذر إليه من العراق فبعد بعه عن عده فبلغه
في سنة ١٠٢ هـ ١٥٠ م عهد يروي عن إمامه عبيد السفي وكنته باسم عده بواره
حينه صد تونه بد عيه ونظير من العرب حتى وصل إلى الصبيحة بأنحاء حار ثلاثة سهو
حتى اكتشف عبيد من دار مجتهد إلى الأحباء ، وكان المكان الذي اعتكف فيه طويلاً هو
السبلا وهو موزع ماء من موزع عبيد سي حاله وكان دمه الأعين من مسهل سنة ١٢٢ هـ
انظر صاحبين مجرمي يروي في كل من روضة الأفكار ١٢٠ ص ٢٧ — ٣
و ٨٧ — ١٩٧ و عنوان المجلد ج ١ ، ص ٩٨ — ٩٩ و ٣٨ — ١٤٣

وقد بدأ عبد العزيز ، أبو سعود ، مهاجمة الحجاز والشريف عام
 ١٨٠١ م بدأب وحماس أكثر من ذي قبل . وكان غالب في حربه
 مع الوهابيين ينتصر قارة ويهزم قارة أخرى فقد احترق مرة بحداء ، وأمضى
 سنة كاملة مستوياً على بلدة صغيرة سُمي الشُّعراء في مطلقه
 القصيم . وفي مرة أخرى أحاط به لجنود الوهابيون ، فشقَّ صريفه من
 بينهم في أثناء الليل ، وهرب مع عدد قليل من أتباعه إلى بيشة . وقد مدَّ
 الوهابيون يهودهم وعقبتههم خلال سورت بين معظم القبائل الحبيبة
 جنوب الطائف باتجاه اليمن . وكانت تلك القبائل ذات قوة عظيمة
 وعُيِّن أبو نقطة ، شيع عسير^(١) ، قائداً لجميع تلك العرب القريبيين
 من الطائف داهم اضطروا سنة ١٨٠١ م إلى الحضور للهأوس وكان
 شهر عذاب ، عثد المصديقي شيخ قبيلة عذوال أسد كنه في تلك
 المنجات ، قد أصبح عدواً لذلك الشريف منذ عدة سنوات^(٢) . وبعد أنه
 كان مشهوراً بكر الصدق الصوريه لشيع بدوي فإن عبد العزيز بعد
 سبيلاته على تلك أيلاد عثه أميراً لقبائل الطائف ومكة وما بينها شمالاً
 حتى منتصف الطريق إلى المدينة . وكان غالب ، حيداك ، قد أصبح

(١) كان محمد الشريف غالب على الشُّعراء أول من هجم يعرف به عبد الأرامي التابعة لآل سعود . وكان
 ذلك سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م)

والشُّعراء في غالبه نجد لا في مضفة القصيم . ولم يستطع الشريف لاستيلاء عليها . غم
 المحاولات التي بذلها . انظر في حيل ذلك في روضة الأفكار ، ج ٢ ، ص ص ١٤٧ - ١٥٠
 وعذوال المجند ج ١ ، ص ص ١٧ - ١٩

(٢) في الأصل عزيز Azz . وواضح أن ذلك خطأ

(٣) لم يصبح عثد المصديقي عدواً للشريف غالب إلا سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) وهي السنة
 التي انضم فيها إلى الدرعية . انظر عذوال المجند ، ج ١ ، ص ١٥٢

مطوّقاً تقريباً بمصاحف صود وهديّة ، لکھ لم يقد بشاطہ مجمع من نفی
من عربہ المحدثين ، وحاول مرة أخرى أن يعرّو سجداً ، لکھ لم يمح

وهي سنة ١٨٠٢ م حاصر عثمان المصايقي الطائف وسنولي
على هذه المدينة الجميلة ، مصيف كل النجار المكيس ووردوس النجار
— كما يسميها العرب — بعد مقاومته عيفة ففتيت مصيراً من ذلك
لمصير لدى بقيته كربلاء مع خلاف واحد ؛ هو أن عداوة عثمان
بشرى جنته يحترق معظم لمباي الحيدة ، ويأمر حموده خلال
لمديحه انعاماً ألا يتركوا شياً أو مفعلاً إلا قتلوه وهي تلك السنة
عندها سنولي المصايقي ، أيضاً ، على المصدة ؛ وهي مياه على البحر
الأحمر نابعة بشاريف غالب ، وتقع جنوب جدة على بعد سبعة أيام

وقد جعل ذلك لاجل الوهابيين حسوس جدا فقد كانت قواهم
الاجحاج السورية والمصرية من قبل تقدم بانتظام إلى الحجارة رغم أن
لشريف عليّ عمل كبير في وسعه نشر حربا مكشوفة بين الولاة العالي
وبين الوهابيين وحيما كان لحرار ، حاكم عكا ، يشا للمشرق كان
يقود ، أحيار ، القادة بعمه إلى مكة بطريقه نسم بأحباه وكذلك

١٠٣ - ١٠٤

كان يعبد الله يا شيا العظم^(١) وقد قبل هذا الأخير مراراً كل جموع
الحجاج اليهوديين على أرض عرفات ، وتبادل الهدايا مع عبد العزيز^(٢)

ويسدو أن يوهابيين قد تصرفوا على أساس ديني يرفضهم اسماء
عقول الحجاج بالمرور عبر أراضيهم . ذلك أنهم كانوا يعمدون أن الجوار
يدين يرفضون تلك المواقف بل يحاولوا القيام بأية إجراءات عدائية في بلاد
مكة أن تضع يدها بمداداتهم وتعريضهم مراراً ، لكن الحجاج المنكوبين
تدث لقوا كانوا يتصرفون دائماً بطريقة مثيية جداً فرعائهم يركبون
أموالهم على . ويرسم الحجاج فيها أصححت مئة بتصرفات الحجاج
المرتبطة بدرجته أن يوهابيين ، الذين أصرروا منذ زمن طويل على إصلاح تلك
المساويء قرر إتياء محبيء ذلك نقول وكـ . حر حج أذنه لقائه
السورية عام ٢ ١٨ م (١٢١٧ هـ)^(٣)

وقد هاجم اليهوديون في الأخرى اشماله من الحجاز قبيلة حرب
انقويه امفاته ، وسدوا الطريق إلى اندبيه

(١) في الأصل : عبد الله يا شيا عذك . ومن الواضح أن هذا ليس مقصوداً إذ لم يكن لعبد الله
ليس يحاكم هذه البدة دخل في الموضوع المحدث عنه . بالرجوع أن السواد عبد الله
العظم يا شيا دمسو . وكان عبد الله قد حج سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) وفي السنة التي دخل
فيه السعوديون مكة مرة ثانية بقيادة عبد الوهاب بن عفة وعماد القضاة . وقد ساءر فيه
عبد الوهاب الهدايا مع الشريف عالة . ولم يتعرض لعبد الله العظم بسوء . نظر عنوان العبد
ج ، ص ١٨٣-١٨٤ . ومن المعلوم أن عبد العزيز لم يغلب سنة ١٢٠٨ هـ وأن له يحج
من قيام الدولة السعودية الأولى سنة ١٠٥٧ هـ حتى عياله سنة ١٢١٨ هـ

(٢) سبق أن أشير إلى حج السوريين بقيادة يا شيا دمشق ، عبد الله العظم ، سنة ١٢٢٠ هـ

وفي عام ١٨٠٢ م أنهى الوهابيون فتح الحجاز ، وتجاوز نفوذهم كل الحدود السابقة^(١) فقد جمع سعود بن عبد العزيز وعثمان المصديقي في أوائل سلك لسة قوة كبيرة هي الطائف وبعد عدة معارك مع الشريف غلب اقترنت القوة الوهابية من مكة واقامت مركز قيادتها في قرية الحسبيّة التي يوجد فيها كثير من بيوت السكّين بصيغية ، على بعد ساعة ونصف الساعة من سلك المدينة فاتجهاء الجنوب وصوّقت حدود الوهابيين خصعة لحركة مكة من كل جانب فهاجموا انصاحية الشرقية منها بمسافة متعددة ، اسولوا عليها مرة ، كما هاجموا قصر أسرف في تحت انصاحية ومن هناك قاموا بحروب متكررة على سلك المدينة مستخدمة التي به تكن محصنة بأسوار ودوام غلب متجاءه ووضع نعماً غرب قصره ومع به به صحح تعاماً فيه حذر معادراً على تعهتر

حينئذ قطع الوهابيون معه اد لواء لعذب الذي أتى عنرقه من عربات بني د حل مكة ، واضطر السكّك إلى التّرب من أبار عالحة وبعد حصار شهرين أو ثلاثة شهور د أوغث السكّك يهون كثير بسبب كل من الماء السيء وندرة المؤن وكما أدى غلب وجوده بعض لبحرود من لأطعمة ، لكن لم يورّع عنها أي شيء على الطغيات نديا لي صطرت أن تعامر باخروج من بلدته ليلاً لتتقطّ عشياً يابساً حينئذ شربه من الحجاب المحاورة مقبل حصّة من التّمح الذي في مسكّه

(١) لم يتمكن السعوديون متيلاًهم على الحجاز إلا سنة ١٨٠٥ م ذلك « سعود اسولي على مكة سنة ١٨٠٣ م سلك الشريف غالب اسدهم ولم يسور السعوديون عليها مرة أخرى إلا سنة ١٨٠٥ م صر عثمان المجلد ١ ، ص ص ٦٤ - ١٦٥ و ١٨٩ - ١٨٦

وحيد أكلت جميع قطط مكة وكلابها ، وشخت مؤن الشريف
عنه عذر البلدة مع المصريين إليه ، حاملاً معه كل أسرته وأثاثه بعد أن
أحرق أثاث قصره الذي لا يسهل حمله وذهب إلى جدة وبركت مكة
بلاقي مصيرها الذي ينظرها ، وفي صباح اليوم التالي صهر رعاء سكرها
لباعها . أو على الأصح يستسلمو سعود بدون قيد أو شرط ودخل
عد الرعم سنة في ذلك اليوم نفسه . وقد جرت تلك الحوادث في أبريل
سنة ١٨٠٣ هـ . ولا يرل المكيون يذكرون ، عرفاناً بالجميل ،
الأشخاص الثمينة التي راعدها وعند الوهابيون الأشداء عند دخولهم مكة
إلى أن يرنك أي بعد على حفوف ساس وفي يوم الثاني فشت كل
الذكاء من سعود . ودفع جنوده تمس كل ما شتره ، أعس سعود
أنه كان في معذرة أن يأخذ البلدة بهجوم كسح سد رس ، لكنه رعب
في أن تصادى الفوجي وتحدثت أني قد يحدث من حراء ذلك وأحر
البناء في محسن كبر أنه رأى محمد (صلى الله عليه وسلم) في
منامه ، فحدثه بأنه من يعيش ثلاثة أيام يو أخذ حة حطة بالصورة من
سديده الممثلة

وهكذا أصبح أهل مكة وهابيين بمعنى أنهم اصصرو إلى أن
يخضرو على الصلاة في أوقاتها أكثر مما سبق ، وأن يرفعوا ملائمتهم
الحريفة الجميلة ويحفظوها ، وأن يسمعو عن السحيين عند وقد جمع

(١) وأصبح أنه انبازل بعدة عن دخول سعود إلى مكة في مستهل سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م)
وكما ذكر سابق عاد الشريف غالب إلى هذه البلدة ، ثم اضطر في مستهل سنة ١٢١١ هـ إلى
الرحيل بحب طاعه سعود . غير أن حصار الذي فرضه سعود على مكة حتر أكل لحوم الكلاب
٥٠ هـ ٢٢ هـ نصر عثمان بعدد ج ، من من ١٢٥ و ٨٣

أكوام من العلابين الفارسية (الشيخ) من كل أسبوت ، وُشعلت فيها الدر
أمام مركز عيدة سعود ، وحرم بيع التبغ . وعين سعود عبد المعين ، أبا
غالب . على رأس الحكومة المكة ، كما عين عالماً من اندرعه اسمه
ابن نامي فاضلاً ببلده ^١ وكان هذا القاضي البدوي مستقيماً جداً لدرجة
أن أحكامه أصبحت مصدر العشر غريباً ^٢ ويقول المكون الآن سحرية
من ناصبهم القسطنطيني ايموتشي : « ها هو من نامي » وفي ذلك
انوقت ألعي ادعاء سلطان العثماني في خطبه الجمعة

بـ وجه سعود قومه من مكة إلى حدة التي لها إليها شريف
غالب وحاصر هذه المدينة أحد عشر يوماً ، لكن سكانها خرجوا
بشجاعة وحسن فقد لأهل في مقدمته على فتحهم أسوارها تراجع عنها
ويؤكد كثير من الناس أن غالب ، الذي كان قد قام بتهجير بني ضهر
سفيانة كبره في مساء يهرب عن طريق البحر ، جعل سعود يتراجع
مقابل مبيع مقداره خمسون ألف دولار وبحرث اليهوديين حيله حائدين
إلى الصحراء لشدة إرجاع غالب من حده فاستعاد حكم مكة في
يونيو سنة ١٩٠٢ م ؛ حين استسلمت له اجمستان اليهودية الصغيرة
حوحودات في قضيته . وناراً به عن الحكم أخوه عبد المعين الذي

(١) - نامي هو شيخ عبد - حمد بن نامي - ولد في بلدة وادي فدا من (إمام عبد العزيز
بن محمد بن أبي عبد الله سنة ١٢٢٣ هـ قاصداً ملاحداً - يعني فاضلاً جداً حتى أنه سجد
للمسافر فأنه ثلثه نسيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى هناك - وكان له دور في المباحثات التي
ب بين عبد الوهاب بن بقعة ، قائد الفاتح الميمنية - وبين العديد من عابك حيدر كاتب ملك
السودان - حاصر مكة - حر سنة ١٢٢٦ هـ

(٢) - لم يكن من نامي بدوي ، بل كان حصاراً من نجد - بكر المرفق احباً - يستقي كل الباع دعوته
شيخ محمد بن عبد الوهاب بدواً

كان شخصية محبة للسلام لكن غائباً سريعاً ما اكتشف أنه غير قادر على اندفاع عن مركزه هذه طويلة فصالح مع سعود . واستسلم لذلك الرعب الوهابي ومع أنه لم يمر على ذلك الحرب إلا أحد عشر عاماً حين وصولي إلى الحجاز فإن تفاصيلها قد رويت بوجوه مختلفة باختلاف روايتها

وقد تشعبت على حسبك بسيرة أقصص بكثير من السيرة التي كان يسمع بـ ، عادة ، رعبه أصبح الدعوة لأحزاب فقد تركت له بداهة ودخول ، وسمع عدة فئات بدوية أن تصل تحت يهوده ولما كانت الطريقة وم حكام عدة معقدة من احترام فيه لم يطلب منه ولا من الحكيم دفع الزكاة إلى سعود ومن ناحية أخرى أنعى الشريف لحمارك التي توحد هي مـ ، حدة عن كل الوهابيين

وكان الأسبلاء على مكة بداهة بمكاسب يهابيه أخرى هي الحذر فقد صطرت قبيلة حرب أن تحصص لسعود ، وإن كان ذلك انحصوع لم يتم إلا بعد صراع شاق مما أعصب الوهابيين ، وحملهم بملوئها بطريقة أكثر شدة من معاستهم لأي منو آخرين هي تلك البلاد على أن هريقاً من حرب ، يستولون بي صبح ، نجحوا في أن يبقوا في جاهم الشاهقة ولم يستسلموا أبداً وقد استسلمت بلدة يسع لسعود حينما انضمت حرب وجهية ؛ وهي قبيلة كبيرة أخرى تسكن تلك

(١) كان دعاء ليلة حرب من آل مصلحان قد انضموا إلى سعود قبل ميلاده غير مكة مرة ثانية ، فقد لعبوا دور كبير في رد حال السيرة السيرة تحت يهوده هي أول السنة التي يذهب بها الشريف غالب ، انظر عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٨٦

البحر ، إلى الحجاب الوهابي وبعد ذلك بفصل — في أول ربيع سنة ١٨٤٠ م — نعتها المديبة ^١ . وكان الرجل القوي في البلد الأخير ، حسن الفلعي ، قد أصبحت له قوة مستدادية هائلة ، كما كان مسؤولاً عن الجور الكبير الذي حدث خلال المجاعة العامة حينما قطع الوهابيون كل إمداد عنها . وفي نهاية الأمر قصص على كل الكور الموصولة عند صريح محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقسم جزءاً منها على أتباعه ، ثم قرر أن يسلم إليه يعامل سكان المدينة ، الذين هم أكثر ملاً بالأثر من المكيين والذين يعيشون كفيه على سبب التي يحضرون عندها من رؤساء مسجدهم ، معاملة متسامحة كتبت التي عومل بها أهل مكة فقد أحببهم لركه البقاء ، لكن ثروته الخاصة . تهيأ وقد حضر الموصوف التركي لأمرنا لجزء معين من وجهه . في أيامه مع كثير من الحجاج والأرداء وتحت مصيبت ، تدفق حمله بركبه يوهبي تبحر كل ليلة حرب ، حاكم

وهذا آخر يوهبي صرمة عظيمة سكان المدينة على أن يحدقوا على لصوب فكأن يدعى كل رجل مع اسمه في المسجد بعد كل صلاة ومن ثم يحضر صلاة عوف وقد نهجت امرأة محترمة مدح من العيوب الغارسي (النبيشة) ، عركت حصاراً والعيوب يتدأ من رقتها التي لف عليها ثوب مططي (تيه) الطويل ، وير بها في لأسرى وطن

(١) سواد من إلى انه يوهبي المدينة متوارة تحت طاعته سعود قد سمع من مبعده سرياً غالباً

بحسن الفهم بعض أئمة نوح انحراف الزهادي ، واستمر يصيب
السكن

وقد زار معبد المدينة بعد استيلاء قوات علي بن أبي طالب ، وحرق حريق
محمّد (صلى الله عليه وسلم) من كل الأشياء الثمينة التي كانت لا تزال
موجودة هناك وكانت الأواني الذهبية قد أخذت من قبل وقد حارب .
بعد أن يهدم القبة العالية المقامة على النصريح ، ولم يسمح بدخول
الأمر . أن يقتربوا من المدينة من أية جهة وعموم عدد منهم حاولوا أن
يذهبوا من سبع مئة سنة ففقدت حياضهم لأن الزهاديين الذين
يذهبون قضيدهم . بمحمد بن أبي (صلى الله عليه وسلم) ثم تمكن
حسنه طويته وكثرت كنيته التي بالأثران الشماليين وقد وقعت ديت بالأثران
عصفت مدب من يهوديين حصارهم دون اتساع حياض أو أمر خاص
وقد ستمر يهوديون ، على أية حال ، يورون المدينة مكرها
محمّد (صلى الله عليه وسلم) ، ويقومون بزيارة تعبدية بمسجد ، لا لغيره
الواقع في ذلك المسجد كما يفعل المسلمون الآخرون ، ولم يتعرضوا
نصريح نكر معبوداً بعدد شرك كل الممارسات أو الدعوات أو الساءات
به وبذلك حرّمها ومن لحظاً التأكيد . كما فعل لأثران - على أن
الزهاديين حرّموا الحج إلى المدينة^{١٢}

(١) كان اليهوديون يذهبون إلى المدينة لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لكنهم لم يذهبوا
ويجوزهم في المدينة ليزوروا قبره لزيارة المسجد

(٢) اندهاب إلى المدينة لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسرى حجة ويصل كوا
الحجاج في حياض الأثران يورون المدينة في رحلتهم لأداء الحج قد جعل المؤلف يظن الزيارة
حجاً

على أنه قبل استيلاء سعود على المدينة كان محيىء القوافل الكبيرة
إليه لمحقق قد توقف وهم يستطيع يوسف أعما ، أحد صناد عبد الله
باشا ، أن يصل إلى ثلث البلدة سنة ١٨٠٢ م ، بل ترجع عنها حين
كتاب على مساهمة ساعات قليلة منها على أنه ومن معه لم يُصَبِّهوا في
طريق عودهم إلى بلادهم ولم يجرؤ لحجاج المصريون ثلث السنة على
المحيىء بالطريق البرية لأن قيسي حرب وجهة قد أصحقتا من الوهابيين
كل لمحصل أي مع قليل من الحجاج بحرأ عن طريق حدة بصحية
ربعمائة و خمسمائة جدي تحت قيادة شريف باشا ، لذي عيَّنه الباب
لحالي حاكماً هذه البلدة وقد رُدَّ الحجاج الفارسيون ، أيضاً ، مد
سنة ١٨٠٢ م ، كما رُدَّت قاعة حجاج اليبس وبعد هذه لم يصل لأي
مكة من قوافل الحج المنتظمة بعد سنة ١٨٠٢ م ، إلا عدد قليل جداً
وقد توقف لمحصل في حدة ويوفي شريف باشا سنة ٨٠٤ م في
الحجاز وهناك شك بأنه قد سمع بأمر من عتبات

وقد شهد عبد العزيز لاستيلاء على مكة ، لكنه لم يشهد
لاستيلاء على المدينة حيث أنه اعزل سنة ١٨٠٣ م بيد فارسي سبق
أن قتل الوهابيون فأياه وحققه في لحكمه انه سعود بندي بقوقه في
لصنادب الضرورية لهاتذ ديسي ليدو محاربين وكان سعود يعود كل
حروب مد سواب طويلة ولعل فتح الحجاز يعود إليه

١ شهد عبد العزيز الاستيلاء الأول على مكة كان الشريف علاء من حكام مكة
عبد العزيز بختياري نائب نائب الحكام السعودي

وهي الوقت الذي اصصرت المدينة فيه أن تفتح أبوابها للوهابيين
 فشمائيل ثم يقف الجنويون معهم موقف المنفرج لإظهار قوتهم^(١)
 وكان أبو نقطة ، شيخ عسير في حرب مع الشريف حمود الذي بحكم
 الشاطئ اليمني من القنفذة تقريباً إلى بيت الفقيه . وكان حمود قد اترع
 بلدة الأحيرة من حكم أقرب أقرانه ، إمام صنعاء وقد رفض هذا الرعيم
 دائماً العقيدة الوهابية ؛ معتمداً على أسوار بلده وعلى جسمائه أو
 ستمائة فارس في خدمته . وقرب نهاية سنة ١٨٠٤ هـ رحل أبو نقطة من
 حرس عسير المرتفعة مع حشد كبير من قومه ، وشتر فوق لشاطي .
 أعاد هائله من الوهابيين مع صطر حمود إلى الهروب وهب هؤلاء
 الوهابيون على مدينتين على الساحل اليمني ؛ اللحية والحديدة . لكن
 بأقصة لم يحرروا على البقاء فهما ضويلاً مع جيشه فانسحب إلى
 لحار حيث بقي مرافقاً لشاطي . أبصر كنهه وأعنى حمود اعتناقه
 بعقيدة الحديدة .

ومع أن الوهابيين قد استولوا على لحجار فإن سلطة الشريف
 عانت طئت فوبة جداً فاسمه ومكانته المحلية ، ومواهبه انعطمة في
 المنكر ، وهوده الشخصي على كثير من الفائل ابدويه التي لا تزل تقوم
 سنه سعود ، وإهداى التميمه التي يهديها إلى هذا الأخير كلما زر مكة ،
 كل سنك الأنور . جعل الرعيم الوهابي بنعاصي عن كثير من أعمامه
 فكما اقرب سعود من مكة لأداء الحج ، اندي كان يؤديه سويلاً مع عدد

(١) توافق أن اصاع اندرجه في منطقة عسير نحو دور كبير حد من مهاجمة الشريف غالب والأسيلاء
 على مكة

كبير من قومه ، قابله فامة من الإبل المحمّنة بهدايا الشريف عبد الرينة
عنى بعد يومين من الهدية المذكورة وتشمل تلك الهدايا كل الأنواع
المحتدرة من المؤن والملابس وغيرهما ، إضافة إلى عدة حمول من القماش
الهندي ليعمل منه إحرامات يرتديها الحجاج لدخول الأماكن المقدسة
وكان كبار قومه يتلقون ، أيضاً ، هدايا مماثلة ، كما تهدي إلى النساء
والأطفال ملابس جديدة وكميات من الحلوى وهكذا كان سحاء غالب
في تلك المناسبات عظيماً لدرجة أن سعوداً كثيراً ما قال إن ذلك
يحججه ويحمل من المسحوق عليه أن يعامس الشريف كما يجب أن
يعامله .

وهكذا كانت قوة غالب في مكة دائماً موزية لقوة سعود
سقطته في حده فظنت في منتهى انقوة وكانت فيها باستمرار خدمه
حيدة ومع أن حدود الوهابيين لم يمدحوها تبدأ قبل سكانها كانوا
مضطرين إلى إعلان اعتناقهم للعقيدة الجديدة كما زارهم رجال سعود
متحاره وفي خلال سنة ٨٠٥ هـ قام المصممي بني كد لا يزال
عدواً لغالب ، بعده محاولات للاستيلاء عليها بعنه لخصين وبدون أمر
رسمي من الزعيم الوهابي فاستولى على أبر مبيها ، لكن لسكن ،
بمن فيهم الأجانب الذين كانوا هناك ، تسحقوا وأضطرو حطبه .

١ (لم نشر المصادر المؤتوية إلى يوم المصممي بعد ذكره المؤلف) م ذكر بر اسم عبد الوهاب
أن سقطه هو الذي قام بمهاجمه بعده بناء على أمر من سعود في ذلك العام وهذا بين مناجحه
غالب لسعود انظر عنوان المجلد ١ ج ١ ، ص ١٨٢-١٨٣

وبالرغم من أن قواعد الحج كانت تقطع حينذاك فإن عدد كسرى
 من الحجاج تدفقوا على مكة كل سنة من كل أجراء الإمبراطورية التركية
 فقد كانوا يتوجهون سحراً إلى جدة ، ومن تصدر أوامر من سعود بسعيهم من
 مواصلة سيرهم إلى مكة وكان أولئك الحجاج مصطربين ، بضعة
 الحائل ، إلى استئجار كل لعائن الزهدية ، لكن من تصف وهو ملك
 لعاليه وحرمها لم يوجه أية معاملة قاسية وقد عرفت في حلب سنة
 ١٨١٠ م رجلاً من أهل تلك المدينة ، وأخبرني أنه أدى الحج سبباً خلال
 سنوات حسب المسافة عن طريق القاهرة والمصر ، من أية مدينة
 وكان حجاج نسيم والهدى والأقطار البرحية يمشون إلى جدة سحراً ، كما
 كان يمشون سحراً ، وذلك قبل الحج بحوالي شهر أكملهم وجدوا من
 مصدحه ترك سلاحهم في تلك البلدة لأن حمل الأحبار السلاح إلى
 مكة يعرضهم لدرية وموت بدمية أحبار ، وبذلك فإن الحجاء يوقف
 أبداً لا بسنة لعرب ولا بالنسبة للأتراك ولربما أن القوافل السورية
 والمصرية الكبيرة وثقت بأهل الوجه بين مكان من الممكن أن تعبر
 بصحراء من مطبوعة دون قوة مسلحة

وكانت الحجارة هائلة حينذاك فقد أعيدت الاتصالات مع دحر
 حريه العرب كلها ، ووصل قبل من الأجانب إليها مما جعل الأمور
 موفرة ورحضة ، لكن سكان المدينة المقدستين فقدوا الوسائل
 الرئيسية لموارد رفهم التي كانت تأتي من احتلالهم بالتجار الأجانب
 القادمين إلى الحج

وصلت الحجارة على تلك الحالة خلال السنوات الثلاث ١٨٠٦

و ١٨٠٧ و ١٨٠٨ م كانت قوة الشريف تصعب يوماً في حين
اعترف بسلطة سعود على أكثر مناطق الجزيرة العربية وفي السنوات
المذكورة سابقاً قام الرعي المهابي بعدة إغارات ضد البصرة وما بين
النهرين لكن إحدى إغاراته على البصرة كانت قليلة الحط فيما كان
جنوده مشغولين سلب القرى التي حول تلك المدينة في مجموعات
صغيرة داهمهم حشد كبير من عرب بني كعب بالمتفق ، وفنوا منهم
حوالي ألف وستمائة رجل

وقد قام مسدود رعي سعود بسبب لحرق على رأس قوة كبيرة
عبروات عديدة في الصحراء السورية ، وأرعب البدو الذين كانوا في جزر
حلب واقف وعرب كنانة بزيادة نهر الفرات ، فهبت محبات
القبائل العربية بين النهرين حتى وصلت إلى جزر بغداد وسمر
قوة نقطة في الحبوب برعج لهم إغارات حاصفة وسلب متكرر لكن لا
يبدو ، على أية حال ، أن صوء كانت هدفاً سهواً وكان سعود بعدم
الاهتمام الموجود بين حمود ، حاكم نهضة ، وبين أبي نقطة ، رعي
السرا ، فوجد كلا منهما بالتناوب بعائم تلك ثم به العنة التي يظهر من
وسائل دفاعها الضعيفة أنها لا تقوم أي هجوم عليها لكنه في الواقع
له يأمر أبداً أيأ منهما فتحها ، وذلك أنه — كما يقال — قد غلب في
أن يقوم هو بذلك الصبح .

(١) ذكر ابن بشر أن سعود أمر حمود بفتح حمراء ، لكنه لم يلق به الفرس في حمراء فقام سعود لوائب كبيرة
من تبعه بسفاته وذلك سنة ١٢٢٤ هـ ينظر عنوان المجد ج ١ ص ١٩٤

وخلال تلك السنوات لم يحرك الباب العالي ساكناً تقريباً^(١)

وكان سعود قد دخل في عداء صريح مع الحكومة التركية منذ أن منع قومه من الدعاء لسنبل في المساجد ، كما كان معاداً في حصينة الحصنة^(٢) وقد حدث ذلك لعداء بحينة بارعة من الشريف عامر ، الذي أراد أن يسب حراً لا تقبل المهادنة بين سعود وبين الباب العالي وقد وضع لسنبل محارياً شجاعاً ، هو يوسف باشا ، على رأس حكومة دمشق ، وتوقع أنه سيفقد قافلة الحجج بانقوده عبر الصحراء ، لكنه احتفظ بالمال التي رصدهت لذلك لقائه ، والتي كانت مخصصة على دخل دمشق ، لحامه الخاص ، ولم يصر أحد من السوريين الذين يصحبون ، عدده ، بقائه ثمة رعة هي أن يكون بهم يد تلك المهمة لحصيره

وقد قام يوسف باشا سنة ١٨١٩ م ببعض التجهيزات لشيله مثل هجوم على مصلحه الخوف المشتملة على عدة قرى في الطريق من دمشق إلى نجد ، والتي بعد عن العاصمة السورية اثني عشر يوماً ، لكن ذلك كان مجرد استعراض عقيم لحماسته ، ولم يدخل حيز التنفيذ على أن أكبر حسارة حثت بالوهابيين على الإطلاق وقعت تلك السنة ، ذلك أن حملة الانجيرية أرسلت من يومية لها جنت مباءهم الحصين المسمى رأس الحيمة على الخليج العربي ، وأحاطته إلى إمداد لأن سكانه القرصة من الفواسم سبق أن ارتكبوا كثيراً من الأعداءات على التجارة الانجيرية

(١) من المعروف أن الباب العالي حركه ضد دوله الدرعية منذ سنة ١٢١ هـ (١٧٦٥ م) ، وذلك بوجه حملات عسكرية ضدها من طريق باشا بغداد

(٢) زيفاف سجيده السلطان العثماني في خطبه الجمعة حدث من الثواب الأثري يظهر دعوته الشيع محمد على من أن ذلك يدعوهم لراحة الأفكار ، ج ص ٣٢

في البحر^(١) وكان أحد أساء عم سعود من بين القليل في تلك الحادثة .

وفي السنة ذاتها قامت الحرب من جديد بين أبي نضلة وبين الشريف حمود ؛ إذ انحدر الأول من جباله ، وحجم أمام بيده أبي عريش فسنل حمود يلاً من هذه البلدة مع حوالي أربعين فارساً يريدون ملابس لدو الوهابيين ، وسنث طريقاً غير مباشرة حتى وصل حجر إلى موحره جيش عدوه . ودخل بين معه محجم ذلك العدو دون إثارة أية ريبة لأن أفراد الحشـه ظنوهـم من أصدقائهم الحبيبين . ولما أصبحوا أمام حيمة أبي نضلة صاحوا صيحة الحرب ، وقتل حمود بيده ذلك الرعيم وهو يهش من فراشه ، ومكـه حصه الكسر من أن يهرب وسط الفوضى العارمة التي حدثت في المحجم .

وسرى لنسج عدمي (من شعيب) من قبيلة ربيعة الصغيرة في عسير بقيادة عبد أبي نضلة بموافقة من سعود . وحصم حمود مره ثانية ، لكن ولده كـب دائماً موضع شب ، ولم يكن ثمة دقماً في رساله لركابه

وفي سنة ١٨١٠ م أثر سعود اربع في قبـل سوري بمهاجمة

١- يصف العريش دائماً بالأحمر بالقرص إذ هاجموا معهم بهبـه كـاب الـدفع بسـهـ ومـعروف ان الفوسـه كـاب بمـا حمـود مـعـي أعدائهم لا مـرـكـه وريـد جهـاد ودفاعاً عن المصالح الوحيه

(٢) ذكر برسم آل حمود هاجم عبد الوهاب من مستعاده لملابانه ، وإلا عبد الأحمر قبل في سنة الهجره ، لكن جيشه كثر على يد سعود فهزمهم هزيمة كبرى ، ولعلهم خيلهم المهيمة حتى أبي عريش ، انظر عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٩٤-١٩٥ . وذكر عبد الاحـمـد البـخـلي ، وهو من اساء سنـث المسـطمة ، ان الذي قـتل عبد الوهاب في حـمـلة حمـود مـعـي مـجـمـه جماعه من مكين ودوي حسن . انظر كتابه نـصـح العود في سيرة الشريف حمود ، محمـد مـعـد بن أحمـد البـخـلي ، دار الملـك عبد العزير ، ١٤١٢ هـ ، ص ٢٥٧

المصطفى لمحاصرة لدمشق بحوالي ستة آلاف رجل وكان وصوله إلى
هناك غير متوقع ولم يقدر جيش يوسف باشا على إيقاف تقدمه وهي
خلال ثلاثة أيام نهب خمسا وثلاثين قرية في منطقة حوران على بعد
بعض فقط من دمشق ، وحرق كل القمح أيضا ذهب لكن لا بكن
غير رحيب ، سكان ، كما هي عادة في مناطق أخرى ، إذ سلب
حياة كثير من الملاحين وقد أسرت مرة مسجيه ، وجمعت ميا
كن سعود أمر بإطلاق سراحها بعد ذلك أيام بكر في مكة أن
يسمى على دمشق بسهولة في عهد مقدس الذي حل بسكنها عهد
فريد من ، إذ بدأ رسول كن ثروته تسمية إلى حيا جان لكن
حصلت كات دود شات أن يقود بعرب نهب متكررة حتى يضطر دمشق
إلى الانسحاب صومعه وقد عاد إلى بلاد بعثته وفيرة

وفي تلك سنة ذات حج فوجه كبر من المعركة بر عن صديق
الناظر بعد وصولهم إلى الحجر مسح به بدحون مكة ، إذ كان
سعود ذلك بغير أن المعارضة بتصرفون بحشمة ، وإيهم قوة مسدود
وقد كان قائد لفرقه ، وهو اس مرزوق بمعرب لأقصى ، وتبادى معه
الهدايا

وبما قام كل من باشا دمشق وباشا بغداد باستعراضات عبادة
ص وهيبت وقت مصر موقف متمرح تجاه مصر الحجر ، كاست
الحكمة الصغيرة المكونة من حوالي خمسمائة رجل ، والتي بعثها شريف

، واضح أنه لم يكن هناك ناع للفرس بحياة الملاحين الذين هم ، عادة ، مسلمون ، إذ كان سعود
وأنبائه دائما يرحبون هجماتهم ضد الملاحين

باشا من جدّة ، هي الجهد المرحب الذي تمّ من قِبَل مصر لاستعادة النفوذ
 التركي على البلاد المقدّسة وكانت حالة مصر المصطربة ، وتوزّع
 السلطة بين الباشوات الكثيرين الذين يعترفون اسماً فقط بالباشا الذي
 يرسله الباب العالي ، ورعية أولئك الباشوات هي الحصول على الأمور
 المعدّة لقوافل الحجّاج والبلاد المقدّسة ، كل هذه الأمور جعلت كل
 شيء محبوس بفقد الأمن في أن يرى استئناف الحجّ ما دامت مصر في
 تلك الحالة ذلك أن جميع الأطراف قد عذبت أنه لا يمكن أن تستعاد
 الحجّار إلا عن طريق مصر فالصحراء العظيمة الممتدة بين الحجّار
 وبين دمشق جعلت من المستحيل نقل مؤنّ ودخائر كافية بحمّة نظامية
 ضدّ عدوّ سيكون أول إجراء يقوم به قطع كل مواصلات تلك الحملة
 وقد تصل قوة صحمة ، يصبّحها عدداً كبير من الإبل السحابة ، إلى
 المدينة ، وربما إلى مكة ، بعد صعوبات حمّة بل قد تستولي تلك القوّة
 على هاتين المدينتين كل كل ما يجمع من الحبوب والإبل من بعد
 على إحصاء البلاد جميعها والدفاع عنها ضدّ عدوّ يسطر سيطرته معروف
 أحسن

ولقد أظهر الاعتبار الأخير وحده أن الجهود يجب أن توجّه كلها
 من مصر لتحرّج الحجّار من سادتها البدو فهذه البلاد تكاد تعتمد كميّة
 على مصر هي كل صرديات الحياة التي يمكن حملها بحرّاً عن طريق
 يسمّى وجدّة ؛ بوابتي المدينتين المقدّستين ، دون التعرّض وسط الطريق لأية
 حوائج تحدث رحلة يستغرق ثلاثين أو أربعين يوماً عبر صحراء قاحلة
 عدائية من سوريا إلى مكة

ولم يرفض الوهابيون السماح لمحتج من كل انبعاث بدحول البلاد المقدسة بل إنهم كثيراً ما عرصوا عليهم عدداً لا بأس به من سجناء مصر مسمي بشرط أن يصرفوا بلياقة ، وألا يظهروا بأي نوع من التوق في تلك البلاد ، لكي جعلت من برعها الطبيعية وشخصية سكانها وموقعها الجغرافي معظمة عربية لا مطقة تركية . وبعد أن خصعت مكة والمدينة للوهابس ، وأصبح الشريف نفسه تبعاً عقيدتهم وعادى صراحة الباب العالي ، ونبعه في هذ الموقف كل الحجار ، كان تبرر إخراج عثمانبي طبيعي يمكن أن يحد قطع كافة الإمدادات لتلك البلاد ؛ وذلك بإغلاق ميناء القصير (السويس) أمام شخص أي شيء إليها . لكن مثل ذلك الإجراء لم يتم خلال عهد الممديت . ولم يكن ذلك عرب ؛ بل لم يكن بدأ في الإمكان إيجاد إجراء عام في مصر حيث الناشوات الذين لهم نفوذ كبير والذين يحضرون على أرباح طائلة من تجارة الحجار . على أن الأمر قد يتساءل بحق عن إهمال ذلك الإجراء تحت حكومة محمد علي الذي مدت اسويس منذ سنة ١٨٠٥ م ، وذلك ميناء القصير منذ سنة ١٨٠٨ م ، والذي وعد مولاه السلطان بأقوى العصابات أن ينفذ نهجاً من الوهابيس

وحلال ذلك الوقت ؛ بل حتى بداية سنة ١٨١٠ م حين قام محمد علي بتجهيزات جادة مهاجمة الوهابيس ، كانت هناك سمن تصل يوماً من جهة وسبع إلى السويس والقصير ، وتعود محملة بالقمح والمواد لشريف ولغيره من أفراد التجار . ولم تتوقف تلك الحركة إلا قبل شهور قليلة من إبحار الحملة الأولى من اسويس إلى تحرير العربية حيث

كانت هناك مخاوف من القصر على السهم لمعدّة لحمس الجود هي
دئث المياء وكان قطع كل الإمدادات عن الحجار لمدة سنة واحدة
سيكون به أعظم النتائج المحيطة هي تلك البلاد التي لم تكن معددة على
أحجار المؤن أكثر من شهرين ، ولن تحول الإمدادات ثقلية جد. الفارمة
من حد واسم دون حدوث محاجة فيها ولو حدث هذا بالفعل لأصطر
لعيم الوهابي ذلك كيد إلى الوصول إلى صبح مع حاكم مصر في صالح
الحجاج والامراطوية التركية كلها

ومع أن جيش الوهابي بمسولي على الحجار قد يتمكن دائماً
من الاعتماد على الإمدادات من الداخل فإن شفاء الصحابة في البلاد
مقدسة سيؤثر بقوة على أولئك المنتهين المنتهين الذين يرون مرراً
على نقد يسمهم تلك الأماكن وأحرارهم سكتها وسوء بسجده
سيف عنه كل غوده مع الوهابيين ، وهو غود سمر قويا بعد خصومه
بهم ، انتهى الحجة لي شخص جزء من رجليه ، إضافة إلى ربح
نابغه ، وإن كان من يحصل أن هذا الأمر لأحر به يهمنه كثير وكان
شريك دحل من التجارة ومن الضرائب موصولة على الصنائع الهندية
في مصر أو لشادمة منها

وبما أن جزءاً سهلاً وصعباً كنه لم يتحد من قبل محمد علي
هقد حاول مؤيدوه أن يدفعوا عنه بادعائهم أنه سيكون دس لا يحضر
يعرض البلاد المقدسة لسمحائه لكن أولئك الذين يعرفون شخصية الناس
يعلمون أن عتراً كنه إذا كان د أهمية قلبه جداً لديه على أن أرب على
دريه بتجارة البحر الأحمر يعتقدون أن المكاسب التي تدفقت على حريته

من خلال تلك القصة ، بيعة شخصياً الفصح والموء ، في السويس وتفسير
 وبأحد البحار عليها ، كانت كبيرة جدا لدرجة أنه سم بشأ أن يمد
 أوامر سيده لي قد تسب تحقيق تلك المكاسب أو إيقافها وبعد
 اتحدث كل أهواء الأسر ضرورية تركية على إجهاد يوهائيس . أصبت
 بتعدد حملة مشبهه بحملات الصلبة القديمة صدهم ومع ذلك فإن
 منهم كانت ترى حامية كنو مصر من السويس إلى أرض صحراء
 لتأخذه : ممدد بذلك أعداءهم ، في مصر بوقت الذي تقصر فيه السافل
 يوم من نهاره إلى نوبير . محمته بدخائر المعقد حوت ذلك
 لأعداء

وهي تشارف : لأهربي من يمتد كبير ذكر مثل تلك الأحداث
 سحيقة والإحمرات نهريه كل الحكى في الشرق عدة سوت يوضح
 أن الحاكم السركي إذا وقع حسارة ، مهم كانت ضئيلة أو مؤقته ، فإنه لا
 شيء يحمله بتعدد إجراءات مصلحته لعدم ذلك أن يصره لا تعذر
 أنه يحصه لتي شر فيها في حين أنه يصححي بمصالح مولاه ورجاء يديه
 إلى أقصى حد من أجل أنه مصلحه ماسة حاصه لكن حشده غامض
 يتجاوز حدوده ، فيؤدي بالتالي إلى حربه ، أو على الأقل يكون عاقبه
 لهذيانه ، حاصه

هنا مكتبي <http://huna.makibty.blogspot.com>

١) سواك ذكر حذائف ال حركة التجارة بين مصر والبحار بوقت من شهير من بحار الحمه
 لأولى عبد السبويين في الجزيرة العربيه

الرحلة الأولى من حرب محمد علي في الجيزة

كان محمد علي خلال سنتي ١٨٠٢ و ١٨٠٣ م قد مارس كل
السلوك الذي حققه له جوده الكثيرين وبراعته الخاصة على حساب انقياد
الضعيفة من معاصيك الأقوياء هي راس مصر . وحسب عُيُنَ باشا مصر سنة
١٨٠٤ م كتب المهمة الأولى التي ألقاه اسباب العلوي علي عاتقه أن
يحول مسعده سلاله امهده . وكان يعلم أن عدم بطاعته بالأمر سيكون
عقده بعده عن الحكم . ولكي بشر الباب العالي حماسه وعده بأن
يعطي باشوية دمشق لأحد أسائه محرد سنيلاه على مكة وانمدية وقد
بني صموحه الحاص ، أيضا ، لرعة به في تحقيق ذلك الهدف لأن
تحريضه سلاله المقدمه سيعني شأنه كثيراً فوق كل باشوات الامبراطورية
التركية ، ويضيف إلى اسمه شهرة تجعل اسباب العالي لا يستطيع بدأ أن
يعارض مصالحه . وكان انباش خلال سنوات الأولى من حكمه
مشغولاً بممارشات مع لمعاليك . ولم يتمكن قبل سنة ١٨١٠ م من
الوصول معهم إلى اتفاق جعلهم يحتلون عن مصالحهم في شمالي مصر
وجزاء الأكبر من لصعيد ، ويدخلون القاهرة بأمان مما سب لهم
المديحة العاديه في القده بعد ذلك بقليل

وقرب نهاية سنة ١٨٠٩ م بدأ محمد علي بجهر بحد رحمته
وكان في مقدمة كل الأمور الضرورية أن يكون تحت إمرته عدد كاف من

السفن لنقل الحبوب والموثون . ولو قصص على قارب واحد قادم من الحجارة
لحافت منه كل اسمى الأخرى . وابتعدت عنه ، فأصر بما عزم على
القيام به . لذلك رأى أن يسي سطولاً خاصاً به . وفي خلال سنتي
١٨٠٩ و ١٨١٠ م وبداية سنة ١٨١١ م تم بناء ثمان وعشرين سفينة
مختلفة الأحجام تتراوح حمولة الواحد منها بين مائة ومائتين وخمسين
طناً ؛ وذلك في ميناء السويس وقد وجد في ذلك العمل حوالي ألف
عامل ؛ بينهم يوروبيون وأوربيون آخرون ، وظائف ثمة وكانت الأحتساب
اسمته في بولاق قرب القاهرة تحمل على الإبل عبر الصحراء إلى ذلك
ميناء وقد أُعِدَّت فيه حديدات مسودعات كبيرة بقمح والبسكويت
وغيرهما من الموثون ؛ بما أنه لم يكن من السهل أن يغفل في مثل تلك
السفن حمول من العرسان عبر بحر خطر فقد كان ضرورياً أن يؤمن
مسيرهم عن طريق البحر فرميت كن القلاع التي على طريق الحج بين
قاهرة وسuez وهي عرود وحل وانعقة والمويج والوجه ، ووضعت
فيها حاميات معظم أفرادها من نمشة المعارية لمعتادين حيداً على
العاص مع البدو وأعدت الهدايا على أولئك إلا من بعض جوار القلاع
لمذكورة لدهو بابلهم ويحصرها الموثون من القاهرة لتوضع في عرف
مستودعات تلك القلاع .

وفي الوقت نفسه أُنشئت محارن بقمح في القصير لكن هذه
الميناء لم تكن في بداية الحرب تلك لأهمية التي أصبح لها بعد
ذلك كمحطة تموين لأنه أقرب كثيراً إلى انحجاز من ميناء السويس ،
الذي بقي مجرد ميناء تجاري للقاهرة

وحير سمع الشريف عبد بأن تلث التحيرب العظيمة معرو
الحجار قد عميت ، وأن لدى محمد علي مصادر أكبر مما لدى نبي
باشا حر حاور دحول هذه البلاد ، استحسن أن يبدأ مراسلات سرية
معه ، وأن يؤكد له أن الظروف التي لا يمكن مقاومتها قد اضطرت إني
عسى النهاية ، لكنه مستعد أن يختصر من يرها بمحدد ظهور حشر
ركي كبير على ساحل البحار وفي أثناء ذلك لمراسلات أمده
بمعلومات عن حانة الوهابيين الحقيقيه وقوتهم ، ومول يدو الحجار .
وانطرقه المثلى للبحر .

وقد عهد محمد علي إلى سر تجار القاهرة ، استند محمد
المحروفي . الذي كان يتردد على مكة ومهمل بشارة البحر الأحمر .
بسيوحيه أسباني لمحرر ولكن الترتيبات الضرورية مع بلدو المنطقة
ولا شك أن للمحروفي دور كبير في السحاح النهائي لتلك الحملة وكان
محمد علي د شخصية يسيطر عليها السك . ولذلك لم يصح ثقة كبيرة
في ماكتب عبد علي كانت موجه الذكيه الماكرة مشهورة حد
كنه أصبح ضروريا أن يربل محاربه كي يتقل عازيا أحيا . وكان أفضل
الوعود التي وعده يده أن سيخبره في اسحجار سنكون محترمة ، بأن
جماك حدة : استصدر الأسباني مدحه ، ستترك في يده وقد شجع
المحمود . الذين كانوا مهيبين بدهاب في الحملة ، بتقارير أشيبت سر
بينهم تعيد بأن اشريف عالما سيصمم إليهم بكل قوته عند وصولهم إلى
الحجار

ونم تكس حاله مصر بعد هادئة بدرجة كافية لتسمح بعياب محمد

على نفسه عنها . والمعاليث في الجزء الجنوبي من الصعيد لا يرالون
 يواصلون حرباً مصابغة لجوده . وبذلك أمد إلى الله الثاني ، طوسون
 بك البائع من العهد ثمانية عشر عاماً ، قيادة الحملة الأولى ضد
 لوهديين . وبعد كثير من التأجيل أصبحت تلك الحملة مستعدة لمعادرة
 مصر ، وذلك في نهاية أغسطس سنة ١٨١١ م وقد برهن طوسون بك
 وهو لا يزال صغيراً على شجاعته لعائقة في حرب المماليك — والشجاعة
 صفة نادرة بين لحيل البحار من العثمانيين المتفسيحين ، وأكثر ندرة في
 سر البشوات — . وبذلك فإن أصدقاءه عتقدوا أنه كفؤ لأصعب
 مهمة . وأرسل مع طوسون بك حاريدار محمد علي ، أحمد أغا ، الذي
 كان قائداً يسوييه شجاعة وبهوه رزاة . وكانت إنجازاته السموية في
 الحروب ضد المماليك وغرب مصر قد رفعته في عيني سيده ، كما كـ
 سحافه بالحنة لإسادة ، وحفاره لكل المبادئ الأخلاقية ، وتبخره
 انتاهه ، قد أصبحت عليه لقب بوبرت ندي حلب به كثيراً من البهجة
 والذي عرف به إجماعاً في مصر* .

ولا ينكر أن أحمد أغا كان حدياً شجاعاً كسر السكر
 والشهوات القدرة قد حرما عقله من كل نشاط وتمبير

وقد صم إلى القائدين ، طوسون بك وأحمد أغا ، المحرقي الذي
 تشير إليه سابقاً ، والذي كانت مهمته اتفاوض الدبلوماسي مع الشريف
 والبدو . وذهب مع الحملة ، أيضاً ، عالمان كبيران من علماء القاهرة ؛

* ندي بعض التعليقات الأصلية المرسلة إليه من الرعيم الوهابي وقد حوطف فيها أحمد أغا
 بوبرت (المؤلف)

هما الشيخ المهدي والشيخ الطهطاوي ، ليحملا بعلمهما العزير — كما
يقار — الوهابيين بعثرون بالأخطاء التي اتبعوها في عقيدتهم الجديدة .
وكانت تلك الحملة تتكون من قسمين . المشاة ، وهم بصمة رئيسية من
الحدود الأرباؤوط ، وبلغ عددهم ألفاً وخمسمائة أو ألفي رجل مدرّب ،
بقيادة صالح أي وعمر أي . وقد أبحروا من السويس إلى يبع ، وأحدوا
معهم كل السفن المسية حديثاً بحمل المؤن والمرسان مع طوسون بك
وأحمد بوايرت ، وعددهم حوالي ثمانمائة رجل من الحياة الأتركة والندو
المسلّحين بقيادة من شديد شيخ قبيلة الحويضات . وقد ساروا عن
صريق البحر

وفي أكتوبر سنة ١٨١١ م وصل الأسطول إلى قرب يبع ، وشرع
الحدود إلى أخذ حصى على بعد ميل من المدنة . وسسّلت لهم مشرّوح
بعد مقاومة صعبة استمرت يومين . وبعد ذلك بأسرعين وصل إليها
المرسان براً دون أن يجدوا معارضة من انضائل ابدويه ، التي اجّدت
بمبالغ مالية كبيرة . وقد عُثِرَ الاستيلاء على يبع أن انصار على
الوهابيين ، ورمزاً للحاج لحملة مستقبلاً . وبقي الحدود هناك عدة شهور
دون نشاط ، المشاة في يبع البحر ، والمرسان مع الندو في يبع الساحل
التي بعد عن المياء ست ساعات واثني هي المركز الرئيسي لعرب
جهية ، وقد استغرق ذلك الوقت في مفاوضات . ذلك أن طوسون بك
سم يحد الحجر بطلافا في الحالة التي توقعها من خلال ما صورته الشريف
عالب فبدو هذه البلاد ، خاصة القيلتين الكبيرتين حرباً وجهية
— مهما كانت كراهيتهم للوهابيين ورعيتهم في العودة إلى المشاركة في

إتادات والمكاسب من قوافل الحجاج الأتراك — كانوا مدعورين تماماً
من قوة سعود وخطته . ولذلك لم يجرأوا على الحركة ما دام الأتراك هم
يحصنوا على مكاسب حربية واضحة تعطيتهم أملاً في نجاح حتمي إذا
نصروا إليه . فلم يعدوا الاستيلاء على يبع وحده د أهمية كبيرة في
مسيرة الحرب رغم أنه كان من المفيد جداً للأتراك أن يكون لديهم مكان
من رسو سفهم ومحطة لمسودعاتهم

وكان في يبع عند وصول لحمية التركية إليها حاميه وهابية لكن
كان فيها الشريف عبد حاكم وحولي مائتي جندي وقد حارب
الوهابيون أن يقاوموا حميه ، لكن لسكان نصرته إلى الفقير خوفاً
من تعرض البلدة لهجوم الأتراك لأحلاف ، واعتقاد منهم أنه من الحكمة
أن يستسلموا للأمر الواقع . ووقف الشريف عبد موقف متشدد عند
مدينة الحرب فكتب إلى طوسون بك رسائل يثب فيها على عدم
التحقيق به بحجة ضعف حجم قوته وخوفه من الوهابيين ، لكنه صرح له
وقد أنه سيرمي القلاع ويحاصره عند تمديد حصار الأتراك على به
مكاسب حربية مهمة قد تضمنه إلى حارسهم كل ناحية لحارب وفي
موقف نفسه فاد بوضع حاميتين قويتين في كل من جدة ومكة . حين
حده سعود على الالتحاق به ضد العراة اعتد بأنه يحشي هجومه بحراً
مهاجراً على جدة قد يؤدي إلى الاستيلاء على مكة ديه

ومن أوضح أن حصه الشريف كانت إما أن يسير ظروف ثم
يغيب ضد الفريق الذي يتفق أو حريمه واضحة ، أو ينتظر حتى يهبط
الحرب كلا الفريقين ثم يطردهما معاً من بلاده . وكان الوهابيون من يدو

الحجار الذين استطاع طوسون بث أن يجندهم من الوهابيين إلى صفه
فروعاً قيمة من جهة التي تسبكر في جوار يسع لكن القسم الأكبر من
بث الفقيه وكل قبيلة حرب المحاورة لها فهو غير مناسب لإجراءاته

وأصبح من الضروري ، على أية حال ، أن يبدأ طوسون بث
بالحركة تلاً بعد كل من كان الحجار بالعدة عدم حركته تتحفة
حاش . ومما وصفه علامه ضعف كان فقدمه صوب مكة أو حدة
مستند الشريعة ، الذي يحكمه هاتين المدينتين ، إلى أن يعبر فوراً أنه
مع هذا التحريك أو ذلك . وكان طوسون بث يخاف من وقوع الشريف
صفه أكثر من حذره من الوهابيين . ولذلك اتجه ببصره إلى المدينة ، التي
تبعد عنه أيام عن يسع . وكانت بعد دائماً أحسن مدن الحجار أسوأ ،
وبخاصة يسع حيث مصفحة ضد نجد ، كما كانت حديد معقل
الوهابيين . ولقد قرر الأسبلاء عبيد قد يفتح طريق النجح لسوري أو
يعرف مروي ، وفقاً لالتحذات من يمتدكها . وكان الأسبلاء عبيد ،
بعضاً ، سيجعل عدد من أنبلو يصممون إلى الجيش العاري . وحين علم
عالم بأن هذه هي خطة طوسون بل وبعد بسبب أنه سعلن وقوفه ضد
سعود متى تم ذلك الاستلاء .

وبعد أن ترك طوسون بث حامية في يسع تقدم مع حواره في يناير
سنة ١٨١٢ هـ صوب المدينة . وبعد مفاوضات فبيلة دخل بلداً ، وهي
قرية بعد يومين عن يسع وتسكنها قبيلة حرب . وتقع هذه القرية عند
مدخل النخل التي كان من الضروري احتياها للوصول إلى المدينة .
وكان متوقعاً أن تحدث مقاومة من قبيلة حرب التي سيطر على الممرات

عبر تلك الحبال لكنه لم يعلم بوجود قوات وهابية هناك . وقد ترك طوسون بث حامية صغيرة في بدر ، وتقدم بجيشه إلى الصغراء ، وهي سبيل نفيلة حرب تبعد ثماني ساعات عن بدر . وبعد قتال قصير مع رجال من تلك القبيلة هناك ترجع أولئك الرجال . وعني بعد أربع ساعات من الصغراء تعد الطريق عبر ممر صيق يتراوح عرضه بين أربعين وستين ياردة في حبال وعرة شديدة الانحدار تقع على مدخلها قرية الجديدة التي تحيط بها مزارع الحيل والتي هي المستوطنة الرئيسية لقبيلة حرب وكانت قوافل الحج السورية في الماضي غالباً ما اضطرت إلى دفع مبالغ كبيرة من المال إلى تلك القبيلة تسمح لها بمرور آمن .

وهي ذلك الممر لصيق الذي يسد طوله ساعة ونصف الساعة موحىء الجيش التركي بهجوم قوة موحدة من قبيلة حرب . وبعد عدة محاولات طرد الأتراك أنهم قد حاربوا عصب لسوق ، فعقبوا العرب إلى وسط دنك للممر وسرعان ما وجدوا حاجة إلى الحبال من كل جانب معضاه بالحديد الوهايين الذين وصلوا قبل ذلك بيوم من نجد ، وأبدى لهم يكن لدى الأتراك عنهم أية معلومات . وكان الوهايين بقيادة عبد الله وفصل ، أبي سعود ، وعددهم يصل إلى عشرين ألفاً من المشاة وراكبي الإبل ؛ إضافة إلى حاجة يتراوح عددهم بين ستمائة وثمانمائة فارس . وبو اسحب الأتراك إلى قرية لحديده ، وتحصنوا فيها كما من المحتمل أن يصدوا الهجوم ويحصنوا على شروط مشرفة ؛ إذ أن عدد قوات العدو قد جعل من المستحيل عليهم أن يبقوا طويلاً في ذلك الموقع .

وعني أنه حال فإن المشاة الأتراك انسحبوا عند أول صيحة

سبحوه وسبحان من تبعهم في الهروب الفرسان الذين أمر أن يعطوا
استجابتهم لي حين قام عدوهم الذكي بصعظ عليهم من الخلف
وجاورهم من أمام على طول جانب الحبل ، وأضرجه بوابل من
الرصاصة وفي هذه الظروف أخرجه ثم قصد طوسوس سمعته في مدان
الشجاعة : بل تصرف تصرفاً أصبح شرف به بعد أن صاعب جهوده
لحصد حدود سدي مدفع برفقه ورسيل فقط من حاشيته إلى مؤخرة
الحجيش ، وأحرق صفوف العدو ليعيقه من تتبع قواته

وقد أكد لي أس حصار تلك الموقعة أن صوبوا صاع بالأتراك
المهزومين والدموع تسير من عيه قائلاً : لا ينف أحد مك
معي " "

وأخيراً انتقم به حوصي عشرين فارساً وحسن العصف حينما
اشعل الوهابيون ناره قصيره في جميع أمتعة الحجيش ، مما أخر بعقبهم
سمهرجين ، ووصل الأتراك إلى الأرض المكشوفة الواقعة خلف مدخل
نمير لصيق ، حيث فرسهم وحملوا بقية الحجيش إلى حد م وهو
مدفع الوهابيون بحساس إلى أمام فوق الحبال لقصي على الحجيش التركي
كله الكهه ، على أنه حل ، رصوا بأحد كل أمتعة الأتراك ، وأربعة
مدفع ميدان ، وكلهم تفريغاً ، وكثير من العتائم الأخرى التي وجدوا في
أخرمه لأرباؤوص الذين أعوا أنفسهم بها سلبوه من المماليك في مصر وقد
قتل في ذلك اليوم حوصي ألف ومائتي رجل وتراجع طوسوس ملك إلى
بدر وبفقدته وسائل لقل أحرق المعسكر الموجود هناك ، وترك خربته
العسكرية ثم عاد إلى الساحل القريب منه حيث يرسو عدد من سفنه

في خليج يسمى التريكة وهما أبحر مع عدد قليل من أتباعه ، واتجه إلى
 سبع أما فيه جنوده فوصلوا إلى هذه البلدة بعد أيام قليلة في حالة سيئة
 جداً بكر من حسن حظهم أن الوهابيين ، الذي صوّأ ، حشوداً تركية
 قوية كانت متحصنة في بدر ، لم يتابعوا بجراحهم على الفور ، استطاع
 كل من كان قوياً أن يواصل سيره ويصل أخيراً إلى سبع

وحمداً لله وهاديون أن أعداءهم قد حتموا بسبع أرسلوا قوات من
 جنودهم تطوف بالمصطفى حتى أسور سكة لبلدة ، بها ربما أن تلقى
 الشريف عذاب من غيونه خير فذل حممه تركية حتى انتهى بالوهابيين
 بعينه عند بدر وقد رأى هؤلاء في بداية الأمر أن يحتجوا بسبع بكهجه
 عدو على هذا الرأي جداً من السكان العرب الذين يستقيمون في
 عدل ، دون شك لأهلها ناصروا لأثر من بعده وصحبه وقد وجد
 الوهابيون أنه من غير الضروري أن يستمروا في مطبق جده ، فاستحو
 إلى به حل وهو في حدة استعداد لتجتمع مئة أخرى بسرعة رد به تحرك
 لأهله نابه أن يعودوا جيشاً إلى ذلك الملاء مكشوفة وتركوا دابة
 حرب تصادق لأثر ، كما قطعوا كل الإمدادات على سبع

وعود ، هي قصة تلك الظروف المخرجه التي وجد طوسون مث نفسه
 بها ، وذك حتماً سحلي عنه كل أتباعه عدداً عديداً ، يجب أن
 أسجل ، هذا ، حكاية نادره على أحد هذين المدرسين الشجاعين ، وهو
 مسمي إبراهيم عدي كان رئيساً بمماليك لدير مع طوسون ، كان
 ذك لشجاع فني عمره حوالي عشرين سنة ، وهو من أدبرا ، واسمه
 لأصلي نومر كيث . وكان قد أخذ أسراً في الحملة الانجليزية الأخيرة

على مصر مع عدد آخر من فرقته الثمانية والتسعين من الجانديس التي كان
يعمل فيها مصححاً للبدق ثم أسلم ، واستراه أحمد نوبارت المذكور
سابقاً من نخدي اندي سرود ذات يوم أهان هذا الفتي الاسكندر
ممدك صفتي محبوب لدى سيده ، فتعاجر ، وسلا سيفهما ، ثم سقط
الصفتي ميتاً وهرب إبراهيم نخدي من غضب أحمد نوبارت ، فكتب
حمد لله روجه محمد علي وأخذه ، وحفظ به طوسون بك بضمته في
خدمته وفي بويه من بركات العصب سرية التي عداها بتعرض لها
ثأراً ، الأثر في أمر صوب عدم فتي الاسكندر لإهانة بسيفه حد
في أدب وحده لكن ذلك الصبي شجاع دفع سيفه عن مدح حجرته
مدد بحسن مائة حد غد من بيه حمير . ثم فتي بسيفه من البوابة ،
وهرب مرة أخرى إلى حاضته عصف التي أصبحت قدراً بيده وس بها
ومع الأيام أصبح طوسون مدرك لحدود إبراهيم كخدي مقدم ، وجمعه
رأساً لحد بك المدين له وبعد عمده شجاع في الحديدة معه إلى
مصعب صاحب الحرة الذي يحتل المكنة الثابتة في البلاط . وقد
حارب مرة أخرى ببساطة في سادية وفي ثراء التي سيأتي ذكرها . وعين
حاكماً سادية في أبريل سنة ٨١٥ م وبعد شهرين من ذلك التراجع
سارع مع مائتين وخمسين فارساً لجده طوسون ، الذي كان معسكر
في لقصية لكن عدداً كبيراً من انوهابس فاجأه وحضمه هو ومن كانوا
معه وفي هذه الحادثة قتل الصبي لاسكندر أربعة من انوهابس بيده
وقد عرف حمد الله بن سعود أن طوسون بك وصاحب حريته المحلص
كان أشجع رجال الجيش التركي .

وقد تلبص الحسائر التي تكبدها الحمود الأتراك همهم تماماً .
فأعس كل من صالح ع وعمر عا ، فائدي المشاة ، أنه لا يستطيع أن
يوصل الحرب في الحجاز . ولذلك رأى طوسون بك أن يعدّهما إلى
مصر ، فعادا إلى القصر وفي طريقهما من هناك إلى القاهرة عبرا
فيقهما بعدد من الأتراك الناعمين على الشاة وحسب اقرب من ذلك
احدية كان لهما موقف مهيب جعل محمد علي يرى من الضروري
استخدام كل حيله ؛ بالتهديد والتهديا ، لإخراجهما من مصر وكان
كل منهما قد ذهب إلى مناطق الصعيد ، فأخرجوا من الاسكندرية بثروات
كبيرة

وكان عدد الجيش الذي جيش طوسون بك قد نقص كثيراً بسبب
مرحله لبرية الشاة قبل وصوله إلى يبع ثم تحسّى عنه أكثر المصريين
البدو الذين رفقوه وقد تم حوائى مائتين من حيله في الجديدة وحسين
عاد للجيش إلى يبع ثم برد ما استطاع جمعه على ذلك العدد وقد
أحمر بذرة الطعام أصحاب هذه الجيوش البقية ، أبص ، على بيع
وأعيد الرجا إلى القاهرة لكي يُعدّوا من حديد بحصون أخرى وما أن علم
محمد علي بمثل به طوسون حتى بدأ كل جهوده ليعوّض خسارته
ويجهر حملة جديدة فأرسل مبالغ كبيرة من المال إلى به يورّعها على
مناجح بدو المجاورين ؛ آملاً أن يعدّهم عن الوهابيين واستمرت تلك
الجهود طيلة ربيع سنة ١٨١٢ م وصيغها ؛ حيث كانت الإمدادات من
الحمود والذخائر تصل يومياً إلى يبع وبحج المحروفي أحياناً بالذهب في
كسب عدد كبير من قبيلة حرب ؛ خاصة الفرعين لقويس من تلك

القبيلة بني سالم وبني صبح ، اللذين يحتلان ممر الصقراء والحديدة .
ول إن الشريف غالب حينما أقنع بأن محمد علي قد قرر أن يطيل النضال
عاد إلى أسنوب سياسته القديم ، وأكد بطوسون بث أنه لم يتحقق
بالوهابيين في بدر إلا لحوقه منهم ، وحدد عرصه بفتح أبواب جدة ومكة
بوجود الأثرث بمجرد أحدهم للمدينة

وفي أكتوبر سنة ١٨١٢ هـ اعتنقه بطوسون أنه قادر على أن يقوم
بمحاولة دية للاستيلاء على المدينة فالأمر انديين في الطريق ، بين قد
أصبح أصدقاء به وكثير من أفراد قبيلة حبيبة انضموا إلى لونه
والتحريض بقيد أن يوهابين صوا غير بشخص في بحد ورفع كل ما ذكر
أمره في الحجاج فقل مركز قيادته إلى بدر وتولى أحمد بوبير قيادة
بحود انديين تقسموا إلى انمدية عمر ديث الممر اندي كبر مسرحاً
بهريمته المسافه وعبروا الممر دمام ، فتركوا حاميه قوية في الحديدة ،
ورصدوا إلى أسور لمدينة دون أية شباكات

وكانت حامية وهامة تسيطر على المدينة وفتحها مد السنة
الحاصنة وقد ملأها بالمزود استعداداً لحصار طويل أما رعمهم ففي
في الحجار ساكناً سكناً يصعب تفسيره لكن النصر هي الحديدة قد
مدت بفرجه على كل العرب النصارين . وفي سنة ١٨١٢ م أحد الزكة من
اندو لفريين جداً من بغداد وحلب ودمشق وبعد أن دأع في مكة العائم
اسي حصل عليها في الحديدة عاد إلى الدرعية وقد ساهى جوده
بانتصرتهم ، واحتفروا الأثرث كثيراً لتصرفهم الحان في الحديدة ،
وعتمدوا أن في إمكانهم أن يهرموم مرة أخرى في أي وقت ومن

المحصل أن سعوداً قد توقع أن المدينة ستقاوم طويلاً ، وأن الحاجة إلى
مؤن ستعطر الأتراك إلى التفهقر . وبهما كب الأمر فيه تأ أن عينة
حرب ستحتي عن حداثتها ، الأخاب لذين يمكن بالتأني أن يقضي عليهم
بسهولة .

وذكرت مفاوضات مع نوهايين أمام المدينة دخل على نوري أحمد
يوهانرب صريحياً ، وقرر أعداءه إلى دخلها . وبعد اقتراب الأتراك من
أخرج نوهايين منها كى سكانها ، فاستقر هؤلاء في صراحي ، وأعلنوا
حرباً فعلاً هي المفاوضات الأولى ضد المستعبد من النوهايين . وكان
داخل المدينة محمية بسور قوي مرتفع بقعة محصنة لم يكن لدى الأتراك
م يقدرونها به إلا مدافع ميدان عقيمة . وبعد حصار دام أربعة عشر
يوماً عشرة يوم ، قد نوهايين حلائها بعدة صعوبات حربية وضع الأتراك
أعداء حريقه مكشوفة بحيث وجد أعدائهم وسائل لإحراقه بحريق
عميق . ثم حارب الأتراك الجاح في منتصف نوفمبر سنة ١٨١٢ .
بوضع محمد باب نصف حاد من سور بسط كى نوهايين يؤمر صلاه
ظهر . بعد أن الأتراك سرعوا إلى دخل المدينة وبقيحة جدهم مدحاة
هرب نوهايين منجيبين إلى القلعة . لكن حبابي ألف منهم قتلوا في
أسواق ، وبهت المدينة كلها ، ولم يفل من الأتراك إلا خمسة
حالا . وقد أثبت لاسكتندي بوماس كى ، أو براهيم أى ، حصاره
المعاداة في هذه المناسبة ، إذ كان أول من دخل القلعة التي أحاطها
بهم . وكان عدد من لحا إلى الصنع من نوهايين حوالي ألف وخمسة
رحل . ولم يستطع الأتراك أن يأخذوا تلك القلعة ، إذ لم تكن لديهم

مدفعيه كافيه وصعدوا مؤلفه ، الذي يقع على صحره صلبه ، صد أي
 مع نكس بعد ثلاثه أسابيع انتهت مؤن لدهيبين ، فاستسلموا على أن
 بمسحهم أحمد بوبرت لأمان ، وهازل هذ القند ، يضا ، عني أن
 يحميهم معهم كل متعتهم ، وأن يخذوا ليل كر من عب في العودة إلى
 نجد

وحس حرج حان لخدمه من القعه به يحدوا إلا حمسين غير
 لا من ثلاثه غير أبي وعبدو بن مرحومهم وأنتك صطرا إلى أن
 بركو حرة كبير من متعتهم ، وأن يحميهم عني صوره أعني معي
 ليس نكس من عذرو صرف المدينة حتى يحوهم العود الأراك ،
 وحردوهم من معهم ، ويقتو كل من استطاعوا يحدوا إليه ويم يتمكن
 من جرب إلا عدد قبل موه ، يضا في أولئك الذين كانوا عني ظهور
 إلى وكان سب هؤلاء العرب من قبده حبر التي تسكن حبوب
 مكة وهي بيت فم بعد مدينة عيده محمد عني وكان نجد
 فادتهم صالح بن صالح وهو من بغداد ، سعيد الحضر ، إذ عاد إلى
 بلاد م سعود بن مصيب ، الذي جعله سعود سيحاً نكس قبيلة حرب
 ووضع تحته عدداً من القبائل الأخرى ، فكان قد عني في ألا بعض عني
 خمسة دحل مدينة وذهب مع أسرته وأربعين رجلاً من أبنائه إلى بيت
 في بئر كان قد حصه عني بعد ساعة من تلك البئر ولما حدث
 المدينة سبهم عني شرط الأمان له والأسره ولأبنائه الذين معه ، والاحتفاظ
 بمتعتهم وهيء سكناه بيت في صحبة المدينة حيث وضع أسرته
 وأشياءه نكس حينا استسلمت القعة ، وذبح أكثر رجال الحامية نهب
 الأتراك بينه وقتلوا أبنائه ورجاله ، وقيدوه بالسلاسل ، وأرسلوه إلى بيع

وهي أثناء مروره عبر در تمكس من الهروب تحت جميع الطلام إلى
الجبال ، وجأ إلى بدر من قبلة حرب . لكن ذهب الأبرك أعزى
هؤلاء ، فسَمَّوه إِيَّاهُ بعد ثلاثة أيام ثم أرسل من يسع إلى القاهرة ،
ومن ثم إلى لفسطاطية حيث نُصِّبَتْ رأسه وكان رَبيعه في المعصاة في
تدريسه جديسة حسن الفهمي ، المذكور سابقاً ، والذي اعتصب حكم
المدينة قبل أن يأخذها الزهايون

وكان تصرفه لأتراك العادر في المدينة إجراء غير حكيم حيث
نُهِمَ كانوا يتحاربون مع عدو مشهور بسكك لشعبه بأية الطيبة في
تفديد وعده ، الأمر متى ما وعد به وقد ثار ذلك التصرف اشتباك
بدر كمد برصم ، مع لصفقات الأخرى المشابهة والتي ذكرها قبل
عد ، اسم لأتراك بأغار في كل الحجارة وجمع أحمد بوسرت ،
أسبوت لوبدر الحقيقي ، صاحب كل بوضييس الدين فهو في
لمدينة ، فكون منها برحاً في الطريق رئيسه إلى يسع ، ووضع حرساً
عنه ومع ذلك صبح لعرب ، وحتى سكك المدينة ، من وقت إلى آخر
في بركة ذلك اتسكا المرعب وحس وصفت لي المدينة في سنة
١٨١٥ هـ لم يكن قد بقي من إلا القليل

وبعد أخذ المدينة تقدمت حملة مكونة من ألف فارس وخمسمائة
جندي من المشاه على طريق يسع جنوب جدة ومكة وذلك بقيادة
مصطفى بك ، صهر محمد علي وكان مثل أحمد بوابرت قد مر
نفسه بقسوة البربرية تجاه المصريين الثائرين الذين حاربهم محمد علي
في ماسبت عنه وقد عين حاكماً بمصطفه الشرعية حيث قصي هالك

عسى هريق كاهل من اعدو ، وأحرق كثيراً من القري وكثيراً من قنجر
 زائلا ، من سيموتو بحب عصي خالده سيكيون كثر من يولدون
 من حدي روجده أحييت بأكل يوم من يوم أسه //

وكان سقوط سدده مشر دة ريم عاب ولعبه كان يرعب في
 تحدث من هاهيس وكـ يفتل حدة على الأقل ، العاصيين
 عبيده وقد بعث رسالة في مصطفى بيت يدعوه في العبد اتبعه له
 رئيس مصطفى بصره ، من ارجح إلى حدة في حين تخدمت العباد
 رئيسية صوب مكة التي كـ يوجد فيها قوت وهديه بقيادة
 اسديني كـ هـ لأخير وجد نفسه لا يملك قوة كافية لحوض
 معركة وسعد في الخائف قبل ساعت قبلة من دحون مصطفى في
 مكة ، واث في يناير سنة ١٨١٢ هـ وقد احترم مسكات امكس ،
 كـ حرمها الزهاويون قبل ذلك ، واقصه عاب عند في لأر لـ كـ
 من سـ رجل من العرب والعماليك اسود ، وبعد أسوع من تحبوه
 مكة هوجمت انطلف ، على بعد ثلاثة أيام شرق ، وجدت بعض
 المساوشات أممها ، فهرب منها لمصايي ، ودخل الشريف عاب
 ومصطفى بك هذه البلدة التي احتفظ بها الزهاويون عشر صوب ، والتي
 عدت أكثر مسا عديته أية بلدة أخرى في الحجاز

المرحلة الثانية من حرب محمد علي في السودان

في سنة الانتصار وشوة سيد عبد الصائف عبد مصطفى بن
خمس قدر واحد على حصان الوهيس وكنت سدو بربه ، التي بعد
عن صائف حوى سعيد أو ثمانين ميلاً باتجاه الشرق ، أحد حراكه
الرئيسية التي تخلص الوهيس في نجد بالوهديس في الحصار السمية
وكان يسكنها عرب نفوذ وممد حروب الوهيس مع الشريف عبد
حضر بدلتهم بسير وحقق ورد من حصن عتبة أشد حصار
الكثيفة التي تحيط به وقد حده إيه مصطفى بن . لكنه وجد مدفوعة
في المصالح حسنة ، وحضر إلى العودة إلى الصائف بعد أن حصر
رعمانة أو خمسمائة رجل من جيشه وفي غضون ذلك + كان حصار
المصافي مع فرسانه حفيفي الحركة ينفذ موقفاً سلباً فقد كان يحارب
في المنطقة من كل جهة ، ويقضي على كثير من الأتراك لتأهيس ، وعند
نقص المواصلات مع مكة وكان حلال صيف عام ١٨١٢ م كنه
يصابق حامية الصائف كثيراً^{١٢} . وقد وعد الشريف عبد ، الذي كان

(١) يقصد المؤلف بذلك جيش مطلقه عسير عا يبيها مع دخول نجد الحكم السعودي . لا انحر
التابع لحكومة التي

٢ من الواضح أن هذا خطأ في ذكر اسمه لأن دخول مصطفى بن مكة كان في يناير سنة
١٨١٣ م . وقد حدث من ساعد غنمال صد حامية الصائف كان بعد ذلك الدخول فلا يمكن
أن يكون حدث سنة ٦ ٨ م بل المرجح أنه حدث في السنة التالية ي

مثل عثمان لديه مرساں من البدر ، خمسة آلاف دولار جائزة للقصاص على المصايهي وكانت عداوته الشخصية بصهره ، اندي كان السب الأساسي لكل مدعاه مع الوهابيين ، هي التي طعت ، هب ، على ما تحده من قرار ولم يدرك أن البدر قرب مكة إذ فقدوا ذلك برعيه باب الأترك سيجدون من السهل عليهم أن يوحّدوا مركزهم في بلاد ، ويحرموه هو من سلطه

بعد توقف المصايهي في إحدى جولاته عند بسن ، وهي قريه صغيره سبق أن ساء في الجبال ، وتبعد عن الطائف أربع أو خمس ساعات شرقاً . ولما علم الشريف بوجوده هناك بعث إليه من لطائف جماعة قويه من الجنود ، فأحاطوا بهمعة وبعد ذلك قتل شعوباً فيها سر . يدفع المصايهي مع حوالي ثلاثين رجلاً ؛ مرتدين ثياباً شبه ثياب نصبه الدير من البدر إلى أفراد بعدو ، وشقوا طرقهم من بينهم لكن دمه أصيت ، ولم تصدر على حصه بعيداً . صار حيثد على قدميه ، وهرب من متعصيه وراح في اليوم التالي إلى حيمه بدوي من عنة ، لكن هذا البدوي قبض عليه ، وحمده إلى الشريف ، ندي دفع له جائزة لتي وعده به إلى البدوي ، وأثقل أسيره بالقيود ثم بعث المصايهي إلى جده بالقاهرة ، ومن ثم إلى القسطنطينية حيث هدم أصغر أبناء محمد علي هدم الأسير الأسير إلى مولاه مع مناتيج المديسين المهتمسين وكثير من الأشياء ثمينة وقد قتل المصايهي فور وصوله إلى هناك وتحدث بعد الوهابيون

نشط وأحر موان لهم في الحجر وكما أسره في ستمر سنة

١١٢ هـ

وأعقب بحجر حيدث على نصرة ، واستعيد المدينت
مقدسات ووجبت هذه الحجج من المأثرة إلى مكة لي بولمر سنة
١٨١٢ هـ لكن نها معدده ، وأبى الحج شعائر ابواحه و
الحج والى حجج سوي هذا عبر بصحراء إلى القلاع التي في الطريق
بين هذه المدينت في تصح ، كما أن محاربا به بعد بسوق وقد
تعد حمد مدينت في المأثرة أم صومل بث . الذي تفتت
بحر . فتي في مكة حيا في سنة ١١٢ هـ ، بارك ديور
في . أن مصفي بالام محمد علي ، حاكم مدينت

مجمع أن مدني بحجر حمس صحت حب في يدي لأراد
ور هذه مدينت به تحضر فكى قتائل شرق الحار التي حترق
بال من حمس دي لحسوس سروي محارب لسكر ، لا نزل تعارف
سيار سحر وتم دي الأثر مدو في أرض مكشوفة حرمر و
بعث صروف بشرى ثقة بإصلاح في نفوس حلقاته وفي ص ١٥٥
صروف حمد محمد علي أنه من الضروري أن يزور شخصاً أرض
المعركة ويحرب صرية يمكن أن تسي سبخته في الحجر على قد

(١) صحبه مع حمد في سمر سنة ١٢ هـ . كما هو واضح من سياق الكلام وقد
كان في العام من رمضان سنة ١٢٢٨ هـ انظر عنوان المجلد ، ج ١ ،
ص ٢٨٠ . ومما لا يرد منه المذكور يافى سمر سنة ١٢ هـ

(٢) واضح أن السنة هي سنة ١٨١٢ هـ . لا السنة التي قبلها

(٣) المدينت الحمس هي مكة والمدينت وحدة وبيع والطائف

راسحة ، وتمكنه من أن يصيف إلى نفسه كل فصيلة فتحها ومن
 المعلوم أن سيده أمره بشكل حاسم أن يضع نفسه على رأس القوات في
 ذلك البلاد ، وبما أن مصر قد أصبحت منذ سنة ١٨١١ م خاصة به
 تماماً فإنه لم يبق له عذر في غيابه الأوامر وقد طردت فيه سمائيت
 لصعبه من الصعيد ، واستقرت في دنقة وكان أحمد نجا لاط ، وهو
 عمه ، أباطي مشهور ، وحاكم بلدة قنا . الرجل الوحيد الذي له نفوذ بين
 النجود ، ولدي بشك الباشا في محفظته وسد رجه إلى القاهرة
 وكان قننه به ديبلاً آخر ، إما كان الأمر يحتاج إلى من ، على مدى فنة
 حرم محمد علي بما يصح من وعود للأمان وعقد معاهدة الباشا
 بفاخرة جعل حسن بك حاكماً به ونجوه لبحري ، كما جعل به
 الأكبر برهه باشا ، حاكماً لصعيد وكان كل من الرحمن د
 يوسف كبيرة حسين بك في الأمور العسكرية ، ويبرهه باشا في
 إدارة المدينة

وأبحر محمد علي من السويس مع ألفين من المشاة بين سار
 بر . في الوقت نفسه تقريباً جيش من المرساة منسار بذلك زعمه ومعه
 حامية آلاف مصر وكان طرسون بك مسؤولاً بجميع قواته في مكة حينما
 وصل أبوه إلى جدة في ديسمبر سنة ١٨١٣ م . وقد حدث أن الشريف
 باشا كان هناك ، فصعد إلى منبج الباشا بنفسه قبل برونه منها ، وفي
 ذلك مناسه تعاهدا على لقرآن ألا يحارب أحدهم القيام بأي شيء
 مصاد لمصلحة الآخر أو سلامته أو حياته . وقد جدد ذلك العهد عاماً
 في الكعبة بعد أسابيع ، وذلك برعه خاصة من الشريف ، الذي لم يتعلم

بعد أنه لا يوجد عهد يمكن أن يقال عنه إنه مقدس بدرجة كافية تلمح
عثمانياً بشقيده به وحل الشريف ، أيضاً ، مع الباشا بعض المشكلات
التي كانت قائمة بينه وبين حاكم جده التركي . دلت أنه منذ فتح الأتراك
سجما في ثقب السادس عشر الميلادي كان قنواً ثاباً أن نفسه
جماك جده من بث ثلث لندة وبين حاكم مكة وخصها عال
كسب الاستعمارة الحاص ، ووعدده محمد علي ألا يمدحل بحيرة لها

وبعد أن وصل محمد علي إلى مكة جمع قديماً على العلماء ،
وزرع صدق - على سفراء وبدأ يرمو الكعبة المشرفة ، ورصد ماله
صائمه خدمتها ورحلتها . كان شعبه الأول ، لأهم في ذلك الوقت كان
، من بعض الإمدادات الضرورية من حده إلى مكة وأنطاني فهد
أصبحت حده مستودع الكبير لمؤن الجيش التركي ودخائره . وكذا
شجر كنه التي دلت حمية رابي مع يكون مقصوداً على من ثلث
إمداداته والد حائر وأنفق محمد علي مع إمداد مسقط على استبحار
عشرين مئة عمالية حلال مة واحدة لذلك العرض

وقد رغب الباشا إلى الحكومة الإنجليزية أن تسمح له بإحصار
مسته البحرية الصغيرة ، التي كانت في الإسكندرية ، إلى البحر الأحمر
عن طريق رأس الرجاء الصالح . كان ثلث الحكومة - تسمح له بذلك ،
إذ كانت معه أن السفينة ، التي لم يكن طاقمها جيداً ، قد يصعب في
بحر غير معروفه لبيخاره الأتراك ، ثم يعزو الأتراك المرتبون صياعه إلى
الأمر السرية الإنجليزية . وقد أقترح الإنجليزي كان ساكناً في مصر بعض
لوقت أن ينقل السفينة عند بيسان إلى القاهرة ، ومن ثمة تنقل على

عجلات عمر الصحراء إلى السويس وبدأ وانقأ من أن العملية يمكن
تعييدها لكن كان من البعيد جداً أن يتبى الأثر كخطئه بسبب رقابة
إدارتهم المعتادة

ولقد اتضح أن نقل حزن عمر مسافة قصيرة من حدة إلى مكة
أكثر صعوبة من نقلها من مصر إلى حدة . فمعظم الإبل التي جاءت مع
لحمية إلى البحار تمت فور وصولها . ذلك أن الأعشاب التي هي
الطريق سريعاً ما انتهت مرور القوافل المستمر ، ولم تجد الإبل ما تأكله
سوى كمية قليلة من القمح في المساء بل إن سائقها من الملاحين
نصريين ، أدى أحدهم قسر من ميوهم ، كانوا يحتسبون حراً من ذلك
الكمية البسيطة ويبيعونه على يد البحار وبعد ثلاثة شهور من وصول
ثمانية آلاف مصر إلى هذه البلاد لم يبق حياً منها إلا خمسمائة بعير
فقد وكان عتيش محمد علي لتفصيلات نظام تزويد جيشه غير حدير
كريمة بل لم يكن قادراً على عمل ترتيبات مفيدة إلا بتعير زدره جيشه
كثير فقد كان قد ذهب — من أدنى سنة إلى أعلاه — معمم
الاحتلال وكان يدور الذين باعوا القصبة التركية مصر في الإبل
شأنهم شأن كل أولئك بل يمشون في المناطق بحرية وهم يحررون إلا
قبل منهم على عرض إبنهم لخدمة الجيش وفي خلال الحرب التركية
كلها لم يصل عدد إبل للحجاز التي جمعت إلى خمسمائة بعير هي
أي ذهب وهي ظل هذه الظروف وجد الباشا نفسه مشلول الحركة وكان
العدد الفعلي للإبل يكاد لا يكفي لتزويد القوات الموحدة هي مكة
والطائف بحاجتها اليومية وكان ما عرضه الباشا على أسد من غود
قبلاً بحيث لم يصل إلا عدد قليل منهم إبنهم في خدمته

وإبرك من محمد علي بحضرة الموقف صعد علي شريف
عاب أن يسجد لله في العرب محاورين ، ويقنعهم بشرويه بكل ما
يسنصحب من إبل وأخرج من حل دنك مبالغ كبيرة من المال.
سريع علي مشايخ السوء لكن انهم لم يسيروا ليس به نفوذ متبادلي
في قسمة : بل ليس قادراً على أن يأخذ ما يوقه بغير أقرب عربة إليه . وبعد
كل من شريف ومصابيح سائح حيرة . وطبقت مبالغ مائة أخرى منه ،
وأجاب ، ولكن إبل + حصل إليه بعد

وكان بعد مرور شريف في يدية ، فامد نكهة ضربه وذبه
وأصبح بعد ذلك في بيته في صهارة حوثية . وشك الشريف من حايه من
أن حداث جده قد حلت عن موصيه رعه ونحو محمد علي . ونهجه
نيل ، حمد منها لأخر بأنه يحفظ له مكانه حقه . وكنت علاوة الشريف
وصية بكن القبايل اسماؤه ، التي أصبحت بصر إليه مد بعض علي
محمدي علي أنه حاميها ضد كل من يؤذيها وأهملها . وقد مر د
شكوك الباشا في حبي قسيع بأنه من يكون هك فرصة سفيد عملاته
بمخرج ما دام الشريف عائب في حكمة . وقد تنقش محمد علي فرما
من السبيل بسمح به بأن يصرف بحد الشريف ما يره ماساً . مما أن
بركة علي رأس الحكومة أو يعرض عنها ويسحب . وقد علي الأقل ما أعنه
الباشا بعد حجه لشريف عاب

وحدث أصبح هدف محمد علي الأكبر أن يقبض علي شريف
ويسجبه . لكن ذلك كان أمراً صعباً . فقد كان يدى عاب حوالي ألف
وحشائه محارب في مكة ، كما كانت يدى قوات في لوائف وحدة

وكان من المرحح أن يفصل كل العرب المجاورين لمكة الشريف علي
 باشا ، وأن يتنازوا صد هذا الأخير بسهولة . وكان الشريف يسكن في
 مكة قصر قوي السيلان في منحدر جبل عليه دعة تتصل بالقصير عبر بطن
 مري . وكان أحده الأكر ، سرور ، هو ندي بني تلك لقلعه ثم
 حصنها هو عبد ما سمع باستعدادات محمد علي لعزو الجزيرة العربية .
 وقد جهزت جيداً بمؤن ، وكان الماء كثيراً في صهاريجها . وكان فيها
 حامية من ثمانمائة رجل يديهم ثمان عشر مدفعاً للمدفع عنها . وهي تشرع
 على كل المدف : مما يجعل من المعتقد أن تكون حصينة بالغة
 قوة . أن بني بكر أن يستخدمهم محمد علي لاحتلاله بحضرة عادي
 وقد أعني غالب كثير من قوائه لأخرى : من تلك بني لأشرف مكة
 والخدم وعدد من حسانك المستجيبين والجنود المرتفعة من بين
 مرتين في بعض عدة بعضها ، أو جميعهم حرباً حاصداً ، وسرعان ما
 علم أن محمد علي كان يصير بعض الحظوظ عادة ص .

ومن المؤكد أن الشريف لم يفتش عهده الصفه من . وبما حذر
 باشا ، لئلا يكون معه في مكة حذائك سوى ألف ومائتي رجل ،
 لأنه بمساعدة العدو أن يطرده من بيده . لكن مهما كانت الاتهامات
 ضد عاتق بالاسم ، فإن أعداءه لأداء لهم يستعجبوا بدته بضع عهد
 رغم أن الأبرار يتشبهون أنه قد وضع خطة ضد شخص محمد علي

ولم بعد عاتق سرور انه شا بصريقه عاديه ، كما كان يفعل من
 قبل من كلما ذهب لبراه في سكه ؛ وهو بيت مدرسة كبير قرب
 الحرم ، اصطحب معه عدة مئات من الجنود . وفي آخر الأمر أوقف

وإثره به كنية ، ولم يعد يخرج أبداً من قصره إلا يوم الجمعة ، وذلك
حين يذهب لأداء صلاة في الحرم وقد حارب محمد علي سدي أن
يعدد من حرسه عراد مرسى برفعة عدد قليل من اصحابه ، فذكر أنه
مسيره مراراً به صرخته منابه من إبه فكر هي قبض عليه هي حشد
الحرم ، لكن نحوي . سدي وصل من التخصيص حذرة ، والذي
حارب بعد علي حرمه من سكان حذرة ، أفعله بالأسلحة يجر قديماً
كبه وقد عرفت فيه أنبه عن هذا الحادث علي وثق المصادر

والتي حوى سمعهم ومحمد علي بعد يومين حذرة شمس
حضره رابر حذرة ، واختير رابر حذرة برحمت علي تتحرية عصبة أي
الصلح بين في في حذرة ، وافر به صوب باب ، سدي كان في
حذرة . - الثاني أي مكة في ساعة متأخرة من حذرة عيسى وقد حتم
حذرة ، سدي أن يذهب شريف سلام عنه ، إذ أن عدم فهم
بمثل هذه سوف يكون بمثابة إعلان الحرب حسب مفاهيم التركة
ورغم من غالب في أن يتم رباره طوسو قبل أن يجد صده أنه حصد
حذرة ذهب إلى سبه في ساعة مكره من صباح اليوم الثاني لوصوه ولم
يكن معه إلا جماعة قليلة العدد وكان هذ موقعا وقد سوي أن أمر
محمد علي قبل وصول به يوم واحد - حوى مائة حذري أن
يحتو في حذرة محضه مجاورة مساحة ليست الذي سسرله دنت
لبن وقام هؤلاء بذلك بطريقة لا تشير أي شاة وحين وصل غالب إلى
دنت است ووجهه المستقبوا إلى الطريق العلوي بحجة أن طوسو كان
معهم من أسر في حين وجهوا كبر من معه إلى السقاء في مطابق

الأرضي . ودخل الشريف عرفة الياشا ، وتحدث معه بعض الوقت لكن
حيما هم بالمعادرة أخبره عابدين بك ، وهو قائد أرباططي ، أن عليه أن
يفي سحبا بديهم . ولم تكن هناك حدودى بالمقاومة فقد اندفع الحدود
المحسبون من مكبهم ، وأعم عابدين بك مع طوسون باشا الشريف
على أن يصل من إحدى سفوفه ويأمر أتباعه "الموحودين في المطبق الأرضي
أن يعودوا إلى مكبهم" موضحاً أنه لم يقصد أي ضرر به

وحين علم الناس بك ذلك لحقوا بالاشا الشريف غالب مع حوذهما إلى
عنده . واستعد مدافع مكبهم . ولقد أظهر الشريف رباطة جاش عظيمة ؛
إذ قال طوسون في حصور صباطه : « كنت أنا حائلاً ما حدث
هد » . وحينما عرض عليه فرمان له تكبد صحته أن يمد يدها يطلب منه
حضور إلى المصططبية أحاب قائلاً « إرادة الله بركة » فقد أمضت
حياتي كلها في حروب مع أعداء المصطط . بذلك أن أحاف من المثل
تمامه . على أنه من الواضح أن انقذته من دمار في يدي أبي غالب
جاءه أنه من عمل باشا لا بعصه . وباء على بك آخر لشريف أن
يكسب ورقة إلى أبيه يأمرهم بسحب القلعة لمحمد على . لكنه لم يوقع
دنب لأمر حتى قُطع رأسه

وفي اليوم التالي دخل الأتراك القلعة ، ونفروا رجال بحمية بين
أسير لمحوذين مكبهم . ذهبوا للانضمام إلى الوهابيين . وغير انقاضي مع
موصفين : أحدهم من موطني الياشا ، وثانيهم من موطني الشريف .
لجود كل ثروة هذا الأخير . ولهذا تعرضت قصوده المحتشقة في
مكة . وقد قُدرت كميته كل ما وجدوه فيها بحوالي ستة عشر كساً و
مائتين وخمسين ألف جنيه استرليني .

وبعد غفل الشريف في مكة أيام قليلة أرسل في نوفمبر إلى جدة حيث أتى على ظهر سفينة في أحياء ، ثم أرسل إلى القصير وكنت في ق في صعيد مصر حين وصل إلى هناك من جدة الأخيرة ، وكانت فرصة لي أن أراه وكانت معي تبتدئ غير محضمة ، وكان ينكمش بشحاعة ووفد عصبه . كما به ذكر أبدأ سم محمد علي ولا سم به وكان معه اث عشر محصب وعلماء قبل من الحليم العرب وديار الله . الشحاف به صوغه في حده وقد رأيت من بين أئمة القليلة ضاره شطرح جميلة . ويقال إنه كان بقضي ساعات كن به في أعياد مع المحضين بديه من محضين

وبين بعض عدت إلى القاهرة التقى بسائت اثلاثي زمن في حدث عن طريق السويس مع كن ثروة التي وجدت في قصوره مكة ذلك أن محمد علي نسبه أوامر بالآ بس في سيء منها وقد توفي أحد أبيه في الاسكندرية أم ث في سمعه إلى سالونيك التي جعلها الملك بعاني مقره وهناك بدأ يسسم مرتباً شهرياً مسداً لتمامه وقد بقي في مكة بعض مموكاته وأخيه وأحد سائت الصغار ونوهي لشريف بعض وكل أفراد أسرته للصاعوب في سالونيك في صيف عام ١٨١٦ م . وقد قص علي عبد الله بن سرور ، ابن عم الشريف غالب^(١) ، في مكة في اليوم الذي تسجل ذلك الشريف ، وبعد به ، أيضاً ، إلى القاهرة ورجع في الهروب منها لكن بدو السويس قبضو عليه وبما أنه دائماً في عداوة مع

(١) عبد الله بن سرور هو ابن أخي الشريف غالب ، لا بن عمه

عالم فانه لا يوجد في هذب القصص عليه سوى أنه كانت مدته جماعة
قوية في مكة وسرعان ما أفرج عنه بأوامر من الباب العالي

وقد أبدى الشريف عالم خلال حكمه لمكة شعاعه قوية في
قتال الوهابيين وهي قتال أفرجه على حد سوء وأهنته برعته العميقة
ومعرفته بدقيقة بأبدو وسياساتهم ، وفصاحته ، وفاد نظره ، لحكومة
سك البلاد بجدارة لكنه كان حشعاً وطالماً في حسانه منس ، فرفضه
صرائف كبيرة على أصغر الأخطاء وقد جعله عمر محبوب بصفه
عامة وخلال عهد استمر ثمنه وعشرين عاماً (د أنه جمع ثروة طائلة
في مكة حيث عاش حياة فبده المصدايق وبما أنه لم يوجد عند عمره
من اشرقة إلا ما سقر أن ذكره في كثيراً من الناس يشكون بأنه قد حوّل
سر ماع كبيرة من سقود أو الأشياء النعيبه إلى ترفي الهند ، حاصه
بومبي التي كان له انبط تحاري بمبائنها زمن طويلاً وقد تسج محمد
علي إلى أن الشريف عمره على أن يسجاً إلى بومبي وعلى به حال في
معية التي حسن وروث بها الفلعه في مكة توضح أنه ك مصمما على
أن يقوم ، بل ويقابل ، لأمرات في دائرة ملك المدينة مقامة

وقد ث ثار حر قصص على الشريف العرب بين كل من
تمكبين والذو هيرت من مكة عدد من رعماء البادية ، الذين عرف
ملك الشريف بهم محمد علي والذين بدأ هذا الباش مدفوعات معهم ،
ودهموا إلى تربة لتابعه الوهابيين . وترك مكة ، أيضا ، كل صدقاء عالم
وعدد من أفراد الأشراف الأقوياء مع رجائهم ، ونحاً إلى حيام حيرهم
صديق أن لث قد حطط لنقصاء على كل الأشراف ، ومن بين هؤلاء

الشريف راجع ، الذي كان أحد أقارب غالب وأمر رجل في الحجاز
شجاعة ورأياً وكرماً وكان محمد علي قد ولّاه قيادة مات قبله من
البدو ، وكنته بإقناع الآخرين ليعرضوا في خدمته وفي اليوم التالي
لاعتقالي غالب نزل راجع مكة ، ومضى بكل أتباعه إلى الدرعية فخرج
سعود أن يسحق به رجل في مثل هو ، مات الشريف ومراهه وأعطاه
مبعوثاً من أمان ، وعينه في مكان المصافي أصبح أمير أمراء دولة
الحجاز

ولقد سبب سجن الشريف غالب ركود في كل لشؤون سياسية
للسلاطنة فعل ذلك بعد التصريح عن الأثر حتى أثبت الدين كانوا شد
من معارضة الوهابيين ، وأصبح موقف محمد علي خرج واعتقد
ثقة أنه كان يحب غلبه قبل أن يقبض علي الشريف أن سطر حتى
بعضه إليه بعض رعماء البدو الأقوياء ، ويتفق معهم على أن يقوموا بحرب
حقيقية ضد الوهابيين مما يجعل من الصعب عليهم ، أو من المستحيل ،
أن يتركوه بعد ذلك ولا شك أن محمد علي نظر إلى الشريف من خلال
بإيد حاضره فحاش أن يقع هو صاحبه لعدو إن هو أعطى علناً وقد
لتعيد محصنة لكه كان محطاً في ذلك ، فمن المؤكد أن الشريف
لم يكن يؤيد العثمانيين غير أنه كان ، أيضاً ، لا يحب سيادة الوهابيين
على بلاده وكنت حظه أن يصعب كلاً الفريقين لكنه لم يفكر أبداً
بحيائه الباث ذاته ، وقد سبق أن قطع على نفسه عهداً بالمحافظة على
سلامته

وقد عيّن محمد علي الشريف يحيى ، وهو أحد أقارب غالب

العديد ، وأحد حصونه سابقاً ، حاكماً بمكة وكان لباشا يعلم أن
 يحيى لا يتمتع بمواهب أو سمعة جيدة لكنه أراد بتعيينه ألا يكون كثر
 من موصى تافه واستوى الباشا على كل دخل الشريف عادل في مكة
 وحدة وبدأ يعطي يحيى مائة شهراً مقداره ثلاثون ألفاً بحيث
 أصبح ، في الواقع ، واحداً من موظفيه الخاصين

وفي ذلك الوقت لم يكن لدى محمد علي هدف آخر أهم من
 جلب المؤمن من جدة إلى مكة والطائف وحين جمع كمية معينة منها
 في أسنة لأخيرة عزم على القيام بصره حاسمه ضد أعدائه الذين كانوا
 عدم نشاطه فترة طويلة قد شجعهم على نهج إبل السبعة له من عدد
 أبواب مكة والطائف وبدأ يبدؤ يظهر حشوداً كبيرة ذلك الباشا الذي
 من أن كرهوه أعدوه على أن أعداء الأتراك حول مكة به بدو خصمهم
 على محاربتهم مثلاً فعلى عرب لعموم تدبير يسكنون في مكة ، وأن من
 هرمو في وقت سابق مضطهدى ذلك وقد لحاً معظم حوود ذلك إلى ثروة
 بعد عمل سندهم وأحسن الشريف راجح مركز قيادته هناك وانسحب به
 على خصائفي ، أحو عمل المتحدث عنه سابقاً وكان على دا بعود
 في بلاد وهكذا أصبح ثروة عظيمة ابتكار لكل اليهوديين المحبوبين
 كما كتب تدريعه مركز المشمايين منهم .

تغییر نظریات صالح محمد علی

[illegible]

وقد نصح عدد من الرواياء همم العثمانيين ، ورأى من ثقه الدول
أنفسهم ، وبذلك أسهمت كثير من إراءات مثل بحمة طوسون باش
وحسين محمد علي أخير على أن يحاول القيام بمحمود حر فارس
صوبون من الخائف قرب نهاية أكتوبر أو بداية نوفمبر سنة ١٨١٣ م مع

ألفي رجل للاسيلاء على ثرية وكانت البلاد انواقعة بين هذه البلدة وبين
الطائف في أيدي قبائل معدية ، بني سعد وناصر وعتيبة وكانت هذه
القبايل محايدة حين كان الشريف في الحكم ؛ بل إن عدداً من رعاياها
قدموا إلى مكة يتفاوضوا مع ثياشا لكن ما أن قصص على الشريف حتى
غضب جميعاً عائدين إلى حبالهم ، ويدؤ ويعززون على الطائف والحدود
لأبرك الدين لأموهه على حياة البشا وحين سار طوسون من الطائف
أخذ معه مؤباً تكفه ثلاثين يوماً وقد قصي معظم هذه الأيام في دار
مبيت صد عباس الدين طاردهم في حبالهم ، فأحصع حص هروج
فبيتهم وعد وصوره إلى ثرية ثم يكن معه من المؤب لا ما يكفه ثلاثة
أيام فأمر حدوده بمهاجمة السدة فوراً لكن العرب دافعوا عن أسوار
بستانه فشجعهم جهود عليه وكان سهلاً رد لأثرث السدي - يتوقعو
عدته كبيرة ، اكانا مهكين ولاشتد كب لماعة وأمر طوسون بهجومه
آخر في يوم ثاني لكن حدوده رفضو صراحة أن يخاروا عليه وأبدى
صداقه له وصح بحيش الصهث والحاده إلى مؤب فأنس إليه في حارة
صدت هجوماتهم مرد ثانياه سيمويون جميعاً من الجوع ويدت حشوه على
تعبير أوامره بالسجوم إلى أوامر بالانسحاب إلى الطائف وما أن بدأ
بالانسحاب حتى خرج السدي ، الذي علمو وضعه الجرح ، من السدة ،
وصعطوا على حدوده ، وأسلوا على المصرب السدي في طريقهم ،
وهو حمومهم بعنف مدرجة أن لأبرك بدأوا في نهاية الأمر يعززون ، تاركين
أمتعتهم وحبالهم ومزيتهم ومدافعهم

وهو مرر قوماً من كيث ، الذي سبق إنشاء عليه بيت أنه استطاع
مع عدد قليل من الفرسان أن يستعيد أحد المدفع ثم صوّه بمهارة صد

العدة مما أعطى المستنير المهرمين وقتاً ليعبروا صبراً صبيح كل من
 المحسن حدا تحصيلهم جميعاً فيه ثم يصعد بها قدم به وقد فقد في
 ذلك الأسحار أكثر من سعمائه جل أعينهم ما من جوعاً وطماً ذلك
 أنه حتى قبل وصوله إلى ثروة اتفق سعر حصص سكوت إلى دولار عسى
 أن حوالي مائة فارس من المرافقين ظلهم أنهدوا فيه الجيش من
 الهلاك وأنه يستطع سلب المشاة أن يصمدوا أمام هجوم سلاح الفرسان
 مصري الشغل الذي تم تجميعه ، على أية حال ، إلا فرض قليلة يقوم
 بعمل مؤثر في تلك المناطق الجبلية وبهرت لأساء الصحراء برشيق
 لشدء مراب كبيرة على مشاة حدود الأثر في حين كانوا غير قادرين على
 تحمل أكثر من التعب

وبعد أربعة أيام من المشقة العظيمة وكثير من المعاناة ، حصل
 صبرهم مع من بقي من حملة إلى الصائف ، ومن الممكن أن يعثر لشدة
 حملة إلى حاجه ، إلى أن يصل رجاله ومؤنه على حد سواء ، ولم يكن
 في تركه في الصائف أنه من يقابل إمدادات جديدة إليه ، وبدون أية مراب
 أخرى على تحربة المسمدة من انكسرت اضطر محمد على بعد هذه
 الهزيمة الكبيرة أن يعود إلى عمله الأول ، وهو إرساء القوافل دهاناً وإيصال
 بين حده ومكة والصائف ذلك أنه اتفق أن أية عمليات ضد أعدائه من
 لأحسن أن توجه من السلة الأخيرة

من الوهابيون بعد أن ذهبوا فليس الأثر إلى مسافة بعد عن
 الصائف يوماً واحداً فقط عادوا إلى ثريه ، واستأنفوا أسلوبيهم في الهجوم
 على قوافل الباشا بعبارات سريعة انحرکه وهذا من جعل تلك القوافل لا

تعر البلاد أبداً بدون حرس كبير العدد يستهلك ثلث الطعام الذي معها قبل وصولها إلى المكان الذي تريد وقد أمضى محمد علي وقته في مكة وحده

وفي نوفمبر سنة ١٨١٣ م أدت مسائل الجمع بمركب عظيم فقد أسي سميح باشا ، حاكم دمشق ، مع الفدوة السورية عبر صحراء دون أية عفت لكن العدو لدين كانت أرصيتهم في طريقه اضطروه إلى دفع إتارة المرور بكل السنوات لعشر الماصبة التي توفى خلالها محي ، فوجه الجمع السورية إلى المحار وأبى عدد كبير من حجاج آسيا لصغرى والفسطاطية إلى مكة عن طريق أسويس وحده ، وبهتج سكان مدينة المقدسة بعوده لأناج التي كانوا يحاربونها من حصار الحجاج ، فاسي كانوا محرومين منها جزئياً في عهد الوهابيين ورست عدة آلاف من إبل مع قافلة الجمع من القاهرة إلى أسش ، كما است به تعربت كبيرة من الحدود وأمر مصطفى بك بالعودة إلى مصر لكي يحصل من هناك على حيوان جديدة عوضاً عن أعداد الكيرة التي فقدت ، وفي سنة ١٨١٣ م وبداية السنة الثانية الهجرية بقي الجيش مركب دون حرس على الإطلاق

وبعد أن كل حمته ضد عدو قد فشلت ، لم يبق له شيء إلا أن يحدث بها أحديه ، فإن كانت اعتمد أنه من نصري أن يحارب حصه جديدة يقوم فيها بهجوم فرعي مصلح يمكن أن يفت بحاجه الشجعان في قواته ويحوّل نظر الوهابيين عن نقطة الهجوم الأساسية فحضر حمته بحرية من جده عماده ألف وخمسة ثة جندي من جناتة وعدد كبير من

من حصنه بجول وحول قباتها لحسين بن موسى وأعو
 وبهذا حصنه بنى بقعة ، وهي ماء بعد عن حدة سعة يوم حروب
 وكانت في السابق جزءاً من أراضي الشريف عاتك كذا أصبحت
 خلال سنوات خمس لأحدة في يد عباسي (بن شعيب) سبع عروب
 عمير قديم قبائل حصنة حروب مكة وأشدّ لمحمّد بن جعفر
 بن أسبلا على بقعة بعد جد في توحيد بهجات ضد
 حسين بن علي مع حامية الصدائق وبما أنه من سهل إمداد
 من ، ولأسبلا عيب بعد حضرة نحو فتح أبي كذا عكاف
 من بن قد أعزى محمد بن علي بن أسبلا عكاف من حصنة
 وضع من حكمه يوم بكر حمدي قد برث في بقعة بلا حامية
 صغيرة وبها سبب عيب الأبرك دور برقة ماء في عباس بن
 ١٢ د بكر معصه سكاك هرب منها ومن أسبلا عيب
 حتى بنى إسب من حدة بين مكور من بقعة فارس وكانت حصنة
 بعد فارس بنى مقامة عدو لا يملك مدفعه ، مثل لوهد بين سكاك
 كانت بنى بعد حدة خمس حدة ، بعد لابر أبي ترويه
 تلال سادات عيب وكان لابد من ماء بحصن حول بيت الأبر ،
 حصنة بطريق منها بنى سدة بعد من الأبرج والبصريات ، إذ كان مع
 لأبرك كثير من سلاح المدفعه لكن حط كبدته له تكن تحضر
 بن بشار وقد عباسي عيب قصير نصر ولدك في بار حدة بنى بعد
 عن بقعة مساه نصف ساعة تركت رائف بدور أبي رافع

وقد وضع مائة وخمسون حصناً من لأبواب قرب بار بقعة
 ولم يكن هدفهم حمايتها ضد العدو بعد ما كان مع سكاك اسلاد

والعرب المجاورين لها من مضي ماضيتهم . وبعد أن بقي الأتراك في
الصفحة حوالي شهر دون أية حركة على الإطلاق فوجئوا في بداية شهر
مايو بميلق يتراوح عدده بين ثمانية وعشرة آلاف وهدي بقيادة حامي
سحسب . وكان أول من هوجم لأرناؤوط الدين حول الآبار وحارب بعض
هؤلاء بشجاعة حتى قُتل في حين هرب البعض الآخر إلى أسد ، وبشروا
فيها ربح عام . هرع القائد التركي المدعو ومعه حوذه إلى السهل
، سبه في مساء ذلك أية محاولته للمقاومة من داخل الأسو ودخل
الوهابيين أسد ، فقتلوا أعداداً من الجنود وأخذوا ثلثين من جيش تركي
دين لم يستطيعوا أن يهزموا أنفسهم بأثروب ، ولم يقدروا على
سحسب بل كان كثر منهم قتل في لحد قرب نسل أيدي الوهابيين
دين سحسب ، وهم يومئذ من القائد التركي عسك الصعود إلى حدي
سسل حتى تم بالإبحار سريعاً ، وترك كل وثقت دين لم يستطيعوا
جهدات ناجحة حول تحقيق

و لم يحصل الوهابيون ب حسي عائم ككتبت أي حصار عسك في
عند ذلك الأتمة والسحار الكبيرة ، وكان حادع أصعب منك
و لم حصل معظم لأثر معهم لا اسلاس لتي ك م مرة بها
كان ثمن جزء من العسك كان يعساه من حيل وعدد كبير من
إلين

بفقد مات كثير من جنود وسحار الأتراك في طريق إلى حده لأن
مدد اسسل بالماء والمؤن كان مبعث ومع ذلك فإنه يشاع بأن القائد
سليم وبعو كان يحس يديه بماء عذب بانتطاء بينهم كان أتباعه انتعاء

يموتون من الطمأ . وعنى أية حال فإنه عُتِن حاكماً بجدة بعد وصول
عرب الحملة إليها . أما الجنود القبطون الذين حاربوا خلال النهار في
انصرافهم فقد استطاعوا الهروب بسلام . ووصل اثنا عشر رجلاً منهم إلى مكة
حيث كافأهم محمد عليه ، وسمح لهم أن ينضموا إلى هاتق أخرى
لأنهم فرروا . لا يخدمو مرة أخرى تحت قيادة سيدهم أو عمو

وحوانى ابوب لذي سارت فيه الحملة إلى القمعة ذهب محمد
عني إلى المصنف بسبب مباحها الصحي . ويكي يكون أقرب إلى شرح
لأحداث وإلى مواضع البدو الذين رعب ثنية هي أن يفهم معهم علاقات
وذية . وفي يونيو سنة ١٨١٤ م وصل من القاهرة ألب وحمسمائة
جدي . هم حيرة المشاة في مصر ، بقيادة حسن باشا ، الذي كان
رعيه زروعي مشهور ، وتخلص محمد علي ، وشريك له في سرانه
من قبل أن يصبح باشا مصر . فقد أخضع هو وأخوه عابدين تلك
— المذكور سابقاً — صعيد مصر بذلك الباشا ، وتعاون معه في تصد
مدبحة المماليك في القاهرة ، وهي المذبحة التي قام بها حرد من
الأرناؤوط وأظهر أخيراً حربه خلال ثورة قصيرة الأمد حدثت في
عياب الباشا عن القاهرة . وفي ديسمبر من سنة ١٨١٣ م أو يناير من
السنة التالية لها ، قام لطيف باشا بمثير اشك فيه . فقد أرسل هذا
انرجل ، الذي كان يوماً ما مملوكاً لمحمد عني ، مع إسماعيل باشا
يسلم معانج مكة والمدينة إلى السلطان فأكرمه السلطان ، وجعله باشا
دا حقوق تكريماً سيده محمد عني . وتواتر في القاهرة أن هذا الأخير قد
مات . وأعطى تصرف لطيف باشا سبباً للشك في أنه يسوي الاستيلاء

على لحكم وأشيع جهازيماً أنه تسلم مرسوماً من الباب العالي بأن
يقوم بذلك متى ما وافقت الفرصة للقيام به واتحد نائب الحاكم مع
حسن باشا إجراءات هورية للقضاء على تلك الثورة وحاصراً قصر لطيف
باشا ثلاثة أيام وبعد ذلك قبضاً عليه في ثياب فلاح ، وقتلاه وبهذا أعادوا
الهدوء إلى البلاد

وبعد وصول حسن باشا إلى الحجار أرسله محمد علي ليقوم مركز
مبادته في كلالح ، وهي قرية صغيرة تبعد ثمانى أو تسع ساعات عن
الضائف شرقاً ، وتقع في سهل حلف سلسلة الجبال العظيمة وقد جعلت
منها أبره كثيرة موضعاً مهماً وكانت محصنة إلى حد ما أما
صومون ، الذي كان قد أدر استياء أليه بهجومه المتهور على ثربة ، فبقي
معسكرأ في مكة .

وهي ذلك الوقت تقريباً وصلت أنا من سواكن إلى جدة ولم تكن
حالته لأترك في الحجار تشتر بشيعة إيجابية للمراع بعد كان عدم
الرضا ، مع نوع من الدعر ، عاماً بين الحضور وكانت انتصارات العدو
المنكررة ، والتموب المحقق لدى يتنظر كل الأسرى لأترك ، واسم
الوهابيين بحد ذاته ، أمور مرعبة لأفراد قوات البشا ، وكان المرتب الذي
بدوع للهندي كافياً لرفاهته في مصر ، لكنه يكاد لا يمكنه من سد مقه
في الحجار فأسعار كل الأشياء لضرورية ارتفعت في الطائف والمدية
الى درجة أن الهندي لم يكن يستطيع أن يشتري إلا خبثاً وخبثاً طعناً
وحيداً بثمانى ، وكان دفع المرتبات متأخر ثلاثة أو أربعة شهور بل
كان ثمن كل شيء في مكة وجدة أعلى مرتين ونصفاً منه في مصر

ويهدأ فإن كل إنسان وفر مسعاً قليلاً من الثمن قبل قدومه إلى الحجارة
 صُطر إلى إيقافه للحصول على ضروريات الحياة وحده . وبالإضافة إلى
 ذلك كان يصرف للجنود بالعملة المصرية ؛ وهي عملة رديئة وسعرها في
 حجار أقل من سعرها في القاهرة كثيراً بحيث فقدوا بسبب ذلك ثلث
 مرتبهم وقد باع كثير منهم دحائرهم وملابسهم ، وعادوا جميعاً كثيراً
 من محض شيء ثم يكف محمد علي نفسه بدأ بإرلتها وقد حصر
 كثير من الجنود والجنائز والخدام المسكين مرتباتهم ، فأبحروا من جده
 وبيع إلى القاهرة . لكن الناسا سرعان ما حرم ذلك ، ووضع عقوبات
 صارمة على من قام به . وتصديق هؤلاء من ذلك الحريم كثير فالجندى
 التركي دائماً متطوع ، وإنه أن يتقاعد عن الخدمة في رتبة يكن الجنود
 وحذوا أنفسهم يعاملون في الحجارة معاملة المساجين فترك كثير منهم
 مواعدهم في الصفوف ومكة ، وقدموا مراراً إلى حدة من أن يستطيعوا
 الهروب على سفينة من السفن وكان إذا عثر عليهم أعيدوا إلى مراكزهم
 فدانهم مكبلين بالأغلال وقد قابلت سفي مرة في الطريق من حدة إلى
 مكة أكثر من ثلاثين منهم مربوطة أيدي بعضهم مع أيدي البعض الآخر
 بحبل طويل ؛ وذلك عار لا يمكن أن يساه بهداً أو شئ الأتراك
 المتعظمون .

ولابد أن يضاف إلى الأمور السابقة الهواء الصار والماء السيء البذا
 جعلاً ساحل بهمة من أسوأ المصاحات التي عرفت لها ؛ إذ لم ينج من تأثيره
 إلا عدد قليل من الجنود ، ولم يتمكن بسببه من تأدية الواجب إلا بعضهم
 على أحسن تقدير وأصبح اليأس الناجم من الحرص عاماً دون أمل في

لشفاء وأهمل محمد علي الوسائل الوحيدة التي لديه ؛ وهي تشجيعهم
وبث الأمل في نفوسهم بزيادة مرتباتهم ومسح الجوائز للقليبين الذين ميروا
نفسهم بأعمال جادة لكن مرتباتهم لم تُرد ؛ بل وجدت عوصى كبيرة
في القسم المالي للجيش لدرجة أن كل قائد كان قادراً على أن يقتنع
جزءاً من مرتبات رؤوسه ، ولم يتخذ الباشا أي عقاب لذلك الجور .
ولقبة المسحدين الأتراك ألس الصباط الملاحين المصريين الذين كانوا
خدام معهم ثياب حمود يسدوا الفراغ .

وربما كان محمد علي هو الرجل الوحيد في بلاطه وحيثه الذي
م يأس من النجاح النهائي في تلك الظروف ؛ عالماً أنه من المؤكد أن
يسقط ويظرد من مصر ما لم يحرر بحاجاً في جزيرة العرب ومسد وصوله
إلى الطائف حاول جاهداً أن يسأ اتصالات ودّية جديدة مع البدو . وقد
رجع في هد المحار بالذات عن طريق عمان وأنصر في أغسطس
عام ٨١٤ هـ دخلت قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وحر ، من عتبه معه
في حلف حديد ونسكن القبائل الثلاث الأولى بين مكة والطائف في
حر نسكن عتبه شرقاً عنهما وقد أسي مشايخ تلك لصال إلى مراكز
القيادة ، وانصوى حوالي خمس مائه من عربهم تحت لواء محمد علي
الذي أعطاهم تهريباً ضعف المرتبات التي كان يستلمها حموده وهي أثناء
إقامي في الطائف في أغسطس سنة ١٨١٤ هـ كتب رى مشايخ انمو
يصلون إلى مراكز القيادة يومياً . وكانوا متأكدين من أنهم سيهذون طاقماً
من الملابس وكان كدرهم يتسلمون نفوداً كلما أتوا إلى هناك وكثير
مهم كانوا يأخذون تلك اسفرد ، ويعودون إلى حياتهم ، فيحبرون

اليهوديين بكل ما رآوه في لطائف لكن آخرين منهم بقوا على الجهاد
 ولكي يكسب الباشا قسماً منهم اعتقد صحة مجامعة الجميع وعطائهم
 ههنا يا ثمة فكان ينصب إلى أحاديث الدر ويتكبداتهم المجددة ،
 أحب ، ندرجه كبيره من النصر ، ويدو أمامهم طلق المحب ، وهو أمر
 غير عادي بالنسبة لعثماني من أية رتبة

يكن أبناء الصحراء أولئك يحاطون محمد علي بطريقة حادة غير
 رسمية ، يدونه باسمه محمد علي - فقط وفي أحد الأيام قدم
 إليه عتي ، فقل نحيته ، وأعطى فائلاً « أن تركت دين المسلمين (أو
 بموحدين كما يسمى اليهوديون أنفسهم) ، واتبعت دين مسيحيين (كما
 يسمى اليهوديون كالمحمديين الذين لا يعتقدون عقيدتهم) ، أن تبعث
 دين محمد علي » ، وأن هذا الحظ غير المقصود صحيحاً عاماً لكن
 الباشا أحابه عن صديق مترجمه ؛ يد سم يكن بقى العربية ، : « أرجو أن
 تبقى دائماً مبتدعاً مخلصاً »

على أن الباشا وكبار صباطه صو تقريباً جاهلين جهلاً تاماً بقوه
 لقائل المسيحية بهم ، وشؤونها وتاريخها الحاضر ولم تكن لديهم معرفة
 بأراضيهم ولدت في البدو لم يثقوا ثقة كبيرة في أية حركات يقوم بها
 حدهم تحديد ودعم هذا استمر لبث برداد قوة كل يوم ووصل
 إسرائه في تدبير الدولارات من حوله إلى قلب الجيش اليهودي دته ومع
 أني أشك في إد كان أي بدوي قد انضم إلى جابه بإخلاص فإن أعدداً
 من البدو تصاهروا بدت وتوقفوا على الأقل عن محاربه لكي يحصلوا
 على هباته بل إن الشريف راجحاً ، الذي كان في مقدمة أعدائه ومير

نفسه في الجانب الوهابي خلال هجوم طوسون باشا على ثربة ، اقترح
حبيدك أن يعود إلى محمد علي ؛ إذ كان لديه سبب في عدم الرضا
على إخوانه من الرعماء .

وقد أظهر تصرف الباشا قبل ذلك أن الشريف عائلاً كان الوحيد
المكروه شخصياً لديه بين رعماء الحجار . وكان في إمكان راجع أن
يرهن علي أنه ترك محمد علي لمجرد خوفه من أن يكون مصيره مثل
مصير عاب وهي سبتمبر أتى إلى الطائف ، واستقبله محمد علي
بلطف عظيم ، وجعله مره أخرى على رأس حوده من البدو

وبالإضافة إلى سياسة التواضع التي اتبعها محمد علي في علاقاته
بالبدو فإنه عمل كل ما في وسعه لاستمالة سكان الحجار وألقى كثيراً
من الضرائب التي سنّها الشريف ، وحقق حمداً حدة على مختلف
البضائع ؛ خاصة القهوة ، ووزع مبالغ كسرة من النقود وكميات من القمح
على المحتاجين والفقراء من كل صنف وجمع هدايا على العلماء
وموصي المساجد والمدارس . ورتب الأماكن لمقدسة في مكة وخلال
إقامته فيها حافظ بدء على الشعائر المفصلة التي وصفت من يرور
الكعبة ، والتي يسبحر منها لو كان في نهاره . بل به سم يحارب ألد
في المدينة ، الأحياء أن يحمي ميادئه التشككية ، أو على الأصح
الإلهادية وقد أمر الحدود لأتراك في كل الحجار أن يمنعوا عن
استعمار أية نعة بدية تجاه الموطيين . وكان يعاقبهم بشدة كلما وقعوا
في بلد التصرفات الظهانية المستعملة كثيراً في مصر ولم يكن لأي
جدي أن يحرق علي أحد شيء بالقوة أو سبب ثمة من السوق ؛ إذ

كان أسوأ من ذلك هو المصدق في حالة الشكوى إلى الباشا أو صباطه
ويدت بدأ تعصب العرب ضد كل الأجانب يصعب تدريجياً ، وبال الباش
سمعة طيبة لعدده وإحسانه ؛ وهما من الصفات التي لم يكن ليقوم بأي
ادعاء لها في مصر

وقد توفي سعود في مايو سنة ١٨١٤ م بالحنى ؛ وهي ولاء كثير
جداً في نجد ، وبذلك فقد الوهابيين قائداً لا يكمل ولا يسي لديه كل
تمواهب ضرورية لمصعب العضم الذي احتته ، ويغال إلى كلمته
الأخيرة كانت موحية إلى به عبد الله بصحاً إياه بقوله « لا تقدر
لأنك في أرض مكتنفة » وهذا مدناً تو اتبع بدقة لمكن شعبه ، بدور
سك ، من استعداد الحجاز وأصبح عبد الله ، الذي سبق أن قطعه
كبار رعماء الوهابيين في حياته إليه ، وريثاً لمصلحة العبد يكن بعض
التحالف عليها حدث على أية حال ذلك أنه كان سعود عدد من
إخوان الذين طالبو بتصويب من إليه^(١) وكان يساعد أحدهم ؛ وهو
عبد الله ، هريب من علماء الدرعية يكن بعد أعصاب فصيرة اعرف
بعد لله بن سعود رعيماً للوهابيين (كانت شهرته في الشجاعة والمهارة
في الحروب تفوق شهرة أبيه ، لكنه لم يكن يعرف جيداً كيف يدير
أشور اسباسبه للقبائل مثله ويدت بدأ كبار منائحتها يمارسون أنواعاً

(١) كانت وفاة سعود إليه الإثني الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٢٩ هـ وكان في مائة سنة
وتمت أسهل بخله أصابه منها مثل حصر البون . انظر عنوان المنجد ج ١ ، ص ٢٣٩
والعل بداهه ميل القبائل إلى محمد علي كان من أسبابه موت الإمام سعود ، الذي بعثه وشجاعة على

حج سواد

٢ كان لسعود أخبار فقطع بها عبد الله وعمر ، كما سبق أن ذكر

من الاستقلال . وهذا ما أضعف القوة العامة لشعبه . ولم يجد الوهابيون
الجنوبيون ، الذين كانوا حبيداً أكثر تعرضاً للهجمات ، عوناً من القبائل
الشمالية التي كان من الممكن أن يساعدهم فربماها بشكل أساسي . بل
إد المشايخ الجنوبيين أنفسهم كانوا محتتمين فيما بينهم وأصبح المشايخ
يقاتل قبائل مسردة أكثر مما يقاتل قوة متحدة . وبعد عري هذا الاقتدار
إلى الوحدة إلى الاقتدار الذي كان يصمره هؤلاء بحود الأراك



هنا مكتبي . مكتبة للجميع

بدرية انتصارات محمد علي

كتب قوات باشا في سبتمبر عام ١٨١٤ م مواعده كما يلي :

١ - حوالي مائتي رجل مع إبراهيم أغا ، حامس أحتام محمد علي ، في مكة حيث يوجد ، أيضاً ، مائة و خمسون جندياً عربياً بقيادة

شارع يحيى

٢ - م بر ثلاثمائة و أربعمئة رجل بقيادة ديوان أفندي في حده

٣ - مة رجل يكوتوب م مية في يبع

٤ - م م رجل ممر كروب في جدة

٥ - ثلاثمائة و خمسون رجلاً مع ضوسون باش الذي كان معسكر بين يبع و اممية

٦ - ثلاثمائة تركي ؛ بينهم حوالي مائة من الفرسان ، مع محمد علي في الصائف

٧ - ألف جندي من لأرباطوط مع حسن باش في كلاح

٨ - الحيش مكوّن من ألف و مائتين من لأرباطوط و أربعمئة من الفرسان في الحصوص لأمامية مع عابدين بك ، أحي حسن باشا

وقد اندفعت هذه القوات الأمامية مسافة ثلاثة أو أربعة أيام جنوب الصائف إلى أراضي فيله باصرة وإلى جهة زهران حيث كان الشعب

بحرّوش ، رعيم عرب عامد ، الحصم الأساسي للأتراك^(١) وما أقادهم
أنهم كانوا معسكرين في بلاد حصية تسد حاجتهم من القمح والشعير
وبذلك أصبحوا مستقلين عن المستودعات في الطائف

وقد تبدو القوات التي ذكرت أعدادها تفتة جداً أمام لصرى .
ومع ذلك فإني واثق بأنه قد بولع في تقديرها أكثر مما يُعصر وطبعاً
تقدير الأتراك ؛ بل ولتقدير الباشا نفسه ، كان هناك في الواقع عشرون
ألف رجل تحت قيادة محمد علي بالأعداد الكبيرة من الذين يخدمون
الجيش التركي ، والأعداد المتصاعدة من الحجاج والتجار الأتراك
المستقرين في الحجاز والذين يقدّون في ملائمتهم لحدود حيث يدر أن
يقيموا معهم ، والجسد الكبير من الحماله رماضي لحبل وغيرهم من
الخدام الذين في صحه الجيش ؛ كل هؤلاء تسهموا في تكبير حجم
أعداده الصاهرة ومن المحتمل أنه لم تكن لدى اليهوديين تبدأ فكرة
بإصحة عن القوة الحقيقية لأعدائهم . وكانت التعريرت تصل يوماً من
مصر ، لكنها نادراً ما كانت لسد المراتب التي صنعت كثيراً بسبب
لوبياء والمجاهدة عبر الناحية مع اليهوديين . وكان عدد المجنود الذين مع
محمد علي في مصر صغيراً جداً بحيث لم يكن ليسمح تكرار انسحاب
منه إلى الحجاز . فببما كان مجموع عدد الجنود في هذه البلاد خمسة
آلاف رجل هم يرد أولئك الذين في مصر تبدأ على ستة أو سبعة آلاف
جدي حقيقي . وهم يكن اثاث قادر على إتفاص ذلك العدد دون

(١) كان بحرّوش من عتاس رجباً نهران . نظير عنوان المجد ، ١٠١ ، ص ٢١٣ . وقد
ذكر بوكهورف ، ص ١٤٤ ، أنه يتم عتاس نهران . ولكن عتاس حارث بحذبه لظن أنه رعيم عتاس

عريض تلك البلاد بلهجمات التي كان يتوقعها من الفسطينية ومن
الحمايك في دنقة أو من اسحاترا ؛ خاصة في ذلك الوقت

وحين أصبح معنوم في الأقصر اني تسلم بقسط واحد من لجود
مستور - الأتراك ، وهي أنباء وروميل وساحل آسيا الصغرى ، أن
تجرب في حجار كانت مؤمنة جدا لجود لمشاركين فيها ، بات إلى
مصر ، لا عدد قليل حد من يريدون الالتحاق بالخدمة ومدة مدة
١٨١٣ م اصبر محمد علي إلى أن يفي في ذلك لأقصر صباه
الحاصين للتحديد ، ولم يستطع هؤلاء أن يحققوا هدفهم بدون صرف
مبلغ كبير من المال ، وقد سمعت أن أنباء نفسه دل في طائف إلى
جيشه يتكون من خمسة وثلاثين ألف رجل ؛ عسكرون ألف منهم في
الحجار ، وخمسة عشر ألفا في مصر وهذا يقرب بعد ، بصفة عامة ،
صحفاً

وكانت القوة الصغيرة التي يراوح عددها بين أربعة وخمسة آلاف
كافية للدفاع عن المدينتين المقدسين وإرهاب القبائل المتحاربة ؛ وحدث
بمساعده أربعمائة حدي بدوي جمعوا من قبائل مختلفة ، ودفعت لهم
رأسب ضعف ما كان يدفع للأتراك لكن لم يكن من المستطاع هزيمة
الوهابيين بذلك الجيش ، ومع ذلك يبدو أن الباشا عبد معاذرة القاهرة قد
وعد مولاه انتظار أن يحصعهم . وباترعه من كل جهود الباشا فإن
الحاجة إلى الإبل لم يبق وقد أوضحت حث الإبل الحية المتأثرة

(١) قد يبدو شافص واضح بين ما يذكره المؤلف في موضع عن أعداد الجيش ، عن محمد علي وما
يذكره عنه في موضع آخر

على الطريق من الطائف إلى مكة ومن ثم إلى جدة أن التحديد المستمر لقوافل الأسعة كان ضرورياً جداً وفي صاحبة مكة المسماة المعبدية ؛ حيث توقف القوافل القادمة من جدة والطائف ، تسع رائحة كريهة جداً من مئات الإبل المينة لدرجة أن أعداداً كبيرة من فقراء الحجاج الروح استؤجروا — بناء على طلب المواطنين — يجمعوا أعشاباً يابسة من الحبيب المجاورة ، ثم وصعت كومة من هذه الأعشاب على جثة كل بعير ميت ، وأشعلت فيها النار حتى تحولت تلك الجثث إلى رماد وقد تنف من بل الحيش في الحجارة منذ بداية الحرب سنة ١٨١١ م حتى الآن ثلاثون ألف بعير حسب التقدير المعتدلة ولم يكن قد بقي في مصر إلا قليل منها فبحث عن مزايدات كبيرة من الأقطار الزبجية حتى سار بكر نقل المؤن من قنا إلى القصير ومن القاهرة إلى السويس تعبت أعداد كبيرة بحيث لم يتوفر إلا عدد قليل نسبياً منها لخدمة في بحار وبعث باشا صديماً إلى دمشق لشترى بلاً من لدو سوريا وكان بوقع وصولها إلى مكة مع قوافله الحجاج القادمة وقد عمل إبراهيم باشا كل ما في وسعه يجمع من قبائل ليبيا ما أمكنه جمعه من الإبل ووعد بأن هذه الإبل ستُرسل ، أيضاً ، مع الحجاج المصريين إلى الحجارة

ولم تُجند حتى وقت وصولي إلى الحجارة لا إحصاءات مدعية وقد استؤجر حوالي خمسمائة بعير من عرب حرب ل نقل مؤن من جدة إلى الطائف ، لكن أصحابها رفضوا كلهم أن يهتدوا بها حظوة واحده بحر لشرق أو لحوب من تلك البلدة لكلاً يأخذها لوهائيون وقد عمت من

مصدر ثقة أن الحامية في الطائف لم يكن لديها من المؤن إلا ما يكفيها
عشرة أيام . وكانت محضها عطيحة جدا بعد أسابيع لدرجة أن القمح الذي
أخضرته القوافل وزح فوراً ، ولم يوضع في المستودعات أبداً . ولم تكن
لدى القوات في الجراكز ، الأمامية ورهبر ، أية وسائل طحن القمح . فكان
كل جندي يتسهم يومياً نصيبه من الخبز . ويقوم مضطراً بصحبه بين
حجربس ويحبره على الحمر

وفي أثناء ذلك قام الوهابيون بحارب متكررة على الطائف على أن
لقبائل بني مات إلى جانب الدش أرسلت مرة أخرى ، فثقت صغيره
منها إليه . فهاجم بدو بلاد العدو . وقاد الشريف يحيى مع عرود في
أغسطس عام ١٨١٤ م حملته فوق الحبال باتجاه القصده ، ورجع بمائته
ثمينة من الإبل والعجم . وما أن عاد إلى مكة حتى تأثر ضامي نفسه
بإرسال فرقة من قبيلة قحطان على ستمائه بغير نحو حدة . وكادت
تسبي لا نحو من أولئك القوم . وكب أسافر من وقت إلى آخر بين مكة
وجدة مع قافلة صغيره من الإبل . فوصلت مرة حوالي منتصف الليل إلى
مورد يسمى بحرة في منتصف الطريق بين البلدتين بعدكورتين حيث
يعسكر فرسان في محيم صغير لحراسة ذلك الطريق . وأحد أولئك
الفرسان في حانة . دار . فقد أضرهم بدو من لحبوب أن العدو يقرب
منهم . فاحتفت فافدسا فوراً صوب الحبال الشمالية . وبطريق دائريه
وصلنا إلى جدة في اليوم التالي . لكن ، أن عادرا بحرة حتى اقتحمها
الوهابيون . وقد سمعنا أصوات البنادق ، وأحبرن بعد ذلك أن العراة قتلوا
كل السكان الذين وجدوهم ، وبهوا المحيم والأمتعه ، وأحدوا قافلة صغيرة

كانت قد توقفت في ذلك المورد قبل وصولنا إليه بقليل وهي أثناء ذلك كله لم يد الثمانون فارساً أبداً أية مقاومة ؛ بل عدوا بحبيهم متجهين إلى مكة حيث بشروا أعظم الرعب . وبذلك قُصع الاتصال بين حدة ومكة طيلة أسبوع . لكن الوديس بعد أن حققوا هدفهم انسحبوا إلى أوطانهم فقد أتوا من مسافات تزيد خمسة عشر يوماً ، على الأقل ، لسحب على تلك الطريق وقد مكنتهم معرفتهم الدقيقة بالبلاد من اتخاذ طريق أوصلهم حاجة إلى قريستهم وقد امتار اليأس دائماً بهذا النوع من الحروب وأرعب بحاجتهم المستمر في مثل تلك الهجمات الجرد الأتراك أكثر مما أحافتهم الهزيمة في معركة نظامية ذلك أنهم بمحرد معادرتهم حدود المدن لم يشعروا أبداً بأنهم آمنون لحظة واحدة

ومد الأسبلاء على المدينة بقي الحدود لأتراك فيها دون حركة على لإطلاق ؛ إذ لم تكن الإمدادات المرسدة إليهم من يسع لتكمي الحاجة اليومية لهم ولسكان تلك الضفة وصب قبيلة حرب في علاقات ودية مع الأتراك وهي بويوس سنة ١٨١٤ م ذهب شحهم حر ، الذي أسهم بشكل أساسي في الاستيلاء على المدينة . في مهمة ما إلى ديوان أهدي القائد هناك وحلّس مع هذا القائد يوم كاملاً لكنه لم يستطع أن يتحمل بحاجة ذلك التركي أثناءه وبهذا وقع صوبه على مسمع من كل المحاصرين قائلاً له : « اسكت يا ديوان أهدي لأن كل إنسان يعرف أنني أنا الذي مهدت لطريق لدخولك إلى هذه البلاد وولا هذا السيف (وها صرب سيفه بكفه) لم يدخل تركي أبداً المدينة » فسحظ القائد التركي على تلك المحاسبة ، وسب الزعم الحربي بأفدع العبارات .

وقدم الباشا من الطائف ليشارك في موسم الحج ، وليقابل سببما
 باشا ، حاكم دمشق ، الذي صاحب فاته سوريا مرة أخرى وقد أتت
 روجه محمد علي المصطفى ، أم طوسون ، عن طريق البحر لتأديه الحج
 وكانت حاشيتها من العظيمة بمقدار ما لمصر من ثروة . فقد نقل أمتعتها
 وأعمالها بعمر من جدة إلى مكة ، وبصفت حينئذ عدد جنس عرفات
 مسوية في حجمها وعظمتها كل ما يقرأ في الحكايات الخيالية أو قصص
 العرام العربية . وقدمت عدة شخصيات ذات رتب عالية من القسطنطينية
 لزيارة الكعبة وأدى الحج تلك السنة ، التي شاهدتها بعيني ، حواشي
 ثمانية ألف إنسان من كل الأحاس والأمم وكان رجال القاهرة السورية
 يقولون ، عدة ، هي مكة أياماً قيمة بعد انتهاء الحج وهي تلك المناسبة
 أرجأ محمد علي إقامتهم عشرة أيام زيادة على المدة المعتادة ، إذ طلب
 كل منهم ، التي يصل عددها إلى اثني عشر ألف بعير ، لحمل المؤن
 بين جدة ومكة لإمداد جنوده

وحينما جمع محمد علي كل قوته المعانة بين مكة والطائف ،
 وبعثت حالة مستودعه وعدد معسكراته آمانه في الجحاح ضد العدو ،
 أعلن عزمه على أن يكون هو عبي رأس الجيش مما رفع إلى حد ما
 معنويات جنوده . وحدثت ثورة ، مرة أخرى ، لتكون الهدف الأول
 للهجوم . وقد شجعت المدعية حسنة التحبير ، المكونة من اثني عشر
 مدفع ميدان ، الجنود على الاعتماد بأن أسوار ثرية لن تبقى طويلاً واقعة
 أمامهم ، وأنه لن يحتاج إلى أي رجل لينسلق على السور كما حدث
 حينما فاء طوسون باشا بهجومه عليها . وقد أمتت خمسمائة رأس لقطع
 الحبل التي تعيق الوصول إلى ثريه . ومدّ الجيش بعشرين بئراً وكثير من

لجاريين لعمل نفق يملأ بالأنعام لتنجير مباني العدو فوراً ولكني يجعل
لجود متأكدين من النجاح أحصر حمل من حب اسطوخ من وادي
فاطمة ، وحمل بأبهة غير أسواق مكة على أساس أنه بعد التحريب
الكامل لثروة سيدير ذلك الحب في الموضع الذي كانت تقع فيه لكن
نبت التجهيزات ردت قلق الحدود بدلاً من تهدئة أفكارهم ذلك أنها
برهنت على الأهمية الكبيرة التي عيّنت على أحد تلك الندوة وعلى صعوبة
المهمة

ولقد صحتك بعدو حيث قيل إن محمد علي يعدّ أحد ثروة أمر
مؤكداً وحوالي ذلك الوقت استلم الناشد من لشيخ بحروش رسالة
مكتوبة بذلك الأسلوب التهكمي اللاذع الذي يحمل لتدريج العربي ككثير
من مثاله وقد أحرق فيها أن لديه بالفعل براهين كافية عما يستطيع
الوهابيون أن يفعلوه ، وأنه إدراك أن يحاربهم فسعي أن يأتي حدود أفضل
من أولئك الذين يفقدونهم الآن . لكن أعقل خصمه به هي أن يعود إلى
مصر ، ويمنع بناء السيل وقد كفر بحروش عن إهانتة هذه تكرامه بشا
التركي بأن عذب عديد شديداً حتى لموت فيما بعد

وتشجيعاً لجيش اعتقل محمد علي ثلاثة عشر بداية من قبيلة
عنية في صرين جلاء ، واتهموا بأنهم لصووص وهابيون ، بأمرهم من أنه
اتصحح فيهم بعد أنهم كانوا دهبين إلى تلك بلدة بشاء بعض بمول ،
فأعدموا في سهل قرب مكة أمم حشد كبير من الدس . وقد قام أحد
هؤلاء في اللحظة التي كانت فيه يده مقيدتين معاً ، والتي كان في
الجدي الركي يستعد لإطلاق الرصاصه الممينة عليه بطرح ذلك

الحددي أرضاً وانهرب عبر المردحمين . وربما كان من الممكن أن يمد حياته في آخر الأمر لو بحث عن ملجأ في الحياض بدلاً من الاستمرار في الحري على طول لسهل حيث بحث بحق به حناح تركي ، صادف أنه كان هناك على ظهر جواده ، وقتئذ وفي تلك المدة ظهرت الطبقات ليد من الموصيين كرهها القوي للأثر ك فقد رفعت أصواتها بالصغير وست انحود الذين مثلوا بفسوة بصحابهم انتعساء ، وشجعت الهارب بالصفيق ، كما شمت الحناح الذي قته بأقذع العبارات وأمطرته بالعباب

وحيث أصبح كل شيء معداً للعودة التي ستقرر مصير حملة محمد عني عادر أحمد بودبرت مكة مع الحراء الأكبر من المشاء في الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٨٥٠ هـ ، وبعده هوراً إلى كلاح وكان اسحاق قد عرف على أن يبحث به مع حوالي ألف ومائتين من الفرسان في الرابع والعشرين من ذلك الشهر . لكن معلومات وردت إليه تفيد بأن قوة وهابيه كبيرة قد رؤيت في المصاطق المجاورة للقعدة متحفة إلى حدة وأثارت هذه المعلومات دعر شديد فأرسل كشافة من البدو تنقصي الأخبار وحدثت موصى كبيرة في حدة لأن الناس هناك توقعوا أن الوهابيين إذا لم يهاجموا البلدة نفسها فإنهم سيفضضون مواصلاتهم مع مكة وكان اسماء نادراً بعض الوقت في حدة فتمت الصهاريج الحكومية حينذاك بسرعة بإجراءات تعسفية . واستخرج السكان حاجاتهم الصئيلة من الآبار التي تبعد عن البلدة ثلاث ساعات وارتفع سعر كل نوع من الخبز في مكة بمسبة ثلاثين بالمائة عند الإشاعة الأولى بالأخبار لكن الناس شعوا من

الدعر حينما أصبح معلوماً أن قوة صغيرة مكونة فقط من جنود طاسي قد
ضربت حيامها قرب القعدة

وبعد أيام قليلة وصلت أحمار تفيد بأن بحروشاً قد قام بعارة عني
أراضي عرب ناصرة ، حمراء الباشا ، ونهب مركزهم الرئيسي ، قرية بحيلة
المحصنة ، حيث تتمركز حامية من الأردن وروصد . وكانت داب مره مركز قياده
عابدين بك ووصلت أحمار ، أيضاً ، تذكر أن ثمة كانت في حالة
نهب كبير ، وأن إمدادات تتدفق عليها من كل جهة يدفع عنها صد
الهجوم المهدد لها .

وفي السادس والعشرين من محرم سنة ١٢٣٠ هـ (السابع من يناير
سنة ١٨١٥ م) صدر محمد عني باشا من مكة مع كل الجنود والإبل التي
استطاع أن يعدّ ، وتقدّم نحو كلاح حيث اجتمع من قبل حسن باشا
وعابدين بك وياهو بك وأحمد بنو بارت وتوبوس وأحمد والشريف راجع
ورعماء الجيش الآخرين ، وحيث جمعت مؤل تكفي خمسين أو ستين
يوماً . وحس وصل إلى الرينة ، التي هي المحطة لثابة عني لطريق
الشمال من مكة إلى الطائف ، أخبره الرسل الذين أرسلوا بسرعة من
البلدة الأخيرة أن حشداً كبيراً يُعدّ قد احتل بئر بين الطائف وكلاح ،
فاطعاً المواصلات بين هذين الموضعين في حين قدمت فرق معادية أخرى
بعارة شرق الموضع الأخير صد بدو عنيفة المتحالفين مع الأتراك فأسرع
محمد عني بمسيره نحو كلاح حيث وصل إليها يوم الأربعاء . وبعد أن
أرسل الشريف راجحاً مع جنوده من البدو والفرسان النسيين لمساعدة
العتبان تقدّم هو وجميع فرسانه يوم الخميس إلى بئر ، فوجد الوهابيين

محبّين على حواشٍ الحال المواجهة لسهول كلاح وكانوا قد احتلوا
عدداً من موارد المياه الحيدة هي حين كان الجنود الأتراك يحملون الماء
من بحاحوه على ظهور الإبل من كلاح ذاتها وقد اختلف في تقدير
اقوة الوهاية عطقاً لأوثق المعنومات كانت تلك اقوة تصل إلى خمسة
وعشرين ألف رجل وقيل من لمرسات ، إذ الجيل هناك فقيرة هي الحيل .
وابوهايون دراً ما صنعوا عدداً كبير من الحيل إذ قاموا بعروة بعيدة
بمسافة بل ينعقدون أساساً على إلكي لإبل ورياة الجنود المشاة

وكان مع حش ابوهايين خمسة آلاف بعير ، كما كان يصفر إلى
المسوفة من كل نوع وكان يتكوّن من رحا محارين من الحويين
بعدد قبل من شماليين ، إذ كان الشماليون مشعوبين جيداً بمظاهر
عداء التي بقوه بها طوسون دشا من المدينة وكان مع حشهم كل
رعماء الحيا ، بمسية وانسهول الحويين الشرفية ، كما كان معهم فيصل بن
سعود ، أخو حاكم ابوهايين في ذلك الوقت وقد احتل حكمة الأوي
بين الرعماء الحويين طامي ، شيخ عسير ، وابن ملحة ، عقيه تمت
لقبية و رعيمها الحربي ، وكان تحت الجيش من عربها وهي دنت
الجيش ابن قصار ، شيخ عرب سبيع ، وابن حرشان ، رعيم ثربة ، وابن
شكبان ، رعيم بيشه ، وبحروثر ، شيخ عرب غامد ورهران ، وابن
دهمد ، شيخ عرب شمرا ، وابن كدامل ، رعيم جزء من غيبة بقي
موالي رعيم ابوهايين ، وابن ماحي^(٢) ، رعيم عرب للدواسر الذين يسكنون

(١) هكذا ورد الاسم ولعله لقسمي

(٢) هكذا ورد الاسم ولعله ابن ماحي

بعيداً في الجنوب الشرقي من البلاد باتجاه حضرموت ، وكثير من القادة الآخرين الذين لا يقولون عن هؤلاء شهرة وقوة ، والذين يقولون مجموعات محتفظة من ذلك الحيش . وكان هجومهم المصائل على القعدة محاولة لتحويل نظر الباشا عن الهدف الأساسي للهجوم . ثم هجموا ذهاب توقع على سبل حيث احتلوا موقعاً قوياً في وسط خطوط الحيش التركي دونه . حين اقترب فرسان الباشا بقوا في جبالهم ، وصعدوا هجوماً حدث على وادي حيث أراد محمد علي أن يصنع أحد مدافع المبدى . وانقضى يوم الحميم كله في محاولات غير مثمرة قام بها فرسان الأتراك الذين قتل منهم في آخر طعة لهم حوالي عشرين فارساً فرمى الفرسان الوهابيين

ومع أن الأتراك لم يفقدوا إلا عدداً قليلاً من أصحاب ديت اليوم فإنهم بدأوا يفقدون الأمل في النجاح . أما الوهابيون فكانت لديهم آراء متعائلة في إيهك العدو بهزائم متكررة ، ثم حصصه في نهاية الأمر وحوفاً من مثل هذه لسنحه قر من الحيش عدد من لحدود الأتراك واسترو لذين كانوا في خدمة الباشا ، وأسرعوا عائدين إلى مكة فوصلوا إليها ليلة يوم السبت الثاني ، وبشررو فيها أخباراً عن هزيمة كاميه الحيش . وموت الباشا ، وغير ذلك من المصائب

من الممكن تصور مدى الرعب الذي تركته تلك الأخبار في مكة . وكنت أسكن هناك في ذلك الوقت . وهذا فإني أستطيع أن تحدث عن الحالة بصفتي شاهد عيان . لقد أخذ عدد كبير من المشركين التابعين للحيش والسحاح الأتراك يستعدون لعودة إني أوطانهم . وكذلك فعل التجار الأتراك ولحدود الذين كانوا في تلك

البلدة ، إذ توقع الجميع أن يقتلوا بمحرد وصول الوهابيين المتصربين إليها . وكان يدفع أربعمائة قرش لاستئجار البعير الواحد لنقل الإسطبل إلى حدة . لكن البدو القليلين الذين لديهم إبل أبعدوها إلى الجبال عند أول إشاعة للهزيمة . وعادرت مكة أعداد من الناس على أقدامهم ذلك ثمناً ، وحينئذ وصلوا إلى حدة في صبح اليوم التالي . والحق بالحمية في انقصة أسلحتهم برتبوا ملابس بدوية لكي يُظن أنهم بسوء أحاب . لكنهم لم يستعدوا ، بل بدأوا يندفعون . أما الشريف يحيى نفسه فجمع أنه لم يستطع أن يفر من مكة ، وكان مستعداً للهروب في أية لحظة إلى حدة . وما لبث أن مضى إلى حدة ، وكان مقصداً بآية الله . وكان الجاهل قد فهم أن حدود الوهابيين الحقيقية الحركة سوف تتعصب كل الهاربين على طريق حدة ، وتجمع أية إمكانية للهروب . بذلك رأيت أن من منجأ لي هو المسجد الحرام الذي كان الوهابيون دائماً يحترمون به بصفته حراماً لا يتهتك . وبعد أن وضعت قليلاً من الأشياء الشخصية التي أملكها مع كمية لا بأس بها من البسكويت في حقيبة ذهبت مع مملوكتي إلى الحرم وأقممت هناك . وقد لحاً إليهم كثير من الحجاج الفقراء لمسيب نفسه . وكان ذلك البسكويت مع ماء زمزم الموحود في الحرم كافياً لإعاشتي عدة أسابيع . أما أن حشد الأتراك كنه لم يفعلوا ما فعلته فقد يكون منه فكرهم الخاصة عن الوهابيين ؟ إذ لم يهكروا أبداً أن جندياً في ساعة الانتصار سيعدُّ في مكان مقدس .

على أنه ثبت أن محتويات كانت فيه على كوارث وهمية . وبعد يوم من انغلاق الشدائد فوجئنا وسررنا في صباح اليوم التالي بالتحرير الرسمي الذي يفيد بالهزيمة الكلية للوهابيين المحيطين . وقد اتضح أن محمد

علي رأى حلال الماوشاب التي دارب يوم الخميس أنه لن يكون أمامه فرصة لنجاح ما بقي العدو مقيماً فوق لجبال . وعرف ، أيضاً ، أنه لو نجح في اليوم التالي فإن من المحتمل جداً أن تنتهي مشكلاته في كل من الجحار ومصر إلى الأبد . ولذلك أرسل في أثناء الليل لإحضار تعريبات من كلالخ ، وأمر ألعين مر مشاته مع المدفعية أن يأخذوا موقعاً في جناح الوهابيين . وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي حشد الهجوه بالمدفعية ، نكه صند مرة أخرى . وحشد جمع صباطه وأمرهم أن يتقدموا ويقتربوا من موقع الوهابيين أكثر مما فعلوا قبل ذلك . وبعد أن يظهروا لبرال المدفع عنهم أن سيجنوا بطريقة تبدو فوضوية . وبعدت هذه المحطة بدقة ورأى الوهابيون لأعداء يهربون ، فظنوا أن اللخصة السعيدة ستحضرهم تماماً قد حدثت . فتركوا موقعهم بحصيه على جوانب الجبال ، وتعقبوا لأثرث عماريين فوق السهل . وحدث كل شيء كما توقع لست . وحينما اعتقد أن العدو يتعدى عن الجبال مسافة كافية حشد فرسانه وواجه المتعقبين لجيشه . وتقرر مصر بمعركة فوراً صباحه .

وحيثما اتحد مشاة الأثرث مواقع العرب . ونصبه لشرف راجح . الذي كان قد وصل لنزه مع أنبائه بعد أن شرث في صند هجوه العدو على النعمان ، إلى محمد علي . فأحاط بالوادي الذي سيسحب عبره الوهابيون . وبعدت خبرهم على أن يهربوا في أشد ما تكون فوضى . وكان الحود لأثرث مؤهين جداً لتعقب العدو منهم . وما أن رأى محمد علي العدو يجرى هارباً حتى أعلن لحوده أنه سيعطي ستة دولارات مقابل كل رأس من رؤوس الوهابيين . وفي ساعات قليلة كومت خمسة آلاف رأس أمامه . وأحيط بألف وثمانمائة وهابي في واد صبق فمرفوا يرب . وأصبح

كُلِّ مُحِجِّمِهِمْ وَأَمْنَعْتَهُمْ وَأَكْثَرُ بِهِمْ فَرِيسَةً لِلْأَتْرَاكِ وَهَرَبَ طَائِفِي بَنِيهِ مَعَ
عَدَدٍ قَلِيلٍ فَقَطْ مِنْ أَتْبَاعِهِ

وَقَدْ أَحَدَ حَوَالِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَهَدِيَّي أَحْدَاءَ بَدَاءَ عَلِيٍّ أَمْرٌ مُسْتَعَجَلٌ مِنْ
مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ ، أَدَّى أَمْرَ رَحَلِهِ أَنْ يَمْسُحُوهُمْ مَأْوَى ؛ إِذْ لَمْ يَنْتَهِرْ لُصْبَ
الرَّحْمَةِ مِنَ الْأَعْدَاءِ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ حَذُ . وَأَرْسَلَ الشَّرِيفَ رَاجِحَ مَعَ بَعْضِ
الْمُرْسَلِينَ تَعَقَّبَ الْهَارِيسَ وَالْبَحْرَ فِي كَنْدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، الْمَحْدُورِينَ لَدَيْهِ
يَمُوتُ أَصْهَرُوا مِثْلَ دَبِّ الْحَمَامِ صَدَّ الْأَتْرَاكُ بِرُكَاكٍ لَوْهَابِيَّةٍ هَبَّ
الْمُسْتَعْرِضِينَ

وَقَدْ حَارِبَ أَلْبَا شَخْصِيًّا فِي نَسَبِ مَعْرَكَةٍ ، وَذَلِكَ فِي لُحْصَةِ
أَلْبِيٍّ أَمْرٍ قَبِيلٍ فَرَسَانَةٍ بِبَعْضِهِمْ وَيُوجِّهُوا مَعْقِبَهُمْ وَهُوَ حَذِيرٌ بِأَنْشَاءِ
مَعْقِبِهِ مَصْرُفَةٍ فِي أَلْبَاءِ مَدِينَةِ أَلْبِيٍّ سَبَقَتْ ذَلِكَ الْهَجُومَ ، وَمَعْرِفَتُهُ كَيْفَ
يُخَافُ عَلَى رُوحِ الْحَقَّادَةِ لَدَى حُدُودِهِ لَدَيْهِ مَتَى أَنْ يَصْدُرُوا كُلُّ أَمْرٍ فِي
الْحَوَاجِ وَيُضَافَةُ إِلَيْهِ لَمْ يَمُتْ نَفْسَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَ الشَّرِيفُ
رَاجِحَ فَقَدْ مَتَطَّى فَرَسًا مَشْهُورَةً وَمَعَهُ رِمَحُهُ ، وَغَدَّ بَعْدَ أَمَامِ الْحَيْشِ
وَوَسَطَ حَشُودَ مِنَ الْأَعْدَاءِ نَحْوَ حَيْمَةِ فَيْضِ ، أَمْرٌ مَا فِي الْمَحْجِمِ كَيْفَ مِنْ
حَيَاءٍ وَبَعْدَ أَنْ رَكَرَ رِمَحُهُ فِي الْأَرْضِ أَمَامَهَا رَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ صَدَّ عَدَدٌ مِنَ
الْمُزَاجِيحِينَ حَتَّى وَجَسَ إِلَيْهِ أَصْدَقُوهُ وَأَقْدَمَهُ وَجَسَ مِنْ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ يَهْدُ
الْمَوْصِعَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقِيلُ سَأَلَ رَاجِحًا

« لِمَنْ تِلْكَ الْحَيْمَةُ ؟ »

فَأُجِبَ بِهِ

« لِمُحَمَّدٍ »

قال له الباشا :

« إذن حدها لكل ما فيها » .

ودسّاء الإبل لم يأخذ الجيش عتائم ذات قيمة ولم يحدد راجح هي حمه فيصل إلا حوالي ألفي دولار فقط وقد حدث كثير من السراخ بين الحدود لأترك وسر حدهم من البدو الذين برفقة الشريف راجح حر . عسيم ما بهت بهذا أن الباشا يميل إلى تفصيل البدو فكان أكثر الإبل من نصيبهم . وقد قل : إن الأتراك فقدوا هي ذلك اليوم بين أربعمئة وخمسمئة رجلاً .

وربما كان سبب هزيمة الوهابيين رؤسهم من التحيل إلى السهل ، إذ لم تكن لديهم أية وسائل لمقاومة المرساة الأتراك وكان سعود قد حذر له في كلماته الأخيرة التي وجهها إليه من البقاء بمش ذلك العمل كما حذرهم محمود لأترك ، ورؤسهم هي إنهاء الحصة ، ورؤسهم عتائم محمد علي شخصاً ، من الأمور التي جعلتهم يسوء لأسلوب بحكيم الذي اتبعوه في الحرب من قبل وكانت دهستهم حين وحدوا أنفسهم معبوس معاً هي التي جعلتهم غير قادرين على مقاومة

وعلي أية حال فإن قصصاً بروى عما أبداه الوهابيون من شجاعته رائعة فقد شق أس شكياب مع بصع مكث من الرحال طريقهم عبر مشاة لأترك جميعاً ، وهربوا وقتل بحروش ، الذي كان أعظم رعماء الوهابيين ، أس من صباط الباشا . وحين قتل حصانه احتلظ بالمرساة لأترك حتى وجد فرصة جذب بها أحدهم من فوق ظهر حصانه ، ثم امتطيه ، وهرب وقد وجدت مجموعات تكامها من عرب عسير فوق

محس و قد يظن أن حدهم بحل واحد . وكانو عدد معادرتهم لأصدهم قد
 أفسموا جميعاً بالظلاف (وهو حنف شائع بين أندو يحفظون عليه مدقه)
 لا يقرؤ منه لأتراك ، وأن يعودوا — إذا أمكن أن يعودوا — متصرفين
 وأجدهم يصطرون في المعركة فرروا ، على الأقل ، أن يسمع بعضهم البعض
 لأحر من الهروب . وقد فاتوا حتى بعد دحرتهم ثم مرقوا بعد
 ذلك

هـ مكتبي <http://huna.makhty.blogspot.com>

فتر أن سر من كد مع فصل من معود من بعض ثلاثين ألف رجل وهذا لعدد مصادر لما ذكره
 يوركهارب لكن ذكر أن عدد القتي من جيش فيصل كان قليلاً جد بحيث لا يجوز إحصائه
 انظر عنواب المجلد ، ج ١ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥
 وسواء كان ما ذكره يوركهارب دقيقاً أم لا فإن عدد القتي الذي أوردته من عشر يندو غير صحيح
 ذلك أن المشتب بالأحداث يرى أن معركة بشل كانت من المعادرت الفاصلة المؤثرة في الحرب بين
 الطرفين ومن المستبعد أن يكون عدد القتي من الجانب المهزم الذي يبلغ عدد أفراده ثلاثين ألفاً
 مائة رجل فقط

نتائج الانتصارات الأولى

بعد انتصار محمد علي في سن مباشرة بحث رسلاً إلى
القسطنطينية واقاهرة بسبب ذلك الانتصار وابتهج الأتراك في كل بقاع
الحجر ، واستعدوا عطرسمهم القومية لي تركوها حذب إلى حد ما في
الضفة الأخيرة ومع أن مواضي الحجر كانوا مسرورين أن تصحوا
محميين من فتح وهابي آخر فإنهم حربو أن يروا الأتراك يهرمون العرب ،
يريدوا من فضاغة الأعمال لوجنية التي اربكها منتصرون خلال معركة
وبعدها على حد سواء وقد أرسل محمد علي ثلاثمائة أسير اندس
محبهم مأوى ، إلى مكة واحتفل بانتصاره على الطريقة الحقيقية لتركبي
فتح لقتل على لحاروق خمسين رجلاً منه أمام أبواب مكة إلا أن كل
شي عشر منهم مونا مرونغا مثل ذلك عند كل واحد من المقاهي العشرة ،
و محلات لاستراحة ، بين مكة وحدة أما نقيبهم فمعهم كم فعل
إحواهم في مكة عند باب حدة وتركوا هناك حتى اقترب الكلاب
وسور جشهم وإد كان الأتراك قد انتهجوا في ذلك العمل الوجيه
لكريه ، الذي عدوه نصرأ حرياً ، فإن كل حلمائهم من بدر عبروا
بصوت عال عن أشد نفعتهم ، واحتج الشريف ربح لدى محمد علي ،
لكن بدون جدوى

بعد المعركة بأربعة أيام وصل الدشا بحبوبة مناسبة إلى ثربة ، وبعد
اقتراعه منها هرب فيصل بن سعود ، ولم يكن أمام سكانها ، الذين تركهم

خلفاؤهم ، إلا أن يستسلم ووضعت محمد علي مركزه فبإذنه هي ذلك المكان بعض الوقت وقد نهت الأتراك الذين معه قليلاً من الصارل ، واحتصوا عدداً من النساء العربيات الحميلات ، اللاتي أرحسن بعد ذلك إلى أسرهن بأمر منه . ولجأت عدلة إلى اسدو وكاب من المحتمل أن ترسل إلى القسطنطينية تذكرُ للانتصار . لكن لم تستطع أية اقتراحات أن تمنعها من العودة إلى بلدتها أو جعلها تثق بما عرضته الأتراك عليها من وعود . وبعد الانتصار في سنل مباشرة وجه اسدو الشريف بحسب أن يتقدم مع غيره برأ إلى القعدة ، وعزّر قواته بحمود ما هو بك وأصدر ، نصاً . وأمره إلى حدة بأن ترسل إلى القعدة عدة من محمّة بالمؤن وبما أن قوة أعدائه تمش في الجهات الجنوبية من البلاد فإنه رأى أن يهل الحرب إلى أراضيهم الخاصة ، ويقضي عليهم جميعاً وحمل كل ما في كلاح من مؤن على الخمسة أو ستة آلاف بعير ، التي كانت مع الجيش عند مسيره من مكة ، وعلى ما يقرب من ذلك العدد مما عجم في معركة بشل

وتقدم الجيش من ثربة عبر أراضي عرب أكلب في اتحده الجنوبي نحو رنية وسار فوق أرض مستوية تمتد مسافة يومين ، ويسكنها عرب سبيع ، الذي كان شيخهم ابن قطبان قد حصص هناك قبعة صغيرة ، فاستسلمت وبعد مسافة أربعة أيام من ذلك المكان وصل إلى منطقة يشة ، وهي بلاد حصبة لقبيلة بني ساتم القوية التي كان شيخها ابن شكبان أحد رعماء الوهابيين وقد بنيت هناك قلعتان صغيرتان بأمر سعود ، الذي كان قد قوى كل المواقع الرئيسية في تلك الجهات بشل

هذه القلاع . وكان ابن شكان قد لجأ بعد معركة يسئل إلى حيام بعض
 البدو المحوذين من قبيلة قحطان وفتح إحدى القلعين أبوابها لجيش
 محمد علي وكان في الثانية ابن شعلان^(١) ، الزعيم الآخر لبي سالم ،
 فدفع عن نفسه أربعة أيام ضد كل المشاة الأتراك بقيادة حسن باشا أم
 محمد علي فقد اتحد مع فرسانه موقعاً في مزارع السحيل في الحجاب
 الجنوبي لبيشة

وعرضت اقتراحات على ابن شعلان ليستسلم بأمان وبسوء حظه
 قبل تلك الاقتراحات . وجرح مع حاميته المكوبة من حوالى ستين رجلاً
 من القعدة ، واستلم إبلاً لقتل أمتعته لكن حينما ذهب إلى حيمة حسن
 باشا ليؤدى احتراماته له أبى ذلك التركي المتعصب على ابتداعه فدفع
 ابن شعلان بشجاعة عن رثه ، ورد على استهكم له ، فعصب التركي عليه
 عصباً شديداً لدرجة أنه لما جرح هو وأتباعه من الحيمة أمر جنوده أن
 ينفذوا عليهم . فمرفوهم إرباً ولم يمتد احكام الأتراء أبداً زلى مثل
 نكث لأعمال المحربة التي كثير ما حدثت

وبقي لحسن حوالى أسبوعين في بيئته ، أهم موقع في البلاد شرقي
 نجدال اليمنية ، والتي يسميها البدو الشماليون مفتاح اليمن . وهناك
 التحق بالباشا كثير من البدو فقد أتى إليه كل من كانوا ساحطين على
 الوهابيين ، وكل أقرب أولئك المشايخ الذين عزلهم حكاهم من ماصيهم
 بحثاً عن تعويض منه . وقد محمد علي أسلوب سعود ، فعير رعماء

(١) في الأصل ابن شكان (أو شعبان) لكن ابن بشر ذكره شبه شعلان انظر عنوان المجلد ،
 ج ١ ، ص ٢٤٦ . ونعنه هو الصحيح

القبائل في كل مكان بحيث كَوَّنَ له جيشاً حرباً قوياً . وقد وصلت إليه أخبار تغيد أن طامي (بن شعيب) جمع مرة أخرى جيشاً كبيراً في حياته ، وقرر أن يجرب حظه في معركة ثانية . وحشد وجمعه محمد علي رحمه الله نحو أرضيه متحداً طريقاً غرب بيشة .

وفي ذلك الوقت عانى جيش الباشا أشد الجوع وانتعب . وكان صف الإبل قد تنف قبل وصول القوات إلى بيشة ، كما تنف كثير من الحبل . وقد صفت طبيعة الحيش الضيق من كل حدود الرزوع وأوراق الحشائش حتى لا يجد من يأثون إليها بعده إلا صحراء قاحلة . وكان العرب يهربون عند اقتراب الأثرث منهم في كل اتجاه خدين معهم مواشيهم ومؤنهم في حين اسهر البدو المدين اتبعوا الحيش فرصة الفوضى العامة . واحبسوا حمولاً كثيرة . وكان يستقظ في كل توقف عدد من الإبل ، فيفترس الحود لحملها بهم . وقد ورع آخر البسكوت في بيشة . وبعد ذلك ترك كل فرد منهم يمتد يده بما استطاع . ووجد الباشا أنه من الضروري أن يسمح بزيادة إصدقية على مرثيات الحود مقدارها قرش في اليوم . لكن طلب النقود كانت قبيلة المائدة في مكان لا يشبع الرحا فيه رعيه من آخر مرة واحدة إلا بكلعة مقدارها اثنا عشر قرشا .

وبعد مسيرة محمد علي ومن معه يومين من بيشة دخل البلاد العبية التي كان كل أهلها تقريباً قد هجروها . ونمتع الأتراء عدة أيام بالهدوء بين عرب شمرا . وقد أعاد محمد علي حسن السلسا إلى رئاسة هذه القبية بآء على حقوق أسرته لقديمة . ويسمى حسن إلى رجل

جُعل رئيساً لديبيه المذكورة حينما فتح الباشا العثماني اليمن في عهد السلطان سليم مد ثلاثة قرون . وقد مات هناك مائة من الخيل في يوم واحد وأصبح الجيود مسائين لكن لأنهم رأوا بوضوح أن الاسحاب سيؤدي حتماً إلى تحطيمهم ظلوا يتقدمون وأمر الباشا كل قادته أن يربوا عما يركبون ويسيروا على الأقدام في مقدمة طوابيرهم المعوية ووعده جنوده بمئات عطيمة ، وحدث بهت مدد اليمن ، محاولاً المحافظة على معوياتهم . وكانت تقام سوق في كل مسراحة أمام خيمة الباشا حيث يبيع البدو الخلعاء على الجيود كل ما استنصعوا حممه من العرب الذين هي طريقهم وقد أشرف الباشا بنفسه على الطعام ، وبمده سقاة

وقد شككت الحبل الوعرة قرب أراضي عمير عقبب كثيرة أمام مرور المدفعية وكان لجيش لتركي قد دخل هذه الأراضي بعد اثني عشر أو أربعة عشر يوماً من معادرتة لبيشة وتوقف عند قبة تسمى الطور تقع على أرض مرتفعة محاطة بانجبال وقد بناها أبو قبة ، سلف طامي ، واعتقد أنها قوية جداً بحيث يستحيل على قوة عربية أن تسوي عليها وكان طامي قد جمع ، هـ ، ما بين ثمانية وعشرة آلاف رجل . فهاجمهم الباشا وكما حدث في بسل رُدَّ الجيود الأتراك على أعقابهم في اليوم الأول فقد أطلق لعسكريون النار على نحو متصل ، وقته ثلاثمائة تركي . وقد رأى طامي على ظهر جنوده أمام رحانه يشجعهم بأعاني الحرب وحينما استعصت المدافع في اليوم الثاني تراجع الوهابيون . وهرب طامي نفسه ، نكه كان آخر من ترك الميدان وكان الدفاع في هذه المعركة أفضل منه في بسل وكان الأتراك يفصل البدو المرافقين

لهم أكثر قوة من أعدائهم وقد وجد في القبة مخازن كبيرة من المؤن ،
التي كانت مفيدة جداً للحش ، كما وجدت ذخائر ، ومستودع كبير من
بنادق المتيل ، ودياب فرسية قديمة يقدرها العرب غاية التقدير ؛ إضافة
إلى التمدع التي أحدها صامي من القعدة في السنة العاصية

وبعد أن أرسل محمد علي الشريف راجعاً في إثر طامي ، وعين
شبحاً جديداً لعسير سمى ابن مدي (١) ، برل من انجبان عبر ممرات
شديدة الأسعدار إلى ساحل البحر ويبدو أنه كان يريد أن يتقدم إلى
الس من طريق البلاد الأقل ارتفاعاً في السطح العربي من سلسلة الجبال
العالية وكان الشريف حمود ، ولقبه أبو مسمار ، يسيطر على الساحل
وقد نصه في السابق إلى الوهابيين بعد كثير من الحروب معهم لكن
حينما وصل الأتراك إلى المحاصر أرسل مدوياً إلى اناشا يحمل هدايا
ثمينة ؛ مؤكداً به استعداده لمساعدته على أن هرائم الأتراك المتكررة
جعلت حساسه لهم يحبو هدأ اتصالات بطامي ، ووجد المدوب الذي
أرسله محمد علي إليه أنه مشغور باستعدادات شطة للحرب . وعمل
خطبه أن يضم إلى الوهابيين إن فشلت الحملة التركية وكان الشا قد
تصنع مد مدة طويلة إلى أن يعم بثروة اليس المشهورة جداً ، والتي
يحتمل أنها مانع فيها هي الشرق على أية حال . ولعبه رعب ، أيضاً ، في
أن يهيم على أجماع الكيرة من الدولارات التي ترسل مسوياً من القاهرة

(١) سمي أحد أفراد أبي مدو الذي كانوا شيوخاً للجموع وخطاب صي أن المصادر التي تناوب تاريخ
المنطقة في تلك الفترة لم تذكر ما يوجد رواية بوركهاوت ومن المحتمل أن من عينه محمد علي لم
يكن حاكماً إلا لمنطقة صغيرة جداً

شراء القهوة ويقال في الحجر . إنه قد قرر مهاجمة حمود في حاله
سجاجة ضد الوهابيين . ولذلك السبب بدأ اتصالات مع إمام صنعاء الذي
أرسل إليه هدايا ، وكان مهتماً جداً بالموقف الإيجابي لحمسته ، إذ
ستحلّصه من جارين خطيرين الوهابيين وحمود

وعلى أية حال فإن رجال الجيش بعد ذلك المسير الطويل الشاق
لمحصول بالمخاطر أبدوا علامات قوية من التدمير ، وأعلنوا بصراحة
رغبتهم في العودة إلى مكة ومن المؤكد أن محمد علي اصصر في
محاولة تهدئتهم إلى أن يهدم بأنهم سيرسلون قريباً إلى مصر ، ويحلّ
محلّهم قوات جديدة . وبدلاً من التقدم جنوباً وحّه مسيره حينذاك نحو
لقعدة وكان طامي بعد أن حصر المعركة قد اتحد معاً قرب بني
عرش عبد أحد أصدقائه من الأشراف القرييين من حمود . ورأى هد
الشريف أن لحوء طامي فرصة مناسبة لتمادي عرو عدائي وإظهار
حصونه ونوته فقد صدم بالسلاسل ، وبعث رسولا إلى مركز قيادة
الأتراك ومعه رسالة من حمود لقب فيها نفسه « عبد محمد علي » وسأل
عما يعمل بأسيره وتلقّى الشريف راحح ، الذي كان حينذاك يتجول في
الحصان بحثاً عن طامي ، أمر بأن يأخذه إلى القعدة ، وكان الجيش قد
وصل إليها في ذلك الوقت ، ووجد فيها كثيراً من إمدادات المؤن التي
جلبت من جدة عن طريق البحر .

١) بعد أن بشر عن هذا الموضوع ، أرسل محمد علي طاماً في ساقه طامي فأدركوه مشرجه إلى
حصن في نهضة يستأى مُسليّة فيها له مال وسلاح وعدة . فلما وصلها أرسل إليه حسن بن خالد
(وهو وزير حمود) يستعده إلى صيدا فلما قدمها أمسكه ، وبعثوا به إلى محمد علي ، انظر
عنوان المجلد ، ج ١ ، ص ٢٤٦-٢٤٨

وأرسل محمد علي ورقة من الجلود من رية لعرو زهران عن طريق
 الشرق في حين صعد ماهر بث إلى الجبال من الغرب وبمناورة بارعة
 وضع عرب بحروش بين يدين يندلك هزموا ، وقبض علي بحروش
 نفسه ، فحمل إلى القنصة وهناك بقي الباشا عدة أيام وأسيراه السبيل
 موصوعان في حيتين قريتين من حيمته الخاصة وكان تصرف ظامي
 مبعث لاحتراهم لدى الجيش كره وعالياً ما تحدث معه الباشا للتسلية ،
 كما يلعب اسمر صريسته قبل أن يمسكها بقصته . لكن تصرف ظامي
 نحس حلف وحشية ضد التركي ، فوعد أن يكتب نصائحه إلى السلطان
 وينسب منه أن يسمح له بأن يعيش متقاعداً في جبال روميليا وكان
 صامي رجلاً ذا قوى حكمة عظيمة ، كان قصير القامة ، له لحية بيضاء
 صوفية ، يصبى الشرر من عيبيه ، ساحراً بصفة عامة ، كنه مؤدب نحوه
 ارفع التركي ، وعلى العكس من ذلك لزم بحروش الصمت العابس ؛ إذ
 كان مقتنعاً بأن محمد علي لن يعفر له عما قام به الرسانه انني وجهها
 إليه سابقاً ، ولم يرغب الباشا أبداً في أن يراه وذات ليلة وجد حراسه
 نائمين وانفط حجاراً ، واحتال في هث قبوده ثم هرب من المحيتم
 لكنه اعتصم بعد أن قتل رجيس وخرج ثالثاً وسأله محمد علي في اليوم
 التالي .

« بأي حق قدمت مجددين ؟ »

فأجاب :

« إذا كنت غير مقبّد أفعل ما أريد »

فقال الباشا .

« وسوف أتصرف أنا بالطريقة نفسها » .

ولكى يسلي أتراكه ، ورضي شعوره بالثأر معاً ، أمر أن يوضع الأسير
 التعيس ؛ مفيداً بالسلاسل كما كان ، وسط حراسه الخاصين الذين أمروا
 أن يجرحوه بضء بسيوفهم كي يطيل تعذيبه . وفي آخر الأمر توفي دون أن
 يسر بشكوى واحدة . وأرست رأسه إلى القاهرة ومن ثم إلى
 القسطنطينية مع صامي ، الذي قتل بعد وصوله إلى الحدية الأخيرة
 مباشرة^(٥) .

وتقدم الباشا من القنطرة إلى مكة ، فوصل إليها بعد خمسة عشر
 يوماً ؛ وذلك في الحادي والعشرين من مارس وسيدرك القاريء طبيعة
 حملته حينما أقول له إنه لم يعد إلى مكة إلا ثلاثمائة بعير مما يريد على
 عشرة آلاف بعير كانت أساساً مع الجيش ومما أحد في بسن ما بقية
 الإبل فهلكت في الطريق وأتلف كثير من الأمتعة والدخائر لأنه لم تكن
 هناك وسائل لقلها ولم يعد من الحبل إلا ثلاثمائة ، كما لم يعد من
 الأربعة آلاف تركي ، الذين أرسلوا من مكة ، إلا ألف وخمسمائة كلهم
 — من أرفع رتبة إلى أصعرها — كانوا منهكين من التعب ، وبدون ملابس
 أو نفود

وطبقاً للوعد الذي وعد به محمد علي أفراد جيشه في القنطرة
 سمح لهم جميعاً أن يبحروا من جدة باستثناء حسن باشا الذي أنفاه في
 السجن مع بضع مئات من الأرمن و — وبعد ذلك بقليل وصلت إمدادات
 جديدة من مصر

(٥) وبخلاف الوعد الذي قطع على محمد علي من قبل طاشي بسلاسل ثيابه حينما
 وصل إلى القاهرة ، ووضعه على جمل طاب به الأسواق ورأسه معروضاً لتذلي بي كيس من
 كتفيه . (المؤلف)

وكانت قوة الوهايس حيداً له قد أصبحت بدرجة كبيرة ؛ خاصة في الجنوب . وحين وقعت معركة بني كمال عبد الله بن سعود مع حشد من قرانه في منطقة القصيم مستعداً لمقاومة تقدم طوسون باشا من جهة المدينة لكنه عاد إلى الدرعية بعد علمه بهزيمة أتباعه متوقعاً هجوماً من محمد علي الذي قد يتقدم بسهولة من ثرية إلى نجد

بعد وصول الباشا إلى مكة بمليل جمع كل كبارها وعلمائها ، وقرأ عليهم رسالة وجهها إلى عبد الله بن سعود طالباً منه أن يستسلم وعرضاً عليه شروطه للصبح وقد حسب أنه يعيد الكور التي سبق أن أخذها أبوه من صريح النسي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة إن هو أراد ألا يبقى المنصور الذي لقيه صدقائه في الجنوب وقد بعثت هذه الرسالة إلى الدرعية مع حسي تركي ورفيقته عدد من البدو .

وبعد إقامة محمد علي في مكة مدة قصيرة ، ونعيه حسن باش حاكماً لها ترك حسين بك ، أحد قادة الهرسان ، والشريف راجحاً على رأس حاميين في ثرية ويشة ثم سافر إلى المدينة براً مع ثلاثين أو أربعين رجلاً من مرافقيه منتظين حميراً ووصل إليها دون توقّع في الرابع عشر من أبريل وكان طوسون باشا قد عادها فعلاً . وفي أثناء ذلك كان توماس كيث ، أو إبراهيم أغا ، المذكور سابقاً يقوم بحكمها

وحينما أصبحت أخبار نجاح محمد علي معروفة لدى القبائل الشمالية انفصل كثير من مشائخها بطوسون باشا ، وعرضوا عليه أن يلتحقوا به ضد الوهايس ، الذين كانت قوتهم محسوسة في الشمال أكثر مما هي بين القبائل الجنوبية وهي شهر مارس أتى إلى المدينة أكثر

زعماء القصيم ، واحد بعد آخر ، وأكثروا لطوسون باشا استعدادهم
 لمساعدته^(١) فجمع عليهم هدايا ، وأرسل أربعمائة فارس ليحموا قراهم
 وتكونت لديه حينذاك آمال في فتح نجد ، وبالرغم من شجاعته
 الشخصية العظيمة التي كثيراً ما يرب في المواقف المحرقة فإنه كان
 دائماً قليل الحظ في حملات الحجارة . وقد أصبح توتفا إلى أن يشارك
 أباه في المجد الذي حققه في حملته الأخيرة لكنه ؛ مثل غالب
 الأثراك ، لم يحسب حساب موارده فأبوه لم يخصص به مبالغ كبيرة
 من المال لعلمه بكرمه ربوعته السحيبة ، وربما لأنه غير راعب في أن يرى
 أيّ حساب بحاسه هو يحصل على شهرة في الحجارة وكان طوسون في
 حاجة ماسة إلى إبل والأطعمة لتقاشل المحاربة وكانت أسعار جميع
 المواد أغلى في المدينة منها في مكة وعلى أنه حال فإنه رأى أن يحارب
 حصه ، فعاد المدينة في نهاية مارس متحهاً إلى الحماكة ، وهي قرية
 حرة ذات أسوار تعد عن المدينة يومين أو ثلاثة أيام على طريق القصيم
 وكان معه حوالي 'بعمائة' من جنود الحو ، وما بين مائتين وثلاثمائة
 فارس ، وأربعمائة من جنود المشاة وقد لحق به بضع مئات من البدو ،
 أعينهم من قلتي حرب ومطير .

وبقي طوسون في الحماكة بعض الوقت وربما كان هناك وصل
 'وه إلى المدينة وربما كان سبب ريارته لهذه الشدة المقدسه رغبته في
 الحصول على معلومات عن أمور شمالي الحجارة ، والتصلايه عند قبر النبي

(١) المعروف ان بدراناً حينه جدا من بدران القصيم عن أبي حنبل انصار بين زعمائهم وبين طوسون
 أن أكثر بلدك المنظمة هببت محللة آل سعود

(وصى الله عليه وسلم) . وقد أرسل فور وصوله إليها أمراً إلى ابنه طوسون
بأن طالب منه أن يعود من الحماكية لكي يتشاور معه حول الإجراءات
التي يمكن أن تتخذ مستقبلاً . لكن طوسون كان ، على أية حال ،
مضماً على العز . وما أن سلم أمر أبيه حتى انطلق نحو انقضيته بدلاً
من إضاعة ذلك الأمر والعودة إلى المدينة . وبما أنه كان مساوياً لأبيه في
الرتبة ، إذ كان مشه باشا ذا ثلاثة أصداف ، فإن ذلك لأب ربما كان
محصناً في حربه يشمر شعوراً قوياً بدرجة استقلاله . ولا داعي لبحث عن
شيء يشبه المشاعر السوية الصحيحة بين النبلاء الأتراك . وقد تحولت
حماسة جده ، التي كانت من حق طوسون ، بأمر من الباب العالي إلى
محمد علي ، وذلك بالإتفاق على الحرب . ولم يكن طوسون باشا يستمد
إلا مكافأة معينة يومياً ، مثل كل قادة الجيش الآخرين . وبوصف شماني
البحار تحت قيادة محمد علي أشرك هذا معه رجلاً من حاشيته
الخاصة ، اسمه فديري أفندي ، تتم عن صريده كل الأعمال . وبصح
طوسون أن يستشير في كل المسائل ، كما لو كان قد اعتقد بأن ابنه
غير مؤهل للملكية العليا التي احتلها .

وبعد وصول طوسون وفديري أفندي إلى المدينة بقيت جعل الأخير
نفسه ، كما هو واضح ، مكروهاً لدى تلميذه . فقام هذا التلميذ في ثورة
عصب بقتله . وعدد حدثت هو صبي كبيرة في إدارة الأمور . بعلاقات
الأتراك بالعرب المجاورين كانت تدار بسوء . وكان الحدود يرتكبون أعمال

سب وبهب* ولحاجة صومون إلى الإبل أخذ كل نكت التي استطاع أن يجدها لدى البدو . وبدلاً من أن يقوم محمد علي عبد وصونه إلى المدينة بإحراجات هجومية ضد العدو أصبح مشغولاً تماماً في إصلاح النتائج السيئة لأخطاء أبيه . وأرسل عائش وخمسين فارساً بقيادة توماس كيث ، أو إبراهيم أعي ، إلى طوسون ، كما أرسل إليه كتيبة من المشاة الذين وصلوا من يبيع بقيادة أحمد بونايرت ، الذي عاد لتوه من القاهرة وبعد مسيرة دامب عشرة أيام أو أحد عشر يوماً وصل طوسون إلى معسكر القصيم ؛ وذلك في أوائل مايو وقد هاجم خلال مسيره بادية هتيم ، وأحد من إبنهم خمسمائة بعير ، وأرسلها إلى المدينة لنقل المؤن من يبع وعبد وصونه إلى الرمس ؛ إحدى بلدان القصيم الرئيسية أو قراه الكبيرة المحصنة سور ، انضم إليه الفرسان الذين سبقوه في الوصول إلى هالك وقدم إليه مشايخ الجهات المحيطة في القصيم ليبحثوا معه بالإحراجات التي يجب اتخاذها لكن رغم انقصيم الكبير ، خجيلان . ثم يأت إليه ذلك أنه كان دائماً محبباً لسعود ثم لأبيه عبد الله ؛ إذ جمع لمساعدته أتباعه من العرب في مدة تسمى برودة

* في يناير سنة ١٨٦٥ ، وصلت إلى القصيم وبعد ذلك بعين برمت العرش من الرمس وفي ذلك الوقت كان مملوكي يأتني إلى البيت بنظام ياكب وشاكيباً من أن الحدود لأمرأت قد أخذوا من اللحم الذي حصل عليه في ، وصريره لأنه حاز ان بقاوتهم (المؤيد)

الصالح بين طوسون وعبد الله بن سعود

وفي أثناء ذلك لم يهمل عبد الله بن سعود واجهه فقد دخل
 منطقة القصيم ، أيضاً ، بجيش من حاضرة نجد وبأدبها ، وجعل مركز
 قيادته في الشبابة التي لا تبعد إلا خمس ساعات عن الخبراء حيث يحجم
 طوسون بشأه^(١) لكن طوسون وجد نفسه في موقف حرج فقد سمع
 أن حازن ماله ، إبراهيم أحم ، أو توماس كبش ، قد أحيط به في الطريق ،
 وأنه رغم مقاومته لبسسه قد مرق هو وكل فرسه إرباً وكان من الممكن أن
 تمت منطقة القصيم حصصه جيشاً أكبر بكثير من جيشه لكن عند قوت
 الدهر بين حصصه تحركه كان ، على أية حال ، حزن عدد الأتراك الذين
 كان كل إحداهم على فرسين و ثلاث قرى في طعامهم اليومي مما جعلهم
 يتباؤن بأنه سيصبح حتماً شحيحاً جداً^(٢).

وكان العدو يحتل الطريق إلى المدينة ولم يكن من الممكن
 انحصون على أخبار الخطوات التي اتخذها محمد علي

(١) لم يتخذ عبد الله بن سعود لشبانه مركزاً لقيادته وإن كانت من بلدان القصيم فهي طلب مناصبه
 ١٠ وحين دارت المناوشات بين وبين طوسون كان مركز قيادته في الحجازي بين عيرة والرأس ،
 حيث سبعم حوالي شهرين ، في حين كان طوسون في الرأس انظر عنوان المعجم ، ج ١ ،
 ص ص ٢٤٩ — ٢٥٠

(٢) وهذا يريد ما سبق أن أشير إليه في التعمين (ص ١٨٦) من أنه لم يصب إلى طوسون إلا بعد أن تولى
 من بلدان القصيم

ولم يكن في استطاعة طوسون باشا أن يضع ثقة كبيرة في البدو الذين كانوا معه لأنه كان يعلم أنهم مستعدون للانضمام إلى الجانب الآخر في أول مكسة للأتراك وقد رعب في أن يهيئ كل حساباته المعقدة بحركة ، لكن ضباطه وجنوده لم يكونوا عني استعداد لذلك

فقد أخافهم الوهايبون الذين يعوقونهم عدداً . واقتنعوا بأنهم لو هزموا من استطاع أي واحد منهم الهرب . مرأوا من الحكمة أن يصدوا إلى حل مع العدو بدلاً من محاربهه . والأكثر من هذا أن محمد علي كان قد حوّن به أن يعمل صلحاً إذا استطاع أن يصل إلى ذلك وفق شروط مفصلة

وقد استخدم بعض البدو لاستطلاع رأي رعيم العدو . وحين علم عبد الله من سعود بالوضع أرسل خطاباً ، أحد رعاياه ، ليكشف نوايا طوسون الحقيقية ، وأعطى ثماناً لأي إنسان قد يرسل إلى المحيّم الوهابي ومهما بدت هذه الأمور مشجعه عند الله فقد تبأ أنه لو حطم كل قوة طوسون سيكون من ألف ومائتي رجل سيكون ذلك قبيل الفائدة بالنسبة له ؛ إذ سيصير محمد علي إني أن يوجه كل قوته ضد هذه المنطقة وسيكون ذلك النصر الحزني أكثر ضرراً بالقصة الوهابية العامة وبالإضافة إلى هذا فقد علم أن موارد مصر من الكثرة بحيث يتمكن محمد علي من إطالة الحرب في الحجارة لأي وقت شاء . لقد عانى الأتراك كثير من الهزائم ، نكسهم كانوا دائماً يعوّضون خسائرهم ويصبحون أقوى من ذي قبل وكانوا ، أيضاً ، يتمكنون وسائل الرشوة ، والزعيم الوهابي يعلم جيداً أن بعضاً من رفاق المحاصرين كانوا أعداءه في قلوبهم ويتوصله إني صبح يستطيع أن يضمن تبعة تلك القبائل التي لم تنضم بعد إلى الجانب التركي .

وستقبل طوسون حثاً مستقبلاً طيباً وأرسل فرراً حبيبهم السوري ،
 يحيى أفندي ، الذي يتكلم ثعريبه أفضل من أي تركي ، ليعاود مع
 عبد الله ، وحسنه بعض الهدايا إليه وبقي يحيى ثلاثة أيام في المحيم
 رهاوي وبأمره كلاً انصرفوا كان راعياً في النصح بين المعاودات
 سرعان ما انتهت إلى نتيجة إيجابية ، وذهب أحد رجال حاشية عبد الله
 إلى طوسون مستظراً بوقعه على الاتفاق الذي تضمن تحلي عبد الله عن
 كل مصلبه في قتال البلاد المقدسة ، وتعهد بأن يستقي نفسه تابع
 لسلطان المصم ، وحصوله على حرية كل أتباعه في المرور عبر الأراضي
 التي يمر منها من تأدية الحج متى شاء وتحت طوسون لعبد الله
 ابن سعود عن تلك البلد التي استولى عليها في القصيم ، وأبعد عنه كل
 رجاء من بلاد اندلس سبق أن انضموا إليه ، كما تحلى له عن كل تلك
 القبائل البدوية التي تقع مرعيها حلف الحماكية ، محتفظاً بنفسه فقط
 بسك التي تسكن بين هذا المكان وبين المدينة وهي أراضي البلاد
 المقدسة . ولم يقل شيء عن الوهابيين الجنوبيين ونتيجة لذلك قام
 عبد الله بعد ذهاب طوسون مباشرة بمعاينة البدو ؛ خاصة قبيلة مطير ،
 اندلس سبق أن انضموا إلى أعدائه . وبما أن كل فريق توقع حياة من
 الآخر قامت بعض الصعوبات بالنسبة لأولوية المعاهدة وقبل عبد الله في
 نهاية الأمر أن يعاد المكان ، لكنه أصر على أن يصحبه أربعة من كبار
 صباط أنشأ زهائن لديه حتى يصل إلى مكان آمن ثم يعيدهم إليه .
 وتلكاً طوسون بعض الوقت تجاه هذه المسألة ربما لبعضي صغره وتراسل
 الطرفان وفي حوزتي الآن عدد من رسائل عبد الله الأصلية وأكثرها
 ترويح صراحة وشجاعة اللغة التي امتاز بها البدو دائماً ؛ إذ تحذف

كثيراً عن الأسلوب الرسمي التبحلي المعتاد بين الأمم الشرقية الأخرى هي مثل تلك الظروف وكلها مكتوبة بإملاء مباشر من عبد الله نفسه معرفة عن المشاعر الصادقة التي يحس بها تلك اللحظة ويوضح النقط الذي كتبت به أنه لم يستغرق إلا وقت قصير في وضع تلك المشاعر على الورق

وبعد ذلك عاد طوسون من الحبراء إلى الرّس ثم عاد مرطفة انقضيتم بعد أن أقام فيها ثمانية وعشرين يوماً ووصل إلى المدينة قرب نهاية يونيو سنة ١٨١٥ م وكان معه مبعوثان وهابيان من عبد الله إلى محمد علي بحملان سود الاتفاق على الصلح ، كما بحملان رسالتين إحدهما إلى الباشا والثانية إلى السلطان العثماني

وسم يجد طوسون أنه في المدينة ذلك بأن الأب اقتنع بأن الموارد والوسائل القليلة لمحرب في الأجزاء الشمالية من الصحار كانت غير كافية لإمداده بالآمان في الساحل فرأى أن يترك الفرصة المشكوك فيها لآبه بدلاً من إقدامه هو على مخاطرة قد تقلص السمعة التي سبق أن حصل عليها وبهذه المناسبة أبدى افتقاره العظيم إلى الشعور الأبوي وحيث كان طوسون عائلاً لم يبعث إليه أبداً أيّ رسون وبذلك بقي حدهلاً بكل ما كان يحدث في المدينة وغيرها من الأماكن^١ وبالإضافة إلى ذلك لم يفكر محمد علي إلا قبلاً في احتياحات آبه لدرجة أنه تركه بدون فرش واحد . وحين وصل طوسون إلى المدينة اضطر إلى أن يستنف ماله بمصاريفه اليومية . وربما كان هناك سبب مقع لمعادرة محمد علي المدينة ، وبالتالي المحجاز . ففي فبراير ومارس من سنة ١٨١٥ م كانت

في مصر توقعات لهجوم على الاسكندرية بقوة به الكاش باشا ، القائد
الأعلى الذي وصل من بحر مرمرة بأسطول قوي وكان يتطوف في
الأرجيل وقد عذب كل من الاسكندرية ورشيد بقواب كبيرة . وأرسل
كبحيا بث ، حاكم القاهرة ، رسلاً بسرعة رأى بحر محمد علي بتت
الظروف .

وفي التاسع عشر من مايو — بعد عدة أسابيع من معادرتي سيم
عائداً إلى القاهرة — تلقى سيم أعا ، حاكم البدة الأولى ، رسالة
مستعجلة من المدينة يأمره فيها محمد علي أن يعتد سفينة للإبحار في
ذلك المساء نفسه ، ويهدده بالموت إن لم يفعل ذلك . وفي اليوم التالي
وصل إلى هناك مع عدد قليل من حاشيته على ظهور إبل . وبدون أن
يتصرو بعضاً من الوقت لتناول المربطات على الساحل أسرعوا ، سي
استيية ، وأبحروا فوراً ولم يسمح الباشا لقائد بث السفينة أن يسير
بمحاذاة الساحل ، كما هي العادة ، رغم أنه يعلم أن السفينة لم تكن
محفزة بالماء إلا قليلاً ؛ بل أمره أن يبحر بعيداً عنه متجهاً مباشرة إلى
القصر

وعند مرور محمد علي إلى القصر لم يحصل على حصار أو
بغير وثلاً يصبح الوقت ركب حمارة ، وسار عليها عبر الصحراء إلى
قنا . وكان يريد أن يذهب من هناك بسرعة إلى القاهرة عن طريق نهر
اسيل لكن الخوف من هجوم على الاسكندرية توقع خلال ذلك .

(١) ما ذكره المؤلف ، هنا ، يبدو شامهاً نوعاً ما مع ما ذكر سابقاً (ص ١٨٨) من إرسال قوة إليه بقيادة
إبراهيم أعا

وحين سمع بثوقه سافر على مهل نحو عاصمته ووصل إليها في الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٨١٥ م : وذلك بعد غياب دام سنتين تقريباً عانت صحته خلاله الشيء الكثير من مآح جزيرة العرب ولم يكن يعلم حينذاك أن صلحاً قد تم مع لوهابيين لكن لكي يحيط وصوله بأبهة الحجاج الهاهر أعلن أن طوسون قد أخذ الدرعية ، وقضى تماًماً على لوهابيين

وهي شهر أغسطس — بعد عودة محمد علي إلى مصر — أظهر أكثر أولئك الحدود الذين صحوا ذلك الباشا في حمته على الجزيرة العربية علامات من العصيان المسلح فبدأ يلقى ماهر بك وغيره بهب العاصمة . ورأى الباشا من الضروري أن يعلق على نفسه أبواب قبعة هناك فقد وجد أولئك الحدود ، الذين وعدوا وعوداً حمية في الحجاز ، أن القوا بين مقترحة حينذاك منحه مرتباتهم كثيراً ، وتريد ماغيهم ذلك أن الباشا رعب في أن يدخل النظام الجديد ، على الجيش ؛ وهو الإجراء الذي كان حاسماً بالنسبة لسلطان سليم لكن العصيان المسلح لم يستمر في تقدمه ، ولم يحرق محمد علي على معاهدة الثالين وقد لوحظ أن الشهرة التي حصل عليها في الحجاز قد أحدثت تغييراً في شخصيته فالدعامة التي ميز بها نفسه عن الناشوات الآخرين تحولت إلى عطرسة وبدأ من اتاع إدارة بسيطة شبه عسكرية بدأ يعمس في الأجهزة والتفاحر ، وسخر كل الصادرات والواردات بصفته الخاصة مما أضر مالياً بكل من العمال وأرباب العمل

وقد وصل تمسليان اللذان أرسلهما عبد الله بن سعود مع طوسون

بشا إلى القاهرة في أغسطس خلال عصيان الحدود المذكور سابقاً .
 وكان أحدهم ، واسمه عبد العزيز ، من أقارب مؤسس المذهب الوهابي
 محمد بن عبد الوهاب ^١ . أما الآخر فمُحمد موطي سعود الكار^٢
 وقدما إلى محمد علي سود لصبح الذي توصل إليه عبد الله بن سعود مع
 ابنه صوسون ، والرسالتين المشار إليهما من قبل . وكان عبد العزيز عزيز
 المعرفة . وقد أمر الباشا عدداً من فسر علماء القاهرة أن يباثشوه في أمور
 العقيدة . وكان يسأل عن كل شيء يتعلق بإدارة مصر المدنية والعسكرية ،
 وعن مواردها وتحاربها . وقد اشترى عدة كتب عربية وأثر في آخر الأمر
 حميد محمد علي ، فأمر حديقين أو ثلاثة جنود سلازمة السندوس طينة
 الوقت أيام دهباً . وقد جعل هذا التصرف إقامتهما عبر مارة ، فطلبا
 الإذن لهما بمغادرة البلاد . وقد أعطي كل منهما هدية مكوّنة من صاقم
 ملابس وثلاثمائة دولار . وبعث الباشا معهما رسالة إلى عبد الله بن سعود
 تتعلّق بالنسب ونحرب مكتوبة بطريقة عامصة جداً . وقد ذكر فيها
 استعدادك لتكبد لصبح الذي سبق أن توصل إليه عبد الله مع ابنه بشرط
 أن ينحني به الزهاديون عن منطقة الأحساء ، وهي من أهم مباحثهم
 وأخصيها . وتقع على الخليج العربي .

وقد أصبح الآن واضحاً أن المسألة لا تحلو من أسرى . إما أن
 صوسون بش قد خدع الوهابيين في التصميم ، أو أن محمد علي قد أعطى

(١) انظر ترجمة عبد العزيز ص ٢٢ هـ ١

(٢) واسمه عبد الله بن محمد بن بنيال وهو من أهل الدرعية . انظر عنوان المجلد ، ج ١

دبلاً جديداً لإدراجه كل الارتباطات التي يرتبط بها قطوسون ، المساوي
لأبيه رتبة ، قد توصل إلى صلح يلزم فريته كله ، وتمتع بمرايا ذلك الصلح
كامله ؛ وذلك بالسماح له أن يتقدم نفسه وحيشه من الهلاك لكن أباه ،
على أية حال ، بدا حريصاً على أن يظهر الأمر بطريقة مختلفة
نفسية . وبما أنه قد قنع على نفسه عهداً بأن يقضي على الوهابيين
بأحد الدرعة فقد كان من الضروري أن يقع مولاه السقطان بأنه لم يتحل
بعد عن ذلك الهدف ، وأن الصلح الذي توصل إليه أباه يجب أن يعدّ
مجرد هدنة مؤقتة

وفي سبتمبر عام ١٨١٥ م أتى بالشرىف راجح ، البطل العربي ،
إلى القاهرة مكثراً بالأعلام وقد قيل : إنه نارع حسن باشا ، حاكم
مكة ، الذي شك في أنه على اتصال حيائي مع العدو لكن الحقيقة
هي أن كل قادة الحبيب العثماني كانوا يظرون إليه بعين الحسد بسبب
شهرته التي نالها ، بالرأي السائد بأن النصر في مثل كان قد تحقق
بجهوده . وخلال الشهور الأولى من سجنه في القاهرة كان يعامل معاملة
مجرم من عامة الناس . لكن حسماً بدأت التحفيزات لمرح حديد صد
الوهابيين في ربيع عام ١٨١٦ م أضيق سراحه ، وفصل محمد علي أن يريه
علامات من الاحترام .

وفي السابع من نوفمبر عام ١٨١٥ م وصل طوسون إلى القاهرة
مع عدة مئات من الحوود . وكانت العلاقات مع الوهابيين قد أعيدت بعد
رجوعه إلى المدينة . فقدمت القوافل من نجد إلى المدينتين المقدستين
في الحجاز وأدى الحج كثير من الوهابيين في ذلك العام . ولم يجهد

أني قائد تركي نفسه كما فعل طوسون ، كما لم يد أي واحد منهم
شجاعة شخصيه أكثر منه لكن جهوده كانت دائماً غير موفقة وقد
استقبل في القاهرة بكل التكريم المناسب لمكانته وشجاعته لكن عبد
برهنة لأبيه في الاسكندرية استقبل ببرود كبير*

وقرب نهاية عام ١٨١٥ م قدم من الحجارة إلى القاهرة عدد من
مشايخ العرب مصابين بحمىة انباش وكانوا أقارب لاس مدري الذي عبه
محمد علي رغباً لعرب عمير بدلاً من صامي (بن شعب) . لكن حين
عاد انباش إلى القاهرة حضر أصدر صامي المشايخ الحدد على الهروب
وسا أن حسن باشا لم يتمكن من مساعدتهم ستقبلهم محمد علي
بصحب في القاهرة ، وأعطاهم بعض الهدايا ، وأعادهم إلى مكة . لكنه لم
يستطع حينذاك أن يوفر أية قوات للحجارة ؛ إذ كان مشغولاً جداً في
استعدادات للدفاع عن ساحل البحر الأبيض المتوسط ضد هجومات ورد
التقارير بأن الانحياز يورون القباء به وكان قد سمع وهو في الحجارة
بمعاهدة باريس الأولى وسقوط بونايرت ، وأصبح خائفاً من أن ترسل
الجند جيشاً كبيراً من جنوب فرنسا إلى مصر اسي كان يفرض أنها هي
الهدف التعير لكل القوى الأوروبية وتحدثت هذه المحاولات بمعاهدة

* في ديسمبر عام ٨١٦ م توفي طوسون باشا بالوباء في بلدة شيد حيث كان يهود قطاعاً كبيراً من
القوات المتمركزة هناك للمدفع عن الساحل وقد حزن علي موته لأنه كان رجلاً قهيدى إعلالاً عظيماً
لصداقاته ، وكان مرفاً في إساق المال . (المؤلف)

باريس الثانية (١) واردات أكثر من ذي قبل حينما احتل الانجليز البحر
 السبع ، التي كان يعدّها مطلق الخطوات الأولى نحو أراضيها الخاصة
 وقد أكدت هـ ريه تقارير جواسيسه السخيفة ، وهجمات العربيين
 المدهسين للمدنيين ، أو الأوربيين الكذابين ، الذين كانوا جميعاً ضد
 المعصر الانجليزي وبعد شهر توقف الحظر ، فوجه نظره مرة ثانية إلى
 الحجاز ، وعزم على إرسال حملة قوية إلى تلك البلاد بقيادة ابنه إبراهيم
 باشا وهي يارب سنة ١٨١٦ م كتب رسائل إلى مشايخ العرب هي
 لتحجار بحبرهم بمسير إبراهيم السريع ، ويحثهم على مساعدته ، ويؤكد
 لهم أنه قد عزم على أن يرور أرضهم بنفسه في المستقبل القريب فيتوح
 نصرته السابق بأحد السرعة ولم يرد ذكر في هذه الرسائل لصح
 لدي يوصل إليه ابنه طوسون مع عبد الله بن سعود ، كما هو ترد أية إجابة
 من شد لأخير عن مطلب محمد علي الخاص بالأحساء

وهي مارس عام ١٨١٦ م وصلت إلى القاهرة معلومات تصد بأن
 اضطرابات وقعت جنوب مكة وقد استحب لمرمان الأتراك المتركزون
 في بيشة وية وثربة وهي بعض لندو اندين هي خدمة الش حامة هي
 لندو لأخيرة وقد اتضح أن الوهابيين يرددون قوة كل يوم هي تلك

معاهدة باريس الأولى هي المعاهدة التي وقعت في ٣٠ مايو سنة ١٨٠٤ م بين فرنسا وسهرومه وبين
 الدول الأوروبية المنتصرة عليها وكان يودها الاعتذار به مسج فرنسا أن يحتفظ بحقوقها
 التمدية العامة بشروط

ثم معاهدة باريس الثانية هي المعاهدة التي وقعت في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٠٥ م بين فرنسا وبين
 الحلفاء الأوربيين وكانت أكثر تشدداً من الأولى ضد فرنسا و فرضت عليها أن ترفع غرامه
 حربية تبلغ أربعين مليوناً من اللينيات عداً لها على معاهدة نابليون بعد هروبه من جزيرة إلب ،
 والتي فيها جيش احتلال عدده مائ وخمسون ألف جندي لندو نزاح بين ثلاث وخمسين مدينت

الربوع . ولم يبد أن الماطن الحوية قد دحت بدأ في الصبح الذي
عمل مع عبد الله بن سعود

وفي أغسطس عام ١٨١٦ م غادر إبراهيم باشا القاهرة ، فوصل
إلى المدينة ، ومن ثم إلى القصيم . وكان يرفقه حوالي ألفين من المشاة ،
الذين قدموا عن طريق القصير إلى يبع ، وألف وحشمة فارس من البدو
اليسيين الذين قدموا عن طريق البر . وقد حار إبراهيم نفسه هؤلاء
الفرسان من بين أكثر قبائل بدية الصعيد وها الحرب . وكان في
حاشية صديقه غريسيان كان أحدهما ، وهو قائد سرية ، مع برابرت
في روتشפורت ، لكنه لجأ إلى مصر هي أعقب أوامر بمصادره فرنسا
وهو فاء محمد علي باستقباله هو وعدد من الفرنسيين الآخرين المهاجرين
سنة ١٨١٥ م بظريقة ودية جدا .

هذا مكتبي <http://huna.makbtty.blogspot.com>

(١) أدب حمته إبراهيم ضد الإمام عبد الله بن سعود إلى نهاية الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣ هـ
(١٨١٨ م) بعد أن أودى بنصر ذلك الإمام كثيراً من الشجاعة والتصحية

المسحق الأول

رسالة محمد علي إلى كبار أهل المدينة يحذرهم فيها بتفصيل
تصديه العظيم على الوهابيين في بئر (بئر سنة ١٨١٥ هـ)^{*}

عجل الله الأعني إلى مجيء شعبا سكان المدينة المصورة إلى
الزعماء لبلاء الأحلاء ، حيرت نبيا ، صلى الله عليه وسلم ، الأوائل بين
الأشراف والعلماء ، حذيرين بأشياء ، الأفاضل ، وجهاء المدينة منهم
الله ، غدهم ، وأعدى عليهم نعمه الكبري ، آمين

يهدىكم أحسن سلاما وحيانا ، وبحركم ن الله ، الذي نقدر
محمده وقوته ، قد نأج ما أن سحر آمان سيطران سلاطين الإسلام ، بحثنا
عني أن بحرك جيش المؤمنين حقا من مكة ؛ محجراً بكل الإمدادات
بضرورة من المؤن والأمنعة والدخائر ، لكي نفل مركز قبادنا من هناك
في كالأخ ، ولهذا العرض سرنا من مكة يوم السبت السادس والعشرين من
شهر محرم ، ووصلنا إلى كالأخ يوم الأربعاء آخر يوم من ذلك الشهر .
وكانت حصنا أن سطلو بسرعة إلى قرية لسفدي هناك لقوات الحوارج
المتحدة بقيادة رعيهم فيصل بن سعود ومعه أسن شكبان وابن دهمان وابن
قطبان وابن ماضي ؛ إصابتهم إلى بحروثن وابن كتمانل ، وكل رؤساء عرب

* هذه الرسالة من أسلوب الكتابة باللغة العربية وقد قرئت أمام اجتماع عام في مسجد المدينة
بكره ووصلها معه دى السيد بوركهاره (المعقل عني النص بالإنجليزية)

يشة والدواسر ويقوم وعرب المعتبان ، والذين هم من أنقذوا الحجار وصيا
والعاصم وفي جانب ذلك كانوا معربين بطامي وعشرة آلاف من عرب
عسير ، الذين ردوا موتهم حتى وصل عددهم إلى أربعين ألف رجل
وعند الشياطين جند محاسنهم ، فقرروا أن يهاجموا وعادروا ثرة ،
فوجدوا إلى حوربا قرب قرية بئر الشهورة ورحما عليهم بأسم
وحسمائة من فرسان السحاريين من بين المؤمنين ، ومدفعي ميدان ،
للاستطلاع وعند اقترابهم منهم انشروا فوق لجبان ، وأبدوا مقاومة
صامدة لكن حدود بدروا أنفسهم لواجهم وبعد قتال عيف أعادوهم
إلى مراكزهم ، الحصية " وحينئذ بعث يهاجمهم تحت يرد متصلة ،
وبعد ذلك بسنة رجعهم إلى السهل وكان حدود منكمس في دند من
شروق الشمس حتى اعروب (إلى أن حار بيسا انيل وربما دروب
مرايه وبالله بقوة والحيل ") وعند ذلك طلبوا من كلاح مدد ألفين من
الحدود ليلقاء مع مدافعهم ثم هاجموا العدو حراً عند ابلاخ اليوم
السا " فمهم بصمدوا أمه هجرما الأول ، بل هربوا وتناح الله سيوفهم أن
ترتوي من دمائهم فتركوا محيهم ، ورفع ما يريد على حسمائه حيمة ،
وحسمية آلاف بعير ، ركائب ورجال ، مع كل الأسلحة والمؤن ، عيمة
مجردنا الذين أصبحوا مملكين لكن « عرضينهم وعرضهم »^(١) ثم بعثوا

« الحقيقة في العرسات الدواك صند في اليوم الأول » (المؤلف)

(١) من بين القوسين يورد في هامش النص الإنجليزي بعضه العربي من الملاحظ به سيمثل كلمة

« الحيل » وهذه بعض عامي والمصحح « الحول »

منه ما يذكر ، هذا ، سي ، من يسمو الذين في خدمة البنت ، والذين كانوا صالحين جداً بين العامة

(المؤلف)

(٢) من بين القوسين يورد في هامش النص الإنجليزي بعضه العربي والعربي هو الصحيح

اهل ابيس ، انديں وقت اعداد مهم فلا او سرا . وبقص عليهم كدك
 حناؤنا من عرب الحجار في ممرات صيقة وهراب صامي نفسه مع
 حمسة ورس وحمسة من ركبي الابل ففقد وهدك قصي الله عبيهم
 بحود وقوت . بعدرا كلاح يوم لأحد مسرعين في أعقاب اعدو ، فوجد
 ابي ما بعد . ثرية يوم لحبس ركان قبض قد لحا ابي هك مع
 حبس حيا لا ومائة من راكبي الابل الباقيين من حدود لكن جسم عبد
 باقرات حرب مور وخرج اهل ثرية ومن بقي من حاميتها ليهاسون ،
 ويصروا من الامان . فوجدناهم بك ، وأما مركز فيادنا في بلدتهم .
 وانحنى بـ عرب السحاريون . وبذلك أتاح الله لنا أن نتحقق امان في
 تصير نكث جهاب من مصصهدها محرمين نصامس فسرع ابي الله
 أعظم سكرت القضي على لعملة التي أعاد بها عبد ، واشرف الذي أسعه
 على حدود وسوق بعدر هذا المكان . بـ بناء لله . بعد ثلاثة أو
 أربعة أو ابي رية وبيشة ، ثم توجه مسيرا ضد باقي عرب عسير لكي
 فـ الضاء في البلاد كلها ، ونقصني على كل الممردين

وذا أن على هذه لأخبار نسارة . وفيدكم كيف أن اعلني انقير
 قد أتاح لنا فصله كل آمان وبرحوه أن يكمل نعمته . فبظهر كل بلاد
 الحجار من خامس لشياطين باعصاء عبيهم فسألكم أن تدعوا لـ عبد
 قبر سيدنا اسعد أدام الله رعايته بكم نعوذ الكرم . هذا ما ركب
 بخاركم به

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

حرر في السابع من شهر صفر ، ١٢٣ للهجرة

(٣) بـ ابر في هذه القصة مر لا يستغرب من محمد عني وأمثلة

المسحوق الثاني

بسم الله من محمد بن سعود إلى طوسون باشا بحساسة معادرة
الأحد لقصصه إلى حديته^١

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة وسلام تام على سيد الأنام
محمد رحمة الله وبركاته عليه ثم إلى أسيل أحمد طوسون باشا ، بوقه
الله صاحب لأعظم

بعد فقد مصيب رسالتكم أوصكم الله إلى حكمه اربعة
وسر نكم في خير وعدوه وما ذكرتم عن سرير مصالحكم فأنتم لديكم
فهم ومعرفة ولابد نكم تعمير أن مصالحكم غير مقبلة ، وأنها محاذرة
بصريح ونو ح برعت في المحافظة على الصدوقه المخلصه الدائمة
بأنواء بالوعود التي وعدنا بها من قبل لأحبنا مصلحتكم لكنا أهل صدق
وإيمان ، ولا نتحلى عن العهود ؛ بل نقدها حتى ولو قنعنا بأنا قد

١ من هذا المسمى بالمدح العربي موجود لدى بوركهارت من هذا
نكاه

وقد قد المعجزة مصيب الأحمدي ، الذي رجعه بوركهارت من ذلك الأصل إلى السبع
العرب بخرقه معتصم إلى حد م نظر كتابه تاريخ البلاد العربية السعودية عهد عبد الله بن
سعود دون ذكر مكان الصاعه وإدراجها ، ص ص ٦٢-٦٣

وبعد أن بوركهارت قد أشار إلى أن رسائل عبد الله بن سعود إلى طوسون كتبت بأسلوب نصيب
من بوركهارت عبد الله مباشرة الذي قد حازت ترجمه المصير للاحيرى بأسلوب يجمع بين النصحي
وبين العامية فصحية ما أمكن

خدعنا . ومن جهة معادرتكم فنحن نشق بأنكم من تشكروا فيه ، ولن نعبروا
 أسماؤكم لأقوال أعدائنا ومكائد المهادعين . واسألوا البدر ، الذي
 عدكم ، وسيحبرزكم ، إن أردوا أن يقبوا الحق ، أنهم لو كانوا قد قسوا
 واحداً من آل سعود ، وأعطيتهم الأمان فإنهم لن يشكروا فيه أبداً . بل
 سيتقون بكلامي . نحن هـ على رخص الخاصة ؛ وهذه بلادنا نحن
 ونحن نصحكم لا تشكروا في بوابنا ، وإن تقو بإخلاصنا . وفي
 أعماكم بالله ، برلمهم الذي أعطاه بلادنا ، ألا نعرضكم أسم ولا
 حيثكم بأية طريقة لا ترصوب . فأنتم هي أمان الله ثم في أماني . وأنتم
 الآن ستعلمون معادرتهم وسوف أسعد أنا ، أيضاً ، وأسحب جيشي
 إلى عميرة . لكن إن صلتتم أقوال أعدائكم ، وسككم بإخلاص مسود
 بوجه . لأن حالاً صوب عميرة « كرامة محاصركم وسي ور كم » . لكن
 نصب منكم أن رسدوا . كتاباً تتعهدون فيه بأمان الله ثم أمان مسدود
 وأمانكم لكن لعب الدين بحاسا ؛ حصد وباده ، وكتاباً آخر بالأمان
 مسكون الشدة ، البطح والبهائية ، الذين سوف تقوهم إليهم حالاً . وإن
 شاء الله سبب حواكم المية . وبعد لا محذوراً يخافنا بتأخر عدكم .
 ؛ إذا محبور . من أهل كيت سمساله التي ذكر لنا أحمد فلا مانع
 لدينا بفضيكم على كل هذا عهد آدم الله

(٢٦) ب ب عيسى موضوع بضم العين في التمام . ينصح به أن أسباب . هذه القرب إلى
 عامية من التي المصحح . كلمة « التي » تسمى « الذي » و « الذين » هنا « بالبراد » .
 « ب » بوه أو أبوه والملكطان العمان

(٢٧) « برتجر » الرجل الذي يكلف بأداء مهمة ما في مثل ما ورد في الرسالة .

وحيث إنه انصرف إلى اتفاق ودي فلا شيء يصح من قبول
 المسلمين ويرجعهم بالنسبة لهم كلهم مثل إرسال الرهائن
 إياهم وسيكون تحت حمايتي وهذا وصيته إلى الداث أعدائهم
 إليكم وسوف نعلمكم بطلب إشرف وسيحرككم إبراهيم بأسماء هؤلاء
 الرهائن وهم محمد والي باشا وعثمان النصارى وسماعل حوحد
 أحمد آغا وفيه عهد الله ثم عهدي بالآمان وسررس معهم مرفقين
 من ساداتهم حتى يوصلوا إلى مركز قبادتكم فإذا أرسلتموه إياهم
 فسيبوا حلالاً بالرحيل أنه إذا كنت محبوباً أن ترجعوا فبذل سررسل إليكم
 هاتين من صرف يبعود ولا ركنك العير : فإن أن ترسلوا إليهم ركنكم
 بالرحيل أو سداً أنه بالرحيل وقد حسوا معكم رهائن ما أعصروا جوابكم
 سوء ودحو لله أن يكون الأمر كدست حتى سرر وثقوا أن الرهائن
 سيكونون تحت حمايتي خاصة وصلى الله وسلم على محمد وآله
 ورحمه

من عبد الله بن سعود

والله اعلم بالصواب والى الله المرجع والمآب
 يترجم به أنفسهم وليس لأمره وقد سمر مرة أخرى هذا بالحمدين وكانهم يقولون ببيان تعبير
 من الله غير مستقيم وإنما كان ذلك خطأ من الكتاب : إذ الرسالة بأصدها نحن دلالة
 بالحق على البرقة التي كتب بها (المعنى على ذلك بالأنجليزية)

والله اعلم بالصواب والى الله المرجع والمآب
 بعد بكنه : حمدين : هو إلا كنهه العباد أو الناس ، ومن بعد أي تجميع ما من طرسون ومن مع
 غير مسلمين : خاصة أن المؤلف يستدعي التمدد

المصادر

١ - مصادر باللغة العربية :

البسام ، عبد الله بن عبد الرحمن

علماء نجد خلال ستة قرون ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة ،

١٣٩٨ هـ .

ابن بشر ، عثمان بن عبد الله

عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبقة الثانية من قبل وزارة

المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ .

البهكلي ، عبد الرحمن بن أحمد

نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود ، تحقيق محمد بن

أحمد العقيلي ، دار الملك عبد العزيز ، ١٤٠٢ هـ .

الجاسر ، حمد

معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، دار

اليمامة ، ١٤٠١ هـ .

السهيلى ، عبد الرحمن

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق
عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، دون ذكر
لسنة الطباعة .

آل الشيخ ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف
آل سعود ، دون ذكر مكان الطباعة وتاريخها .

ابن عبد الوهاب ، محمد
مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، نشر جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٨ هـ .

العثيمين ، عبد الله
بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ، دار
الهدى للأوقاف بالرياض ، ١٤٠٤ هـ .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حياته وفكره ، دار العلوم
 بالرياض ، ١٣٩٩ هـ .

نشأة إمارة آل رشيد ، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك
سعود ، ١٤٠١ هـ .

العجلاني ، منير
تاريخ البلاد العربية السعودية : عهد سعود الكبير ، دون ذكر
لمكان الطباعة وتاريخها .

تاريخ البلاد العربية السعودية : عهد عبد الله بن سعود ، دون
ذكر لمكان الطباعة وتاريخها .

العيسى ، مكي

المخلاف السليمانى فى عهد الدولة السعودىة الأولى ،
رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الملك سعود ،
١٤٠٣ هـ .

ابن غنام ، حسين

روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات
ذوى الإسلام ، طبعه أبى بطين ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ .

مؤلف مجهول ،

كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ،
تحقيق عبد الله العثيمين ، دار الملك عبد العزيز ،
١٤٠٣ هـ .

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، مطبعة المنار بمصر ،
١٣٤٤ هـ .

٢ - مصادر بغير اللغة العربىة :

Bidwell , Robin

Travelers in Arabia , London , 1976 .

Burckhardt, J. L.

Notes on the Bedouins and Wahabys , London , 1831 .

Travels in Arabia , London , 1828 .

Niebuhr , C.

Travels Through Arabia and Other Countries in the East ,

translated into English by R. Heron , Edinburgh , 1792 .

المحتويات

٢	مقدمة المترجم
٩	المقدمة
٣١	شخصية سعود وأسرتة
٤١	الحكومة الوهابية
٤٥	إدارة العدل
٥٧	مصادر الدخل
٦٥	الشؤون العسكرية للوهابيين
٧٩	حرب شريف مكة وباشا بغداد مع الوهابيين
١٠٩	المرحلة الأولى من حرب محمد علي في الحجاز
١٢٧	المرحلة الثانية من حرب محمد علي في الحجاز
١٤١	تغير الظروف لصالح محمد علي
١٥٥	بداية انتصارات محمد علي
١٧٦	نتائج الانتصارات الأولى
١٨٩	الصلح بين طوسون وعبد الله بن سعود
٢٠٥—٢٠١	ملحقان
٢٠٩	المصادر